جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

صورة الأخ في الشعر الجاهلي

إعداد الطالب
عادل حمَّاد القاسمي البلوي

إشراف
الدكتور خليل الرفوع

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراســـات العليا
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجـــة
الماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2008

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية

لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب عادل حماد البلوي الموسومة بـــ:

صورة الأخ في الشعر الجاهلي

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اللغة العربية.**

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
د. خليل عبد الرفوع		2008/08/13	مشرفاً ورئيسا
أ.د. علي ارشيد المحاسنة		2008/08/13	عضواً
د. ابراهيم عبدالرحمن النعانعة		2008/08/13	عضواً
د. ماهر أحمد المبيضين		2008/08/13	عضواً

عميد الدراسات العليا
أ.د. حسام الدين المبيضين

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى من أحب العلم وزرعه فينا، إلى من بذل الغالي والنفيس ليرى أبناءه وقد بلغوا مراتب العُلا... والدي.

إلى رمز الحنان النّدي والعطاء المـ تدفق على استحياء وبخجل شـــديد أقـــدم بعضاً من فضلها... والدتي.

إلى من لهم في قلبي مكانه، وفي نفسي منزلة، وفي خاطري اعتذار، أخواني وأخواتي.

إلى كل أخ لي تجمعني به أخوة الإنسانية.

إلى الأستاذ الإنسان، الذي تعلمت منه الكثير، وغمرنـــي بلطفـــه وكرمـــه .. الدكتور: خليل الرفوع، أرجو من الله أن يجعل ما بيني وبينه من ودٍّ موصولاً...

إليكم جميعاً أُهدي هذا الجهد المتواضع

عادل حماد القاسمي البلوي

الشكر والتقدير

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ النمل (19) .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

بعد الشكر لله تعالى على توفيقه ليبإتمام هذه الرسالة ، أتقدم بعظيم الشكر إلى الدكتور الفاضل خليل الرفوع الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الرسالة، ولما قدمه لي من عون ومساعدة، وتوجيه وإرشاد وسعة صدر كان لها بالغ الأثر في إتمام هذه الدراسة.

وعظيم شكري وتقديريإلى أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساعدني لتخرج هذه الرسالة بالشكل الذي يحقق المنفعة العلمية المرجوة، سوءاً أكان بالنصح أم بالإرشاد أم بتقديم المساعدة.

والله ولي التوفيق

عادل حمَّاد القاسمي البلوي

فهرس المحتويات

المحتــوى **الصفحة**

الإهــداء..... أ

الشكر والتقدير..... ب

فهرس المحتويات..... ج

الملخص باللغة العربية..... هـ

الملخص باللغة الإنجليزية..... و

الفصل الأول: عاطفة الإخوة..... 1

1.1 المقدمة..... **1**

2.1 الحب..... 3

3.1 الحاجة للأخ..... 16

4.1 العتاب واللوم..... 21

الفصل الثاني: الأخ سيداً ومحارباً..... 26

1.2 سيادة الأخ للقبيلة..... 26

2.2 صورة الأخ في الحرب..... 32

الفصل الثالث: رثاء الأخ..... 41

1.3 البكاء والندب..... 41

2.3 أثر موت الأخ في نفس أخيه..... 50

3.3 العزاء والسلو..... 53

4.3 التأبين (خصال الأخ المرثي)..... 56

5.3 الطقوس والأساطير في رثاء الأخ..... 71

الفصل الرابع: الثأر للأخ..... 82

1.4 الثأر والمجتمع الجاهلي..... 82

2.4 الحرص على إدراك الثأر..... 88

3.4 رفض الدية..... 101

المحتــوى	الصفحة

الفصل الخامس:الدراسة الفنية 104

1.5 مطلع قصيدة الرثاء..... 104

2.5 خاتمة القصيدة..... 106

3.5 الوحدة الموضوعية..... 107

4.5 الوحدة العضوية..... 109

5.5 الألفاظ والتراكيب..... 111

6.5 التكرار..... 113

7.5 الصورة..... 120

8.5 الخاتمة..... 128

المراجع..... 131

الملخص

صورة الأخ في الشعر الجاهلي

عادل القاسمي البلوي

جامعة مؤتة، 2008م

تناقش هذه الرسالة موضوع صورة الأخ في الشعر الجاهلي، وبيان ما له وما عليه تجاه إخوته، التي تَربطهُ بِهم رابطةُ النسب، في ظل مجتمع يقوم على مبدأ الكثرة والترابط والتلاحم.

تكونت الرسالة من خمس ة فصول: فالفصل الأول ناقش موضوع عاطفة الأخوة من حب وصدق وإخلاص ووفاء للأخ في حياته وبعد موته، وكذلك الحاجة للأخ في السلم والحرب، والعتاب واللّوم بين الأخوة، وناقش الفصل الثاني سيادة الأخ للقبيلة، وأهم الصفات التي يتمتع بها الأخ ليكون سيداً للقبيل ة من شجاعة وصبر وفروسية وإتقان فنون القتال بعامة، وناقش الفصل الثالث رثاء الأخ بتعريف معنى الرثاء من شجن وألم وحسرة على فقد الأخ، والعزاء والسلو للتخفيف من أثر الصدمة بموت الأخ، وتحدثت عن أهم الخصال التي يتمتع بها المرثي من كرم وشجاعة، وحلم، وصبر ووفاء، وم روءة، وشرف نسب، وبيان أهم الأساطير والطقوس المتعلقة بالرثا ء للأخ، من الوقوف على القبر والدعاء بالسقيا وعدم البعد، والهامة والصدى وأسطورة الصفر، وبنات نعش، والقمر والحيوان الطوطمي، والإبل وأسطورة الحيوان والفناء، أما الفصل الرابع فقد تناول الثأر للأخ، وبيان نظرة المجتمع الجاهلي للثأر وحرص الأخ على إدراك ثأره ورفض الدية من قاتل أخيه لأنهم يرونها جبناً وعيباً . والفصل الخامس تناول نماذج من شعر الأخوة في ذلك العصر ودراستها دراسة فنية فلقد درست المقدمات والمطلع والخاتمة والوحدة الموضوعية والعضوية والتكرار وأبرز ظ واهره، والصورة في رثاء الأخ ومن أين استمدها الشاعر.

وفي الخاتمة: سجلت أهم ما ورد في هذه الرسالة من نتائج عن صورة الأخ في الشعر الجاهلي.

Abstract
Brothers Picture in Gahili Poetry

Adel Hamad AL-Qasmy AL-bluwy

Mu'tah University, 2008

This study deals with the main subject of the brothers picture in jahili poetry towards his brothers showing what he has to do toward himself and his brothers due to the descent relation between them under society that goes with connections, multiply, and strength.

This study has five section:

The first section dealt with brotherhood sentiment love, honest, faith, loyalty for brother for both his life and his death as well as the needs for brother in peace and war-also it dealt with blaming between them. The second section dealt with the supremacy of brother toward the tribe showing the accurate characteristics that he must have- to be the chief exactly courage patience and having the good skill of being Persian

The third section dealt with brother elegiac poetry through identify the elegy from sadness, grief on death of the brother and consolation to decrease shock of others death, also the study showed the accurate characteristics that lament should have {generosity, courage patienle, loyalty, sense of honor and the allurate descent} and showing the accurate legends and rituals that have a connection with death of the brother and standing on the grave through invocation and not being far, sactifizing and the legend of (Banat naish) and (legend), the moon and the animal, the camel and the legend of the animal and songs .

The Four the section dealt with the revenge for the brother and showing the attitudes of gahily society toward the revenge and showing the importanance of recognizing the revenge and refusing the blood money because they look to it as a some thing shame.

The fifth section dealt with forms of brothers thanks at that area and studying it in artistic way, so it studied the introduction, the beginning and the ending as well as the subjective and being sorry and the refutation and showing its norms shafs, and showing the picture of brothers descent showing from where the poet take it.

At the end; I wrote the importance things that mentioned in this study from the results about the main picture of the brothers in gahilh poetry.

الفصل الأول
عاطفة الأخوة

1.1 المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وبعد:

لقد تناولت في هذه الدراسة موضوع (صورة الأخ في الشعر الجاهلي) بالدرس والتحليل، حاولت أن أبين قيمة الأخوة في العصر الجاهلي ومدى تلاحمهم وترابطهم، ومدى حاجتهم لبعضهم البعض في ذلك العصر.

وتهدف هذه الدراسة إلى تجلية صورة الأخ في الشعر الجاهلي وموقف الشعراء من عاطفة الأخوة في جميع الحالات سواء السلمية أو الحربية ، كون الشاعر يعيش في مجتمع قبلي محكوم بأعرافه ، فلا يستطيع أن يعيش دون سند من أخ أو قريب كما تستهدف هذه الدراسة الوقوف على رؤية الشاعر لأخيه بعد موته ، الذي يتمثل دعوته للأخذ بالثأر رافضاً قبول الدية ، لكن هذه القضايا تحتاج إلى تبيان واستقراء للشعر الجاهلي ودراسته في مظانه الأصلية، ومن ثم فإن الدراسة تعتمد الشعر الجاهلي لتحديد صورة الأخ.

قد اقتضت طبيعة الدراسة الأخذ بعدد من المناهج ، حيث يتبع المنهج المناسب في الموضوع الذي يتطلبه ، وهذا التداخل في استخدام المناهج يجعل من الدراسة أقرب ما تكون إلى المنهج التكاملي.

وقد جاءت الدراسة في خمسة فصول:

فالفصل الأول يبحث في عاطفة الأخوة في الشعر الجاهلي، فتحدثت عن الحب بين الإخوة وصدق العاطفة و الإخلاص في المودة و التقدير، ثم تحدثت عن الحاجة إلى التلاحم والتآزر في ذلك المجتمع ، ومن ثم الحديث عن العتاب و اللوم بين الإخوة على الهجران والقطيعة والبخل بالمال وعدم المساندة في ظروف تلك الحياة القاسية ، استنادا إلى دراسة نماذج شعرية مختارة تدلل على مثل هذه العلاقات بين الإخوة.

ويبحث **الفصل الثاني** في صفات الأخ سيدا و محاربا، والبحث في الصفات التي لا بد أن يتحلى بها الأخ ليكون سيدا للقبيلة ومدافعا عنها، ومن ثم تحدثت عن

صورة الأخ في الحرب، من شجاعة وصبر وتحمل، وإتقان فنون القتال من المبارزة إلى الضرب بالسيف والرمح، وكذلك الفروسية مستدلاً على ذلك بالشعر.

وبحث **الفصل الثالث** في رثاء الأخ وما يتعلق به من معاني التفجع و الألم والحسرة على فقدان الأخ السند والمعاون له في هذه الحياة ، وبعد ذلك تم عرض أثر موت الأخ في أخيه، حيث عد من المصائب الشديدة التي يصعب احتمالها يترك فقد الأخ أثرا بالغا في النفس ، وقد يظهر الأثر في الجسد بارزاً لا يمحوه الزمن والشواهد من الشعر على ذلك كثيرة ، وبعد ذلك يحتاج الشاعر إلى العزاء والسلو ليخفف عنه من حدة الحزن والألم الذي يشعر به ليواجه المعاناة والألم بالصبر والتأسي، بعد ذلك تحدثت عن التأبين وهو ذكر خصال المرثي ، ومن هذه الخصال الكرم والشجاعة والصبر والحلم والعفة والوفاء ونبل المحتد وشرف النسب، ومن ثم تحدثت عن الطقوس والأساطير في رثاء الأخ ، ومن ذلك الدعاء بالسقيا لقبر الميت ، والوقوف على القبور ، والدعاء للميت بعدم البعد، وكذلك من الأساطير المتعلقة برثاء الأخ الهامة والصدى ،وأسطورة الصفر ، وأسطورة القمر، والحيوان الطوطمي،وأسطورة بنات نعش ، وكذلك تقديس الناقة وعلاقتها بالمرثي والراثي، مع الاستشهاد بالشعر على هذه المحاور جميعها.

وتطرق **الفصل الرابع** إلى الحديث عن الثأر للأخ وكيف كان الثأر عند المجتمع الجاهلي الذي كان يدعو دائما إلى الحرص على إدراك الثأر وعدم التخلي عنه مهما كانت الظروف، وكيف كان الأخ مجبرا على الأخذ بثأر أخيه من أعدائه لئلا يوصم بالجبن والعار، وكذلك رفض الأخ مبدأ قبول الدية لأنه يعد ذلا وجبنا لمن يأخذه أو يقبل به.

وعرض **الفصل الخامس** نماذج من شعر الإخوة في ذلك العصر ، وتمت دراستها دراسة فنية ، فتحدثت عن المقدمات في قصائد الرثاء المتعلقة بالأخ، وكذلك عن المطلع في قصيدة رثاء الأخ ، وكذلك خاتمة القصيدة، ومن ثم تطرقت إلى الوحدة العضوية والموضوعية في شعر رثاء الأخ ، ووجدت أن الوحدتين العضوية والموضوعية قد تحققتا، ومن ثم درست الألفاظ وتطرقت إلى أهم ما تكرر فيها لدى

الشعراء، وبعد ذلك تحدثت عن التكرار في الشعر المتعلق بصورة الأخ وهو كثير جدا، ثم تحدثت عن الصورة الشعرية في القصائد التي تحدثت عن الأخ.

تجدرالإشارة إلى أن الدراسة اتكأت على مصادر قديمة ومراجع حديثة ، منها ما هو مطبوع ومنشور ومنها ما لم ينشر كالرسائل الجامعية فمن كتب الأدب والتاريخ: كتاب الأغاني،وخزانة الأدب والكامل في التاريخ ، والبيان والتبيين وعيون الأخبار وغير هاكما تم الاعتماد على المصادر الجامعة للشعر من مثل : الأصمعيات، والمفضليات،وديوان الحماسة لأبي تمام ، وفضلاً على ذلك فقد تم استقراء معظم دواوين الشعر الجاهلي المطبوعة التي توافرت للباحث؛ للحصول على مادة شعرية وفيرة وزاخرة بالعلاقات الإنسانية بين الإ خوة، إلى جانب الاطلاع على المراجع الحديثة مثل : كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب قبل الإسلام لمحمود شكري الأ لوسي،والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ، والمرأة في الشعر الجاهلي لأحمد الحوفي ، والإنسان في الشعر الجاهلي لعبد الغني زيتون،والأسرة في الشعر الجاهلي لماهر المبيضين ، والحياة العربية في الشعر الجاهلي لأحمد الحوفي، وغيرها من الدراسات التي تهتم بموضوع الرسالة.

والله نسأل أن ينفعنا بما قدم ا نويسدد على الخير خطانا ، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

2.1 الحب:

"إنَّ الناظر في الشعر الجاهلي الذي عرض لعلاقة الإخوة، سواء أكانوا من أم واحدة أم من أمهات مختلفات، يستشعر بحسه ومشاعره ما كانت عليه علاقة الإخوة في المجتمع الجاهلي من حب وفخر واعتزاز، ووفقاً للعاطفة الصادقة بين الإخوة فإن الأخ كان أشد انتماءً وحباً لأخيه، حريصاً على صون كرامته، بل أحياناً يفضله

على أفراد القبيلة، ويتعدى ذلك إلى إيثاره على زوجه في كثير من الأحيـــان، وقـــد بدت هذه المعاني الصادقة جلية في نصوص شعرية كثيرة"[1].

وتطالعنا بعض النصوص والروايات التي يتجلى فيها حب الأخ لأخيه، حتى يضاهي هذا الحب حُبَّه لأبنائه أحياناً، وهذا بلا ريب يومئ إلى مكانة ا لأخ ومنزلتـــه في قلب أخيه، فقد ورد في بعض الرو ايات أن أعرابياً قتل أخوه ابناً له وسيق ليقتاد منه، فما كان منه إلا أن ألقى السيف من يده، وقال[2]:

أَقُولُ للنفسِ تَـــأْســـاةً وتعزيةً إحـــدى يَدَيَّ أصابَتني ولَمْ تُردِ

كِلاهُما خَلَفٌ مِنْ فقد صَاحِبِهِ هَذا أَخِي حِيْنَ أَدْعُوه وذا وَلَدي

فلا يرى الشاعر فرقاً بين أخيه و بنله، ولذلك ضرب اليد مثلاً ، لأن الإنـــسان يعتز بأخيه ويفتخر به، كما يبطش بيده ويدفع بها.

ومما ورد من أخبار وروايات تؤكد أن حب الإخوة كان مضرباً للأمثال، ما يُروى أن معن بن عطية المذحجي قد تآ إنقاذ أ خيه من أسره الذي وقع فيه علـــى إنقاذ سيد قومه، على الرغم من أن أخاه كان يوصف بالسَفاهة، فقال يخاطب أخـــ اه معللاً موقفه هذا بقوله: "غثُّك خيرٌ من سَمِينِ غَيرِك"[3].

وزيادة على حُبِ الأخ لأخيه الذي يبدو في هذه الرواية، فإن موقف معن من أخيه،وتخاذله عن إنقا ذ سيد قومه، يدلُ بوضوح علـــى مـــدى الانتمـــاء والـــتلاحم

---

(1) المبيضين، ماهر، (2003)الأسرة في الشعر الجاهلي، ط 1،دار البشير، عمـــان، الأردن : ص185.

(2) ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت: 276هـــ)، (د.ت)عيون الأخبار، تحقيق : مفيـــد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 100/3.

(3) الميداني، أبو الفضل أحمد النيسابوري (ت: 518هـــ)، (د.ت)مجمـــع الأمثـــال، تحقيـــق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت، لبنان : 58/2؛ انظر: زيتون، عبد الغنـــي أحمد، (2001)الإنسان في الشعر الجاهلي، ط 1، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبـــي، الإمارات، ص144، وانظر: المبيضينالأسرة في الشعر الجـــاهلي، ص 191؛ الحـــوفي، أحمد محمد، (د.ت)الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط 3، مكتبة نهضة مصر، الفجالـــة، مصر، ص209.

الأسري بين الإخوة، وهو أمر أشار إليه ابن خلدون في مقدمتــه، "إذ إن الأنــساب الخاصة تكون أشد التحاماً من النسب العام لهم، من مثل عشير واحدٍ، أو أهل بيــت واحد، أو إخوة بني أب واحد"[1].

ومن دلالة الحب والمودة بين الإخوان الخوف على الأخ ونصيحته، ومن ذلك قول متمم بن نُويره لأخيه أربد:

أَخْشَى على أَرْبَدَ الحتوفَ ولا أرْهَبُ نوءَ السِّماكِ والأسد[2]

فهو يخشى عليه كل سبب من أسباب المنية، دلالة على المحبة والإ خاء، ومن مظاهر محبة الأخ لأخيه الدفاع عنه وقت الأزمات، ومن ذلك حــديث ســعيد بــن مالك[3] بن ضبيعة بن قيس بن ثعلب ة، واعتزام الملك على قتل أخيه[4] إن هــو لــم يصب ضميره، فقال له سعيد : أبيت اللعن أتدعُني حتى أقرعَ بهذه العصا أختها؟ فقال له الملك: اعلمه بما تقول العصا، فقرع بها مرةً وأشار بها مرةً، ثم رفعها ، ثــم وضعها، ففهم أخوه المعنى فأخبره ونجا من القتل[5].

---

(1) ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، (1988)، المقدمة، ط5، دار الفكــر، بيروت، لبنان، ص164.

(2) الضبي، المفضل بن محمد (ت: 168هــ)، (د.ت) المفضليات، تحقيق : أحمد شاكر وعبــد السلام هارون، بيروت، لبنان: 121/6.

(3) سعيد هذا والد جد طرفة بن العبد بن سفيان بن سعيد بن مالك، أحد سادات بكر بــن وائــل وفرسانها في الجاهلية وشعرائها؛ انظر الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هــ)، (د.ت) البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الكتب العلميــة، بيــروت، لبنــان، ص38.

(4) أخوه هذا هو عمر بن مالك، وكان النعمان قد أرسله رائداً للكلأ فأبطاء عليه فأغضبه ذلــك فأقسم أن جاء حامداً أو ذاماً ليقتلنه، فاحتال أخوه سعيد في إنقاذه بقرع العصا.

(5) الجاحظ، البيان والتبيين: 39/3.

ومن مظاهر محبة الأخ لأخيه أيضاً فكه من الأسر، فقد كتب سلامة بن جندل أبياتاً من الشعر بعث بها إلى صعصعة بن محمود بن مرشد، وكان أخوه أحمر بن جندل أسيراً في يده فأطلقه له، يقول سلامة[1]:

سأجزيك بالقدِّ الذي قد فَكَكْتَهُ سَأَجْزِيْكَ مَا أَبْلَيْتَنَا العَامَ صَعْصَعَا

فإن يكُ محمود أباك فإنَّنا وجدناكَ مَنْسُوباً إلى الخَيرِ أَروَعَا

سأهدي وإن كنّا بتثليث مدحةً إليكَ وَإِنْ حَلّتْ بُيُوتُك لَعْلعاً

فإن شئتَ أهدينا ثَناءً ومدحةً وإن شئت عَدَّيْنَا لَكُمْ مِئَةً مَعاً

فقال له: الثناء والمدحة أحب إلينا.

ومن مظاهر حب الأخ لأخيه كذلك فك أسره من القتل، مثل ما فعل أبو طالب عم النبي r مع أخيه عبد الله والد النبي r عندما همَّ والده بذبحه وثب إليه بله أبو طالب ،وكان أخا عبد الله لأبيه وأمه وأمسك يد أبيهعن أخيه ، وأنشأ مرتجزاً[2]:

كَلاَّ وَرَبِّ البَيْتِ ذِي الأَنْصَابِ مَا ذَبْحُ عَبْدِ اللهِ بِالتِّلْعَابِ

يَا شيبُ إنَّ الرِّيْحَ ذوعِقَابٍ أَن لَنَا مَرَّة فِي الخِطَابِ

أخوال صدقٍ كَأُسودِ الغَابِ

فلما سمعت بنو مخزوم هذا من أبي طالب وكانوا أخواله قالوا : صدق ابن اختنا ووثبوا إلى عبد المطلب فقالوا : يا أبا الحرث إنا لا نسلم ابن أختنا للذبح فاذبح من شئت من ولدك غيره، فبهذا الفعل نجح أبو طالب في الدفاع عن أخيه ونجاته من القتل إلى أن فاداه والده بمائة من الإ بل[3]، وأشار النبي r إلى ذلك بقوله : "أنا ابن الذبيحين"، يعني أباه عبد الله وجده إسماعيل عليه الصلاة والسلام.

---

(1) ابن جندل، سلامة، (1407هـ) الديوان، ط 2، تحقيق: فخر الدين قباوه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص202.

(2) الألوسي، محمود شكري، (د.ت)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 47/3.

(3) القصة كاملة موجودة في كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، سبب الحادثة أن عبد المطلب بن هاشم نذر أنه متى رزق عشرة أولاد ذكور ورآهم بين يديه رجالاً أن ينحر

كذلك نجد أن الشاعر قد يفضل أخاه على زوجه، كما هو الحال لدى دريد بن الصمة الذي بلغه أن امرأته شتمت أخاه عبد الله، فعمد إلى تطليقها وإلحاقها بأهلهـا، وقد عبر عن موقفه هذا بقوله[1]:

أعبد اللهِ إن سَبَـتْك عِرسـي تَساقطَ بعضُ لحمي قبـلَ بعض
إذا عِرسُ امرىءٍ شتمت أخاهُ فـليس فـؤادُ شانئـةِ بحَمْضِ[2]
معاذَ اللهِ أن يَشتِمن رَهطـي وإنْ يَمْلكنَ إبرامـي ونقـضِي

وقد ورد في أخبار بعض الشعراء أن حب الأخ لديه ضاهى حب الأبناء في بعض الأحيان، فقد روي أن بني فَهْم أسروا عُروة أخا أبي خِراش الهُذليّ . فأراد أبو خِراش أن يخلصهُ منهم، ولم يكن معه فكاكه فرهن ابنه عندهم إلى أن يبعث بفدائه، وقد أشار إلى ذلك في بعض أشعاره[3].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأخوات أكثر عاطفة وأشد محبة لإخوانهن في غالب الأ، وذلك بحكم ما جُبلت عليه النساء من قلوب رقيقة ومشاعر مرهفة ، حيث لا تستطيع المرأة أن تخفي حُبها وتعلقها بأخيها، فعندما أُصيب صخر بن شريد السُلمي بالمرض، تحركت عاطفة أُخته الخنساء تجاهه، فانبرت تسأل عنه مبدية ألمها وحُزنها عليه، فما كان من الأخ إلا أن أجابها بعزم وصبرٍ على ما به من علّة مآلها الهلاك والموت، فقال صخر مصوراً موقف أُخته الخنساء منه وإلحاحها في السؤال عنه، بعاطفة صادقة، ملؤُها الحب والحنان[4].

أحدهم للكعبة شكراً لله تصوراً منه أنها من أفضل القرب إلى الله، فخرج السهم على ابنه عبد الله فهم بقتله إلى أن فاداه بمائة من الإبل.....الخ ص3/47، 48.

(1) الجشمي، دريد بن الصمة، (1981)، الديوان، تحقيق: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، سوريا: ص90.

(2) الشانئ: الكاره الحاسد، وفؤاد حمض: فؤاد فاسد متغير.

(3) الأصفهاني، أبي الفرج (ت: 412هـ)، (د.ت)، الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، الدار التونسية للنشر، تونس، 21/215.

(4) ابن حبيب، محمد، (1972)، أسماء المغتالين من الأشراف من نوادر المخطوطات، ط 2، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، مصر : 2/218، الخنساء،

أجارتنا إنَّ الخُــطــوبَ تُريــبُ علينا وَكُــلُّ المُخطئــينَ تُصــيبُ
فَإن تسأليني كيف صبري فإننـــي صبورٌ علــى ريــبِ الزمانِ أَريبُ
كَأني وقد أدنو لــحزٍّ شــغارهــمْ من الصبر دامي الصفحتين ركُــوبُ
أجارتَنَا لــستُ الغــداة بِــظَاعنٍ ولكن مُقيــمٌ مــا أقــام حســيــبُ

وكذلك أحبت خالة أخاها واعتزت به، وكثيراً ما كانت تؤثره على زوجها ؛ لأن روابط العاطفة في الجماعات الأولى كانت بين الأب و ابنته والأخ وأخته أقــوى منها بين الزوج وزوجه، وفي كثير من الحالات كان الزوج يقيم مــع أســرة أمــه وقبيلتها ولا يرى زوجه إلا زائراً، بل إن الأخ في المدينة القديمة كان أعــز علــى المرأة من زوجها، (فزوجة انتفرنينز)أنقذت أخاها لا زوجها من غضبة دارا، كذلك (انتجونا) ضحت بنفسها من أجل أخيها لا من أجل زوجها، والفكرة القائلة بأن زوج الرجل أقرب إنسان إلى قلبه وفكره حديثة، وغير محققة إلا في بعض الأمم[1].

ولم تُطِق الزهراء بنت وائل أن ينتقص زوجها لبيد بن عنبسه الغساني مــن قدر أخيها كليب، فقالت له في عزة وغضب لا أعلم في العرب ذا لبدة أشــد مــن كليب، فهاج لبيد ولطمها، فقالت له: أنا أكرم منك، وذهبت مغضبة إلى أخيها[2].

وعندما دخلت ناقة البسوس حمى كليب وهمَّ بعقرها، ناشدته زوجــه بــأن لا يرهق صهره، ولا يقطع رحمه، فجاءت في قلبها مشاعر الإخوة ووقفت بين عاطفة أمتجة وموقف جلل حل بها، وبعد أن قتل جساس كليباً قالت أخته جليلة بنت مــرة في ذلك[3]:

تماضر بنت عمرو بن الشديد (ت: 24هــ)، (1988) الديوان، ط 1، تحقيــق أنــور أبــو سويلم، دار عمار، عمان، الأردن، ص363 مع بعض الاختلاف في الأبيات، أريب: أديب.

(1) ول، ديوارنت، (1981)قصة الحضارة، ط 3، ترجمة: زكي نجيب محمود، لجنة التــأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر: 58/1.

(2) الحوفي، أحمد محمد، (د.ت)، المرأة في الشعر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنــشر، القاهرة، مصر، ص320.

(3) غريب، جورج، (1984)شاعرات العرب في الجاهلية، ط 1، دار الثقافة، بيروت، لبنــان، ص79. وانظر المبيضين، الأسرة في الشعر الجاهلي، ص192.

أخٌ وحَريمٌ دَاخِلٌ إنْ قَطَعْتَهُ وكَيْفَ يَسوءُ القَومَ مَنْ قَدْ يَسُودُهَا
فَمَا أَنْتَ إلاَّ بيَن هَاتَينِ واقع وكِلْتَاهُمَا وِزرٌ وَصَعْب كُؤودُها

ومن مظاهر الحب بين الإخوانحب الأخ لأخته والد فاع عنها وعن شـــرفه المتمثل بها، وأي دليل على ذلك أعظم من أن يقاسم الأخ أخته ماله مرات، جاء في حديث الخنساء للسيدة عائشة رضي الله عنها، قولها: زوجني أبي رجـــلاً مبـــذراً، فأذهب ماله، فأتيت إلى صخر فقسم ماله شطرين، فأعطاني خيرهمـــا، ثـــم ضـــيع زوجي ماله مرة أخرى، فقسم أخي ماله شطرين، فأعطاني نصفه، فلما كانت الثالثة قالت امرأته: أما ترضى أن تعطيها النصف حتى تعطيها الخيار؟ فقال[1]:

والله لا أمنحُـــهَا شـــرَارهَا وهي حَصَان قـــد كفتنى عَارهَا
وإن هلكتُ خَرَّقت خِمَارهَا واتخذتْ مـــن شَعَرٍ صِدارهَـــا

فلقد مدح صخر أخته الخنساء بأنها حصينة شريفة لم تدنس سمعة أهلها ؛ لأنه يهمه شرفهُ وشَرفها ولذلك أحبها لأنها شريفةٌ عفيفةٌ.

وأي شيء أدل على الاهتمام والحب من أن يتخير الرجل زوجه ثيباً حتى لا تضار أختها كما تضارهن الشابة حدَّ ث جابر بن عبد الله أن رسول الله r ســـأله: هل نكحت يا جابر؟فقال نعم .فقال رسول الله : ماذا؟أبكراً أم ثيباً ؟ فقال:بل ثيبـــاً . قال الرسول:فهلا جارية تلاعبك ؟فقال جابر : يارسول الله إن أبي قُ تِل يوم أحـــد، وترك لي تسع أخوات، فكرهت أن أجمع إليهن جارية خرقاء مثلهن، ولكـــن امـــرأة تمشطهن وتقوم عليهن، فقال الرسول: أصبت[2].

وكان الأخ يستمع لمشورةأخته ويذعن لرأيها في أمور شتى ، مـــن هـــذا أن سفانة ابنة حاتم الطائي بعد أن أطلقها النبي r من السبي وكساها وأعطاها– لحقـــت بأخيها عدي، وكان قد فرَّ إلى الشام هارباً فرغبته في الإسلام، وأن يلحق برسول الله

---

(1) الحوفيالمرأة في الشعر الجاهلي، ص 315، وانظر: الأندلسي، أحمد بن محمد بـــن عبـــد ربه (ت: 328هـــ)، (1989)العقد الفريد، دار إحياء التراث العربـــي، بيـــروت، لبنـــان : 229/3.

(2) العسقلاني، ابن حجر، (1989)فتح الباري، تحقيق : عبد العزيز ابـــن بـــاز، دار الكتـــب العلمية، بيروت، لبنان: 275/7.

سريعاً، وجاء في كلامها : "فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت " فقال لها:و"الله إن هذا لَلرَّأ يُ، وقدم على رسول الله وأسلم"[1].

وكان للأخ في المجتمع الجاهلي على علاقة متينة بأخواته أيضاً يضمر لهن كل معاني الحب والوفاء، حرصاً منه على عرضه وشرفه، ولما كانت الحياة الجاهلية قائمة على الحروب والمنازعات، فإن كثيراً من النساء يقعن في السبي والأسر، وعندما يرى الأخ أُخته قد حطَّ بها القَدَر في أسر العدو، فإنه يبذل قصارى جهده من أجل خلاصها، يفتديها بأعز ما يملك من إبل وخيل، فقد أسر عمرو بن الحارث بن أقيش العكلي حَسْينة بنت جابر بن بجير بن شريط العجلي، أُخت أبجر ابن جابر في يوم العذاب في الجاهلية، ففادها أخوها أبجر بمئة من الإبل وخمسة أفراس، فسار معها عمرو بن الحارث حتى جوّزها أرض بني تميم، فقال الحارث يصور موقف أخيها أبجر، وحرصه على فداء أخته[2]:

وَكَانَتْ صَفْوتِي مِنْ سَبيِ عَجَلُ حَسينةَ مِنْ كَوَاعِبَ كَالظِبَاءُ
وَهَبْنَاهَا لأَبْجَرَ إذ أَتَاهَا وَفِيْنَا غَيْرَها مِنْهم نِسَاءُ
فَكَانَ ثَوَابهُ مِنا جِيَاداً وَسُوْق هَنيدةِ فيها رِعَاءُ

"ومن حرص الأخ على صون أخته متابعة شؤون حياتها بعد زواجها، رغبة في أن تتزوج من رجل كريم، طيب النسب والشرف، مبتعدة عن اختيار الرجل الضعيف والجاهل الذي يقع في المساوئ نتيجة لُحمقه ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على إعز از الأخ لأخته، وتعلقه بها، وصدق عاطفته تجاهها، فهو يتمنى لها

---

(1) البصري، ابن هشام، (1985)مختصر سيرة ابن هشام، تحقيق : محمد عفيف الزعبي، درة النفائس، بيروت، لبنان: 248/4.

(2) المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى، (د.ت)معجم الشعراء، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج، دار الرسالة، بغداد، العراق ، ص37.ويوم العذاب : اليوم الذي أغارت فيه بنو هناة بن أد ابن طابخة على عجل وحنيفة بأرض جوّ باليمامة . وانظر: المبيضين. الأسرة في الشعر الجاهلي. ص194.

حياة كريمة مصونة كرامتها مع رجل يحقق لها العزة والمنعة، وقد صور هذا الموقف امرؤ القيس في وصيته لأخته هند"، فقال[1]:

يَا هندُ لا تنكِحي بُوهةً عليه عقيقتُه أَحسباَ
مُرسّعةٌ بَينَ أرْساغِهِ بِه عَسمٌ يَبْتَغِي أَرْنَبَا
ليَجْعَل في كَفِّهِ كَعْبَهَا حِذَارَ المَنِيّةِ أَنْ يَعْطَبَا
ولَستِ بخزرافة في القعود ولستِ بطياخةٍ أخدَبَا
ولَستِ بِذى رَثْيَةٍ إمَّرٍ إذا قيد مُسْتَكرهاً أصْحَبَا
وَقَالَتْ بِنَفْسِي شَبابٌ لهُ ولِمتُهُ قبل أن يَشْجَبَا
وَإِذ هِيَ سَوْداءُ مِثْل الفَحيمِ تُغشى المطانِبَ وَالمْنَكَبَا

وكان الأخ يحمي أخته حتى من زوجها الذي له حق القوام عليها ، فلا يتغاضى عن إساءة زوجها إليها، ولا يغفر له أن يذلها، من ذلك أن بكرة بنت مليص من بني مُقل د بن كليب كانت تحت تميم بن علاثة من بني سليط، فضربها فشجها، فلقيأخوها زوجها فلامه على ضربه ا وشجهياإها، فوقع بينهما شجار، فشج تميم أخا بكرة أيضاً، فانتقم الأخ لنفسه ولأخته، فشج الزوج فأمَّه[2].

وقد سبق أن كليب وائل ثار حينما استغاثت بهخأته من زوجها لبيد بن عنبسة إذ لطمها و أذلها وانتقص من قدر أخيها، وكان من أثر ثورته حرب زبون بين اليمنيين وربيعة ومضر ومن حالفهما[3].

وكان يحمي من تُجيره إعزازاً لها و اعتداداً لحمايتها، وقد ضرب المثل بفكيهة، فقيل:أوفى من فكيه ة، وهيمرأة من بني قيس بن ثعلب ة، كان من وفائها أن

---

(1) امرؤ القيس، ابن حجر بن الحارق بن عمرو بن حجر (ت: 450) الديوان، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر : 128–129، والبوهة: البومة: تضرب مثلاً للرجل الذي لا خير فيه ولا عقل له، الخزرافة :الخوار الضعيف؛ الرثية : وجع المفاصل من الضعف والكبر، الطياخة الذي يقع في سوءة لحمقه، انظر : المبيضين، الأسرة في الشعر الجاهلي، ص194.

(2) الحوفي، المرأه في الشعر الجاهلي، ص316، أمه: أصاب أم رأسه.

(3) المصدر نفسه، ص316.

ليلى بنت السّلكة غزا بكر بن وائل فبصروا به فعدا حتى ولج في دار فكيهة فاستجارها، فأدركوه وحاولوا أن ينزعوه منها، ونزعوا خمارها، فاستغاثت بإخوتها فجاءوا عشرة فمنعوهم وأجاروا السليك، وفي ذلك يقول السليك مادحاً لها[1]:

لعمرُ أبيكِ والأنباءُ تَنْمى ... لَنِعْمَ الجَارُ أختُ بنى عُوارا
من الخَفراتِ لَمْ تَفْضَحْ أَبَاهَا ... وَلَمْ تَرفعْ لإِخْوَتِها شَنَارا
وما عجزتْ فكيهة يَومَ قامتْ ... بنصلِ السيفِ وَانْتَزعُوا الخِمارَا

وكانوا يغارون عليها أيضاً ، من ذلك أن القتّال عبد الله بن المضرحي – كان يتحدث إلى ابنة عمه، فقدم أخوها زياد ورآهم، فنهى القتال، وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنّه، وبعد أيام رآه يحدثها فأخذ السيف ليضربه فبصر به القتال فخرج هارباً، فتبعه زياد فلما دنا منه ناشده القتال بالله وبالرحم، فلم يلتفت إليه، فعطف القتال على زياد فقتله وقال[2]:

نَهيتُ زياداً والمهامهُ بَينَنا ... وذكّرْتهُ أَرحام سعدٍ وهيثمِ
فَلَما رَأيتُ أَنَّه غيرُ منتهٍ ... أَملتُ له كفي بِلَدنٍ مقوَّم
لَمَّا رَأيتُ أَنَّني قَدْ قَتلتُهُ ... نَدَمتُ عَلَيهِ أيّ ساعة مَندمِ

وغار الأخ على أخته من أن يتغزل بها شاعر، لأن في غزله تشهيراً بها وجرحاً لشرف أهلها، وعلم الإصبع بن محصن أن مالك بن الصمصامة يحب أخته جفرا، فحلف يميناً لئن عرض لها أو زارها ليقتله، ولئن عرَّض بها في شعره أو ذكرها ليأسرنه ثم لا يطلقه حتى يجز ناصيته في نادي قومه ، فبلغ ذلك مالكاً، فقال في قصيدة[3]:

فَمَا الحلقُ بَعدَ الأَسْرِ شَرٌ بَقيةً ... مِنَ الصّدِ وَالهِجْران وهيَ قَريب
أُحبُ هبوطَ الواديينِ وإِنني ... لمشتهرٌ بالواديينِ غريبُ
أحقاً عِبَادَ اللهِ أن لستُ خارجاً ... ولا والجاً إلا علىّ رقيبُ
ولا زائِراً وحدي ولا في جماعةٍ ... من الناسِ إلا قيلَ أنتَ مريبُ

---

(1) الأصفهاني، الأغاني: 137/18.

(2) المصدر نفسه: 159/20، انظر الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص285.

(3) الأصفهاني، الأغاني: 83/19.

هل ريبة في أن تحن نجيـــــــــبةٌ إلى إلفها أو أنْ يحــن نجيــبُ

لهذا كان الغزل بالأخت يتخذ أحياناً وسيلة للكيد والإغاظة والتجــريح، كمــا تغزل الشاعرقيس بن الخطيم بعمرة بن ت رواحة في تمهيده للفخر بانتــصار الأوس على الخزرج في يوم بُعاث[1]:

أَتَعرفُ رسماً كاطّرادِ المَذَاهبِ لعمرةَ وحشاً غَير موقفِ راكبِ

تَرَاءَتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضنَّتْ بِحَاجِبِ

فرد عليه عبدالله بن رواحة عدواناً بعدوان، وتغزل في ليلى بنــت الخطــيم أخت قيس[2]:

أَشاقتكَ لَيلَى فِي الخَلِيْطِ المُجَانب نِعْمِ فِرشاش الدمعِ في الصَدرِ غالبي

وكذلك تغزل حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم في فخره بانتصار الخــزرج على الأوس في يوم الربيع[3] ، فأجابه قيس بغزل تناول فيه عمرة زوج حسان.

ومن مظاهر المحبة بين الإخوان الوفاء لهم وعدم نسيانهم وتــذكرهم لــيلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، وهناك أدلة عديدة من الشعر على الوفاء بين الإخوان، من مثل رثاء الخنساء لأخيها صخر، بقولها[4]:

يُذكرني طُلوعِ الشَّمس صَخراً وأذكرهُ لكلِ غُروب شمسِ

وكذلك قولها[5]:

فَسوفَ أبكِيكَ ما ناحتْ مُطوقــةٌ وَمَا أضاءَتْ نُجومُ الليل للسّاريِ

فعدم نسيان الأخ بعد وفاته دليل على الوفاء والمحبة العميقة بين الإخــوان، ونجد أن الشعراء جميعهم ذكروا ذلك في أشعارهم بأنهم لن ينــسوا أحبــتهم مــن الإخوان، وسوف نتطرق لهذه الجزئية لاحقاً.

---

(1) ابن الخطيم، قيس (ت: 612م)، (1967) الديوان، ط 2، تحقيق: ناصر الــدين الأســد، دار صادر، بيروت، لبنان، ص10.

(2) المصدر نفسه، ص36.

(3) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص318.

(4) الخنساء، الديوان، ص326

(5) المصدر نفسه، ص293.

ومن مظاهر الوفاء بين الإخوة حرص الأخعلى عدم ترك أخيه، و من ذلك قول عروة بن الورد[1]:

فَلاَ أتركُ الإخوانَ ما عشتُ لِلرَّدَى كَمَا أَنَّه لا يَتْركُ الماءَ شارِبُهُ

فهو يقول إنه لا يترك الإخوانطوال حياته ، بل إنه سيظل وفياً لهم لن ينساهم ولن يتخلى عنهم.

وبرزت العاطفة تجاه الأخ قوية وصادقة عند عدي بن زيد العبادي، وذلك من خلال الرسالة الشعرية التي بعث بها إلى أخيه وهو في غياهب السجن، مؤكداً صدق عاطفته إزاء أخيه، وحاجته إليه، مبيناً له حالته الصحية التي وصل إليها في سجنه لدى ملك أوثقهُ بالحديد ظلماً"[2]، فقال في ذلك:

أبلغْ أبياً عَلى نَأيِهِ وَهَل يَنْفَعُ المَرءُ مَا قَدْ عَلم

بأنْ أَخاكَ شَقيقُ الفؤا دِ كُنْتَ بهِ واثقاً ما سلِم

لَدَى ملك مَوثق في الحديدِ إمّا بحق وَإما ظُلم

فَلا أَعْرِفَنَك كذات الغُلا م مَا لَمْ تَجِدْ عَارماً تَعْتَرم

فَأَرضُكَ أرضكَ إن تأتِنا تَنَم نومةً ليس فيها حُلم

"وما أن تصل هذه الرسالة الشعرية النابضة بالمشاعر والأحاسيس الصادقة إلى أخيه أُبيّ ، حتى يجد أخاً عطوفاً مشفقاً عليه يتحدى الصعاب ويقابل الأعداء بقوة وشجاعة، ليصل إليه فيفك أسره ويبدو أن عاطفة أُبيّ قد تأججت في صدره، ولذلك فلم يتوانَ عن تخليص أخيه وافتدائه بالمال والنفس، وقد سعى إلى تحقيق هذا الأمر حتى وإن كان مكان أسره بعيداً عنه ، ومهما واجه من المخاطر الجسام في خلاصه مؤكداً بموقفه هذا حبه لأخيه، وصدق عاطفته تجاهه، فقال أُبي بن زيد وقد كتب إلى

---

(1) العبسي، عروة بن الورد، (د.ت) الديوان، تحقيق : عبد المعين المملوحي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، ص29.

(2) المبيضين، الأسرة في الشعر الجاهلي، ص186.

أخيه في سجنه معبراً ع ما يختلج في صدره من مشاعر صادقة تدل على موقفه من أخيه"[1]:

إنْ يَكن خَانَكَ الزمان فلا عا جز باغٍ وَلا أَلَّــف ضَــعيفُ
ويمينُ الإلهِ لَــو أَن جَــأوا ءَ طحوناً تضيءُ فيها السيوفُ
ذَاتَ رِزّ مُجتابةً غمرةَ المو تِ صحيحٌ سِربــالــها مَكفوفُ
كُنتَ في حميها لجئْتُكَ أسعى فَاعلمنْ لَو سَمعتَ إذْ تستضيفُ
أو بِمَالٍ سَأَلْتَ دُونَكَ لَمْ يَنفع تــلادٌ لــحاجــة أو طريــفُ
أو بأرضٍ أَسطِيعُ آتيكَ فيها لم يهُلني بُــعــدٌ بها أو مخوفُ
إنْ تَفُتني والله إلفــاً فجوعاً لا يُعقبك ما يصــوب الخريفُ
في الأعادي وأنت منّي بعيدٌ عزَّ هذا الزمانُ والــتــعــنيفُ
ولِعَمْرِي لَئِنْ جزعتُ عليــه لجزوعٌ على الصديــق أســوفُ
ولِعَمْرِي لَئِنْ مَلَكْتَ عَزَائِــي لقــليلٌ شــرواك فيــما أطــوفُ

وكثيراً ما كان يفتخر الأخ بمساعدة أخيه وتقديم العون له إذا ما وقــع فــي الأسر، فهذا الشاعر علقمة الفحل تحركت مشاعره وعواطفه تجاه أخيه شأس الــذي وقع في أسر الحارث بن أبي الشمر في جماعة من تميم، فما كان من علقمــة إلا أن ذهب إلى القوم فمدحهم بشعره، حتى وهبهم الحارث له وأطلق سرا حهم بمــا فــيهم شأس، فقال علقمة الفحل مفتخراً بصنيعه هذا[2]:

دَافَــعْــتُ عَنــهُ بِشِعْــرِيَ إذْ كَانَ لِقَومي فِي الفِداءِ جحدْ
فَكَــانَ فِــيهِ مَــا أَتــاكَ وَفِي تِسْعينَ أسرى مُقرنين صُفُدْ
دَافَــع قَومــي فِي الكَــتِيبة إذْ طَارَ لأطرافِ الظُبات وُقــدْ
فَأَصْبَحوا عَن ابن جفنة في الــ أغلالِ مِنْهم والحَدِيدِ عُقــدْ

---

(1) الأصفهاني، الأغاني: 98/2، والألف: الثقيل المتباطئ. والجأواء الكتيبة تعطف مــا تلقــاه . والرزالصوت الذي يسمع من بعيد . انظر: المبيضين: الأســرة فــي الــشعر الجــاهلي، ص187.

(2) ابن تميم، علقمة بن عبده بن ناشرة بن زيــد منــاة، (1925) الــديوان، شــرح : الأعلــم الشنتمري، الجزائر، ص103 – 104، الظبات: جمع ظبة وهو حد السيف والسنان.

وقال لأحنف بن قيس : خير الإخوان من إن استغنيت لم يزدك في المـــودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها، وإن كُوثرت عضّدك وإن استرفدت رفدك[1].

وقال الشاعر[2]:

إنَّ أَخَاكَ الصَّدقَ مَنْ لَنْ يَدَعَك وَمَن يُضرُ نفسهُ لِينْفَعَــكْ

وَمَنْ إِذَا ريبُ زَمانٍ صَدَعك[3] شَتَتَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكْ

وإن رأك ظالماً سعى معك

وقيل لُزُر جمهر : أَخُوكَ أحبُ إليك أم صديقك؟ قال: إنما أُحبُّ أخي إذا كـــان صديقاً[4].

3.1 الحاجة للأخ:

إنَّ طبيعة الحياة في العصر الجاهلي تقوم على الحروب والنزاعات، وتتـــسم بالفقر والجدب في الموارد وأمور المعيشة، فلا بُد أن تكون علاقـــة الإخـــوة علـــى درجة عالية من التآلف والتآزر ليتحقق لهم مكانة رفيعة في مجتمع قائم على مبـــدأ القوة والتلاحم، ولقد فهم كثير من أبناء العصر الجاهلي قيمة الأخ وعبروا عنها في كثير من أشعارهمفمن ذلك قول حجية بن المـ ضرب الذي عرف مد ى حاجته لأخيه ومدى حاجة الإخوان إلى التعاضد في الحوادث الجمة[5]:

أَخَوكَ الَّذي إن تدعهُ لملمَّةٍ يُجبك وإن تغضب إلى السيف يغَضَبِ

ويرد الشاعر على زوجه التي تلومه على إكرام أولاد أخيه وإيثارهم علـــى أولاده، فأخذ يبين منزلة أخيه ومدى حاجته إليه، فهو وحد ه الذي يقف إلى جانبه،

---

(1) الأندلسي، العقد الفريد: 150/2.

(2) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 3، ص7.

(3) صدع: فرق وباعد

(4) ابن قتيبة: عيون الأخبار: ج 3، ص9

(5) الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس، (1986)، ديوان الحماسة، ط2، شرحه ونشره أحمد أمـــين وعبد السلام هارون، ط 2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 177/3. وانظـــر ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 3، ص8.

ويغضب لغضبه رافعاً السيف في وجه كل من يحاول الاعتداء عليه أو الانتقاص من قدره ومكانته وكان يقال "الرجل بلا إخوان كاليمين بلا شمال "[1].فلقد جُعِل الأخ كاليد التي يبطش بها ويدفع بها الأذى للدلالة على مكانة الأخ ومدى الحاجة إليه ، ولقد عبر عن ذلك الثقفي بقوله[2]:

مَنْ كَانَ ذَا عضُد يُدركْ ظَلامتهُ إنْ الذَليلَ الذي ليْسَتْ لَهُ عَضُدُ

تَنْبوُ يداهُ إذا ما قَلَّ نَاصِرُهُ ويأنفُ الضيمَ إنْ أثرى لهُ عَدَدُ

فيشير الشاعر إلى أن الإنسان الذي له عضد وسند يُدرك ظلامته ويأخذ حقه، أما الذي ليس له معين ومناصر فإنه يعيش ذليلاً؛ لأنه لا يستطيع أن يدافع عن نفسه إذا لم يكن لديه عضد ومساندة يحميه فيصبح ذليلاً يُتجرأ عليه وتُؤخَذُ أمواله وديارهِ ولا يستطيع استرجاعها، وقول تنبو يداه من نبا السيف إذا لم يعمل في الضريبة دلالة على الجبن والضعف إذا لم يكن لديه ناصر.

أما إذا كان لديه إخوة وقبيلة فلا يستطيع أحد أن يظلمه أو أن يهضم حقه لأن لديه إخوة يدافعون عنه ويناضلون من أجله فلا يقدر أحد أن يسلب حقه ما دام لديه عدد من الإخوان.

ولقد عبر رجل يُدعى عبيد الله بن أبي بكرة عن مكانة الأخ وقربه من أخيه، حين جعله كالطائر الذي مُنع الطيران والحركة بسبب قص جناحيه، وذلك عندما سأله أحدهم بقوله "ما تقول في موت الوالد ؟قال مِلْكُ حادِث، قال:فموت الزوج ؟ قال عِرس جديد، قال فموت الأخ ؟ قال: قص الجناح، قال فموت الولد؟ قال: صدع في الفؤاد لا يجبر"[3].

ومن ذلك قول الشاعر[4]:

أَخَاكَ أَخَاكَ إنَّ مَنْ لا أَخاً لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الهَيْجَا بِغَيْرِ سِلاحِ

---

(1) ابن قتيبة: عيون الأخبار: ج3،ص4.

(2) الثقفي هو عمرو بن حبيب أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية: أسلم سنة 9 هـ، روى عدة أحاديث، توفي بأذربيجان. المصدر نفسه:ج 3، ص5.

(3) المصدر نفسه، ج 3، ص92.

(4) الأندلسي، العقد الفريد، ج 2، ص150.

وَإن ابْنَ عَمِّ المَرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحُهُ وَهَل يَنْهَضُ البَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِ

فالشاعر يؤكد ضرورة ولزوم وقوف الأخ مع أخيه ، وهذا يؤكد أن الأخ لا يستطيع أن يرفع سيفه وصوته في وجه خصمه ، إذا لم يجد حوله إخوة يرى فيهم قوته ومنعته وعزته في مجتمع تعد فيه القوة دستوره وديدنه[1] ، ودلالة على أن الكثرة تعد قوة، قول الذبيرء القمرء كثير بأخيه "[2]ولقد كان الآباء في المجتمع الجاهلي يحرصون على أن يكون لديهم عدد كبير من الأبناء ليكوّنوا من خلالهم مكانة رفيعة ومنعة وعزةً لهم ولأبنائهم في مجتمع يَعْترِفُ بمبدأ الكثرة والقوة.

وقد أدرك الأخ حاجته إلى التلاحم مع إخوته، ولذلك نجد من الشعراء من كان يقف في وجه زوجه التي تضمر لإخوته الشر، بطردها لهم وإبعادهم عن زوجها الذي يعدّ الملاذ لهم، فلقد غضب بعض الشعراء على أزواجهم وقدموا لهن النصائح كي يحترمن إخوتهم لأنهم السند والعون لهم في شؤون حياتهم كافة، ويبدو هذا المعنى عند النَّمر بن تَولبْ في قوله يرد على لوم زوجه له على كرمه لإخوته[3]:

فَإِذَا أَتَانِي إخوتي فَدَعِيهِم يَتَعَلَّلُوا فِي العَيْشِ أَو يَلْهُوا مَعِي

لا تَطْرُدِيْهِمْ عَنْ فِرَاشِي إِنَّهُ لا بُدَّ يَوماً أَنْ سَيَخْلُوا مَضْجَعِي

وكذلك أدرك شاعر أخر معنى الأُخوة ومدى الحاجة للأخ بعد فراقه ، فنظم أبياتاً تعبر عن مدى الحزن العميق الذي يعيشه بعد فراق أخيه بقوله[4]:

أَخٌ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ فَأَصْبَحْتُ أُشْجي لَدَى ذِكرِه

وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِه فَأَصْبَحتُ أغدو إلى قبره

وَكُنْتُ أَرَانِي غَنِيّاً بِهِ عَنْ النَّاسِ لَو مُدَّ في عمرِه

---

(1) المبيضين: الأسرة في الشعر الجاهلي، ص182.

(2) الأندلسي، العقد الفريد، ج 2. ص150

(3) ابن تولب، النمر، (د.ت)ديوان، تحقيق نوري حموده القيسي، مطبعة المعارف، – بغداد، العراق، ص73.

(4) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 3، ص10، وانظر الأندلسي، العقد الفريد، ج 3، ص232، مع بعض الاختلاف في الأبيات.

إِذَا جِئتُهُ طَالبــاً حَاجَـــةً فَأَمْرِي يَجُوْزُ عَلَـــى أَمْرِهِ

فيرى الشاعر أنه غني عن الناس م ا دام عنده أخ يسانده ويساعده على أمور الحياة، فلديه أخ يحترمه ويقدره ويقدم طلب أخيه على نفسه، وفي ذلك دلالة علـــى قوة الترابط والمودة بينهم.

وتجدر الإشارة إلى أن ما يحدد نوع العلاقة بن الإخوة أومدى تكاتفهم ، هو ما يستجد في حياتهم الأسرية والقبلية من ملمات وخطوب، ولاسيما إذا كان الأمـــر مرتبطاً بنزاع قبلي تسيل فيه الدماء، فينظر الأخ حوله ليجد أخاه الذي يقـــف إلـــى جانبه"[1]، ويعني هذا الأمر أن فقدان الأخ يهدد بقاء إخوته، ويصور هـــذا المعنـــى الشاعر يربوع بن حنظلة عندما فقد أخاه، فيقول[2]:

كَيفَ بَقاء المَرء بَعْدَ ابنِ أُمه إِذَا بَرَقَت أَوْصَالُهُ كَالمَحَاجِنِ

وجاء في الأغاني أن جسَّاساً بعد أن قتل كلیباً قَ دمَ إلى أهله فلما رأتـــه أختـــه قالت لأبيها إن ذا لجساس أتى خارجاً رُ كبقافقال والله ما خرجت رُ كبتاهُ إلا لأمر عظيم! قال: فلما جاء قال : ما وراءك يا بني؟ قال ورائي أني قـــد طعنـــت طعنـــة لتشغلن بها شيوخ وائل زمناً، قال : أقتلت كليباً؟ قال نعم، قال وددت أنـــك وإخوتـــك كنتم متم قبل هذا، ما بي إلا أن تتشاءم بي أبناءُ وائل، وبعدها ما كان من جساس إلا أن توجه إلى أخيه نضلة بن مرة – كان يُقال له عضد الحمار – فقال له[3]:

وَإِنِّي قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرْباً تَغُصُ الشَّيْخَ بِالمَاءِ القَرَاحِ
مُذكرةً مَتَى مَا تَصْحُ عَنْهَا فَتَى نَشَّبَتْ بِآخِرَ غَيْرَ صَاحِ
تُنكل عَنْ ذُبَابِ الغَيِّ قَوماً وَتَدْعُو آخَرِيْنَ إِلَى الصَّلاحِ

فأجابه نضلةُ:

فَإِنْ تَكُ قَدْ جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرْباً فَلا وَانٍ ولا رثُ السِّلاحِ

---

(1) المبيضين، الأسرة في الشعر الجاهلي، ص184.

(2) المبرد يزيدي أبو عبد الله محمد ابن ا لعباس (ت: 310هـــ)، (د.ت) الامـــالي، عـــالم الكتـــب، بيروت، لبنان، ص46؛ المحاجن مفردها محجن وهو عصا معقفة الرأس كالصولجان.

(3) الاصفهاني، الأغاني، 33/5.

فهذه الأبيات "تكشف عن مكانة الإخوة من خلال حاجته الملحة إلى نـــصرة أخيه، فهو لم يجد أحداً يلجأ إليه ليقف إلى جانبه إزاء هذه الحدث الجلل، إذ إن مقتل كليب أمر ستنشغل به العرب زمناً طويلاً، ولذلك فإن التحام الإخوة في موقف مثـــل هذا لا مفر منه، فـ أجابه نضلة بموقف الشجاع المدافع عن أخيه بقوله لن أتخلى عنك ولست بجبان ولا رث السلاح كي أتركك وحدك"[1].

وفي هذا المعنى أيضاً يقول رجل في أخ له يصور مدى حاجتـــه إليـــه فـــي الملمات والشدائد من الأمور[2]:

وَكنتُ إذا الشَّدائدُ أرْهَقَتْنِي يقومُ لَهَا وأقعدُ لا أَقُوم

وكذلك قول كعب الغنوي في رثا ؤ لأخيه أبـ ي المغوار الذي كان يعينه علـــى نائبات الدهر وحوادث الأمور، وكان يكفيه إياها بقوله[3]:

أخٌ كَانَ يَكفِيْنِي وَكَانَ يُعِيْنُنِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِيْنَ تَنُوْب

وقال شاعر آخر في المعنى نفسه[4]:

أَبْكِي أَخاً يَتَلَقَّانِي بِنَائِلَـــــــةٍ قَبلَ السُؤَالِ وَيَلْقَى السَّيْفَ مِنْ دُوْنِي

إِنَّ المَنَايَا أَصَابَتْنِي مَصَائِبُهَا فَاسْتَعْجَلَت بِأَخٍ قَدْ كَانَ يَكْفِـــــينِي

وقد قال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك : خيرُ الإخوان أقلهم مصانعة في النصيحة، وخير الأعمال أحلاها عاقبة، وخير الإخوان من لم يخاصـــم، وخيـــر الأخلاق أعونها على الورع، وإنَّما يختبر ودُّ الرجال عند الفاقة والحاجة[5].

فابنالسماك يبين صفات الأخ الصادق ، وكذلك ينبه إلى أمر مهم، وهـــو أنَّ الأخ الصادقيُختبر عند الحاجة والفاقة ن فإن صادق الإخوة فهو يعـــين أخـــ اه

---

(1) المبيضين، الأسرة في الشعر الجاهلي، ص182.

(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 3، ص6.

(3) الأندلسي، العقد الفريد، ج 3، ص233.

(4) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 3، ص9

(5) القيرواني الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علـــي (ت: 453هـــــ)، (د.ت)، زهـــر الآداب وثمر الألباب، ط 1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيـــل، بيـــروت، لبنـــان، ص619.

ويساعده كما مر معنا في الشواهد الماضية، وإذا تخلى عنه ولم يساعده فيعد محرضاً للقطيعة والهجران واللوم والعتاب كما سيأتي معنا لاحقاً، ومن الشعراء من أدرك هذا الشعور بأن الأخ محتاج إليه وقت الأزمات كما فعل دريد بن الصمة ، فهو على أتم الاستعداد إذا ما دعاه أخوه لاسيما إن كان الموقف في أرض المعركة ، فقال مصوراً تلك الحادثة وموقفه منها[1]:

دَعَانِي أَخِي وَالخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدَدِ
أَخِي أَرْضَعَتْنِي أُمّهُ بِلَبَانِهَا بِثَدْيِ صَفَاءٍ بَيْنَنَا لَمْ يُجَدِدِ
فَجِئتُ إِلَيه وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ كَوقعِ الصَّيَاصي فِيْ النَّسِيْجِ المُمَدَّدِ

فعلى هذا النهج نرى أن النزاعات والصراعات التي قامت في المجتمع الجاهلي كانت مدعاة لتكاتف الإخوة وصفاء قلوبهم واجتماع كلمتهم، ليشكلوا معاً حلفاً واحداً يشار إليه بالبنان[2].

كذلك نجد الحاجة للأخ عند الضائقة المالية أو الفقر، كما فعلت الخنساء مع أخيها صخر عندما كان زوجها ينفق مالهم، فتذهب لأخيها فتجده حلاًّ لمشكلاتها كريماً معها كما مر معنا، وكذلك كانت تلجأ إليه كلما شعرت بالضيق والعسر لتجده يسراً يجلي عنها كل عسر وضائقة، فيبدو ذلك في قولها[3]:

وَكُنْتُ إِذَا مَا خِفْتُ أَرْدَافَ عُسرةٍ أَضَلَّ لَهَا مِنْ خِيْفَةٍ أَتَقَنَّعُ
دَعَوْتُ لَهَا صَخْرَ النَّدَى فَوَجَدْتُهُ لَها يُسراً يُجلي بِهِ العُسرُ أجمعُ

فهي تذهب لأخيها كلما شعرت بضائقة مالية فتجده معطاءً لها كريماً عليها غير بخيل، فهو صادق في مشاعره وأحاسيسه تجاه أخته.

4.1 العتاب واللَّوم:

كانت الحياة العربية قديماً قائمة على العلاقات الاجتماعية المترابطة فيما بينهم ليكونوا وحدة متماسكة لا يمكن لأي شخص المساس بها أو التعرض لها بأي

---

(1) الجشمي، الديوان: ص48.

(2) المبيضين، الأسرة في الشعر الجاهلي، ص183.

(3) الخنساء، الديوان، ص415.

شكل من الأشكال، لكن هذا الأمر لم يكن عند كل فئات المجتمع الجاهلي ، فهناك من الإخوان من كان في وقت الرخاء لا يعرف إخوته ولا يهتم بهم، أما في وقت الشدائد فهم أول من يتذكر هم ويلجأ إليهم ، لأن الأخ إذا ما نزلت به ضائقة لجأ إلى أخيه، مخلفاً وراءه كل ما يحمله من عتاب تجاه أخيه، ومن هذا قول الشاعر ضمرة بن ضلمرة يوضح موقفه من أخيه جندب الذي إن أصابته الشدائد وحلَّت به الضائقة التفت إلى أخيه كي يساعده ،وإن أصابه خيرٌ اطمأن به ونسي أخاه ولم يتذكره في حال الرخاء، فشجب الشاعر هذا الموقف مبيناً أن الإخوة تكون في أحوال الرخاء والشدة، فهي التي تبين الأخ الصادق من غيره ويدلل على ذلك بقوله[1]:

يا جُندب أَخْبِرني ولَسْتَ بِمُخْبِرِي وَأَخُوكَ نَاصِحُكَ الذي لا يَكْذِبُ
هَلْ فِي القَضِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُمُ وَأَمنتُمُ فَأَنَا البَعِيْدُ الأَجْنَبُ
وَإِذَا الشَّدَائِدُ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً أَشْجَتْكُمُ فَأَنَا المُحِبُّ الأَقْرَبُ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهةٌ أُدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسُ الحِيْسُ يُدْعَى جُندبُ

"فإن هذه الأبيات تكشف عن معاتبة بين ضمرة وأخيه جندب التي يبدو فيها الشجب والاحتجاج على صنيعه أمعه، إلا أنها تدل على مدى حاجة الأخ إلى أخيه ليشدَّ به أزره في الشدائد والملمات".

وفي هذا المعنى تقول العرب : (معاتبة الأخ خير من فقده)[2] ، وقد قال الشاعر[3]:

إِذَا ذَهَبَ العِتَابُ فَلَيْسَ ودٌّ وَيَبْقَى الوُدُّ مَا بَقِيَ العِتَابُ

ومن ذلك معاتبة أم حاتم الطائي لإخوتها لأنهم يلومونها على كرمها فقالت[4]:

وَمَاذَا تَرُوْنَ اليَوْمَ إِلاَّ طِبِيْعَةً فَكَيْفَ بِتَرْكِيَ يَا ابْنَ أُمِي الطَبَائِعَا؟

---

(1) أشجتكم: أصابتكم، والحيس طعام يتخذ من التمر والسمن وهو مفضل عندهم، انظر : المبيضين، الأسرة في الشعر الجاهلي، ص180.

(2) الأندلسي، العقد الفريد، ج 2، ص152.

(3) المصدر نفسه، ص152.

(4) اليزيدي، الأمالي، ص23.

فالأخت هنا تعاتب إخوتها على حجرهم عليها ومنعهم لها من الكرم، وخاصة أن الكرم صفة متأصلة فيها لا تستطيع أن تتخلى عنها لأنها طبيعة فيها.

وقد فرضت الحياة عليهم اللوم بقسوة ولا ريب في ذلك، فهي حياة مليئة بالخوف والجوع والفقر والحاجة، فالأخ ينتظر من أخيه أن يمد له يد العون ليجابه بها الحياة القاسية، ولكن الأخ ينصرف عن أخيه ولا يسانده ، وقد ذكر الشماخ بن ضرار أنه لمَّا أثقل الدين كاهله، بحث عن أخيه كي يساعده لكن الأخ تخلى عنه في أصعب الظروف وتعذر له، فقال مخاطباً أخاه يلومه عن تخليه عنه[1]:

تَذَكرتُ لَمَّا أَثْقَل الدَّين كَاهِلي وَصَانَ يَزِيْدٌ مَالَهُ وَتَعَذَّرا

فالشاعر يلوم أخاه لأنه ضن عليه بالمال، ولم يسانده في أمور عيشه.

كذلك لام الإخوان أختهم على تفريطها في المال وتضييعها له بداعي الكرم، وقد أشار البغدادي في ذيل الأمالي والنوادر إلى أن غنية بنت عفيف أم حاتم من سخى النساء وأكرمهم اللضيف وكانت لا تليق، أي لا تُبقِي شيئاً تملكه، فلما رأى إخوتها إتلافها حجرو اعليها ومنعوها مالها لكي لا تبذر ، فقالت مخاطبة إخوتها بهذا البيت[2]:

فَمَاذَا عَسَيْتُم أَنْ تَقُولُوا لأُخْتِكُمْ سِوَى عَذْلِكم أَو عَذْلِ مَنْ كَانَ مَانِعاً

كذلك لامت الأخت أخاها على فعله كما فعلت جليلة بنت مرة بن ذهل عندما قتل جساس زوجها كليب فقالت أبياتاً مليئة بالحسرة والحزن على زوجها وأخيها ، لأن زوجها قُتِل،وكذلك سوف يُقتَلُ أخوها فبعثت أبياتاً تلوم فيها أخاها على فعله فقالت[3]:

جَلَّ عِندي فِعل جَسّاسَ فيا حَسْرَتِي عَمَّا أَنْجلتْ أَو تَنْجَلِي

فِعلُ جَسّاس عَلَى وجْدِي به قَاطِعُ ظَهْرِي وَمُدْنٍ أَجَلِي

---

(1) الذبياني، الشماخ بن ضرار، (د.ت) الديوان، ط1، تحقيق : صلاح الدين الهادي، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ص131.

(2) اليزيدي، الأمالي، ص23

(3) الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس، (ت: 231هـ)، (د.ت)كتاب الوحشيات، ط 3، علق عليه عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص204.

لَو بِعَيْنٍ فُقِئَت عَيني سِوَى أُختها فَانْفقأت لم أحـــــفل

وقد لامت ليلى إخوتها على عدم إنقاذهم لها من أسرها بأبيات تقطـــع نيـــاط القلب عندما أسرها الفرس فبعثت هذه الأبيات لتشـ عل الحماس في قلوب إخوتها كي يهبوا لإنقاذها، فقالت[1]:

يَا كُلَيْب وَعَقِيلاً إِخْوَتِي يَا جُنَيداً أَسْعِدُوْنِي بِالبُكَا
عُذِّبَتْ أُخْتُكُمْ يَا وَيْلَكُم بِعَذَابِ النَّكْرِ صُبْحاً وَمَسا
غَلَّلونِي قَيَّدُوْنِي ضَرَّبُوا مَلْمَسَ العِفَةِ مِنِّي بِالعَصَا

ومن هذا الباب نتطرق إلى اللوم والتوبيخ لترك الأ خ فـــي أرض المعركـــة والتخلي عنه، وهذا مما يلحق المهانة والمذلة به ومن ذلك أن عمرو بن كلثوم عَ يَّرَ حجر بن أبي شمر الغساني عندما قتل عمرو أخاه وابن عم له يقال له عامر بن أبي حجر، فقال عمرو بن كلثوم[2]:

هَلاّ عَطَفْتَ عَلَى أَخِيكَ إِذْا دَعَا بالثَكلِ ويلَ أبيكَ يا ابن أبي شَمِرْ
غَادَرتهُ مِزَع الرِّمَاحِ وَأَسْهَلت لَكَ وَرِدة كالسيدِ طامِيةُ الخَـــفَـــرْ
فَذقْ الذي جَشَمت نَفْسَكَ فَاحْتَسِبْ مِنْهَا أَخَاكَ وَعَامر بِن أبي حُـــجُـــرْ

وكذلك هجا أوس بن حجر الطفيل بن مالك و عيره بترك أخيـــه فـــي أرض المعركة بقوله[3]:

لَعمرك ما آسى طفُيل بن مَالِك بَني أُمهِ إِذْ ثَابتُ الخيلِ تَدَّعـــي
فِرَاراً وَأَسْلَمَتَ ابن أُمِّكَ عَامِراً يُلاعبُ أطرافَ الوَشيحِ المُزَعْزَعِ

وهذا يؤكد أن التخلي عن الإخوان عند العرب يُ عدُّ عيبـــاً ومـــدعاة للهجـــاء والمذلة، ومقابل هذا الموقف فإن قطيعة الأخ أمر يلحق المهانة والمذلـــة بـــالإخوة

---

(1) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص72.

(2) ابن كلثوم، عمرو (ت: 600م)، (1991) الديوان، ط 1، تحقيق: إميل بـــديع يعقـــوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 13، الثكل فقد الولد أو الحبيب، المزع، القطع، طاميـــة : شديدة، أخفر الفرس وثب في عدوه.

(3) الطائي، ديوان الحماسة، ص13، تدعي: تتلاحق وتعز، الوشيح: الرماح

ويهدم ما بنى من عز وجاهٍ لأفراد الأسرة ، وفي ذلك يقول المهلهل بن ربيعة مؤكداً مكانة الأخ[1]:

أخٌ وحريمٌ سَيّئٌ إنْ قَطعَته وَسُنةُ عزْمٍ هَدْمُهَا لَكَ هادمُ

وقال أيضاً[2]:

وكل حَمِيمٍ أو أخٍ ذِي قَرَابةٍ لَكَ اليَومَ حتَّى آخر الدّهَرِ لائِمُ

ومهما يكن من أمر فإن طبيعة الحياة في العصر الجاهلي فرضت الترابط والتلاحم بين الإخوة ،ولذلك انبعثت أهميتها في المجتمع الجاهلي وجاءت استجابة فوريةلمختلف الظروف التي فرضتها حياة الصحراء على أبناء المجتمع الجاهلي ، وبخاصة ما ارتبط بالعصبية القبلية آنذاك[3].

(1) المهلهل، عدي بن ربيعة (ت: 530هـ)، (1995)، الديوان، ط1، تحقيق: أنطوان محسن القوال، دار الجبل، بيروت، لبنان، ص76

(2) المصدر نفسه، ص77

(3) المبيضين، الأسرة في الشعر الجاهلي، ص185.

الفصل الثاني
الأخ سيداً ومحارباً

1.2 سيادة الأخ للقبيلة:

إن صورة سيد القبيلة تحتل مكانة عالية في الشعر الجاهلي، فقد أضفى الشعراء صفات تصل به أحياناً إلى مرتبة التقديس : "والسيد يمثل بطلاً عظيماً من أبطال القبيلة، وبه يقتدي بقية الأبطال، وقد وقف العرب طويلاً عند صفاته التي يجب أن يتصف بها، واشترطوا أن يكون جامعاً بجوانب البطولة المختلفة كأن يتحمل أذى قومه، ولذلك قيل للسيد (يحتمل أذى قومه)، وأن يكون شريفاً في أفعاله حليماً يغض نظره عن أعمال الحمقى والجهلة، وأن يتجاهل السفلة والسفهاء الجاهليين، فلا يغضب ولا يثور، وأن يكظم غيظه. جاء في المثل (احلم تسد). وأن يحترم الناس مهما كانت منازلهم، وأن يؤلف بينهم، ويكتسب محبتهم ، وأن يكون ملاذهم وأن يجعل بيته بيتاً للجميع، ومضيافاً لكل من يغد إليه من كبير أو حقير أ و صغير، وأن يفتح قلبه للجميع وعليه أن يكون في مقدمة القوم في الحروب والغزو، وأن يكون شجاعاً لا يهاب الموت، حتى يكسب النصر لنفسه ولقومه"[1].

ولهذا فإن الصفات التي يتحلى بها السيد مهمة ولا يشترط في سيد القبيلة أن تجتمع فيه كل الصفات السابقة فقد يتوفر له بعض هذه الصفات دون الأخرى ، وقد اختلفت شروط السيادة من قبيلة إلى أخرى قال الجاحظ في شرائع المروءة : "كانت العرب تسود على أشياء أما مضر فتسوّد ذا رأيها، وأما ربيعة فمن أ طعم الطعام، وأما اليمن فعلى النسب، وكان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والتواضع، والبيان، وصار في الإسلام سبقاً وقيل لقيس بن عاصم بِمَ سدت قومك؟ قال : ببذل الندى وكف الأذى ونصرة

---

(1) دراوشة، صلاح الدين أحمد، (2001)، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديواني المفضليات والأصمعيات، ط1، مكتبة الفجر، عمان، الأردن، ص90.

المولى وتعجيل القرى . وقسوده الرجل بالعقل والعفة والأدب والعلم . قال بعضهم: السؤدد اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة"[1].

وإذا طالعنا صورة الأخ السيد في الشعر الجاهلي فإننا نجد أبياتاً كثيرة ضمن قصائد كاملة تتحدث عن سيادته ومجده وعلو مكانته في القبيلة، بل قد يصل الحد من علو مكانته أن يكون سيد السادات وقد دانت له الناس وانقادت، ومن ذلك قول المهلهل بن ربيعة يصف أخاه كليباً[2]:

سَيِّدُ سادات إذا ضَمَّهُمْ مُعْظَمُ أَمْرٍ يومَ بُؤْسٍ وَضِيقْ
لَمْ يَكُ كَالسَّيِّدِ في قَوْمِهِ بَلْ مَلِكٌ دِينَ لَهُ بِالْحُقوقْ

ويبين المهلهل شرف الذ سب والمنزلة والشجاعة والإقدام التي تمثلت في شخص أخيه كليب، فيخضع له سادة الأقوام فقال[3]:

وَأَغَرَّ مِنْ وَلَدِ الأَرَاقِمِ مَاجِدٍ صَلْتِ الْجَبِينِ مُعَاوِدِ الأُقْدَامِ
خَلَعَ الْمُلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ شجرُ الْعُرَى وَعُرَاعِرُ الأَقْوَامِ

ومن خصال الأخ السيد أنه حليم يعفو عند المقدرة، كما أنه يحمي من يستجير به، وفي ذلك يقول المهلهل بن ربيعة واصفاً أخاه كليباً[4]:

وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ وَتَعْفُو عَنْهُمْ وَلَكَ اقْتِدَارُ
وَتَمْنَعُ أَنْ يَمَسَّهُمْ لِسَانٌ مَخَافَةَ مَنْ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ

وكان كليب يحمي أهله ويقودهم بشجاعة في مواجهة الجيش العظيم ، وما ذلك إلاَّ من فعل سادة القبائل ويقول المهلهل في ذلك[5]:

أَكُلَيْبُ مَنْ يَحْمِي الْعَشِيرَةَ كُلَّهَا أو مَنْ يَكُرُّ عَلَى الْخَمِيسِ الأَشْوَسِ

---

(1) الألوسي، بلوغ الإرب: 187/2.
(2) المهلهل، ديوانه، ص57.
(3) المصدر نفسه، ص83.
(4) المصدر نفسه، ص29.
(5) المصدر نفسه، ص49.

ويغضب المهلهل غضباً شديداً حين يعرض عليه أن يقدم له رجلاً ليقتله ثأراً بأخيه كليب، فيقول[1]:

قَتَلْتُمُ سَيِّدَ النَّاسِ وَمَنْ لَيْسَ بِذِي مِثْلِ
وَقُلْتُمْ كُفْؤُهُ رَجُلٌ وَلَيْسَ الرَّأْسُ كَالرَّجُلِ
وَلَيْسَ الرَّجُلُ الْمَاجِدُ مِثْلَ الرَّجُلِ النَّذْلِ

فيرى المهلهل أن أخاه في سيادته وعزته لا يعدله رجل ، بل إنه يعدل في مكانته ألف رجل من السادة وأصحاب الشأن والمنزلة الرفيعة:

فَتىً كَانَ كَأَلْفٍ مِنْ ذَوِي الإِنْعَامِ والْفَضْلِ[2]

وتتحدث الخنساء عن سيادة أخيها صخر ومجده وعلو مكانته في قبيلته ، كما تشير أيضاً إلى أنَّه شريف النسب فتقول[3]:

مُوَرَّثُ الْمجْدِ مَيْمونٌ نَقِيبَتُهُ ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ في العَزَّاءِ مِغْوَارُ
فَرْعٌ لِفَرْعٍ كَرِيمٍ غَيْرِ مُؤْتَشَبٍ جَلْدُ المَرِيرَةِ عِنْدَ الْجَمْعِ فَخَّارُ

وتجعل الخنساء من أخيها صخر سيداً يخضع له الناس جميعاً ويقومون له إجلالاً وتقديراً، فتقول[4]:

مَلِكٌ مَاجِدٌ يَقُومُ لَهُ النَّا سُ جَمِيعاً قِيَامَهُمْ لِلْهِلاَلِ

كما تُبين الخنساء تحلي صخر بالكرم الشديد الذي يصل إلى حد أنَّه يكفي قومه، والكرم من الصفات التي يجب أن يتحلى به سيد القبيلة، فتقول[5]:

وَإِنَّ صَخراً لَكَافِينَا وَسَيِّدُنَا وَإِنَّ صَخراً إذا نَشتُو لَنَحَّارُ

---

(1) المهلهل، الديوان، ص69.
(2) المصدر نفسه، ص69.
(3) الخنساء، الديوان، ص389.
(4) المصدر نفسه، ص347.
(5) المصدر نفسه، ص385.

وقد ساد صخر قبيلته بحمايته وشجاعته في الدفاع عن أهله في الحروب ، وفي ذلك تقول الخنساء[1]:

قَدْ كَانَ فِيكُمْ أَبُو عَمْرو يَسُودُكُمْ نِعْمَ الْمُعَمَّمُ لِلدَّاعِينَ نَصَّارُ
صَلْبُ النَّجِيزَةِ وَهَّابٌ إِذَا مَنَعُوا وَفي الْحُرُوبِ جَرِيءُ الصَّدْرِ مِهْصَارُ

وقد تتحقق السيادة للأخ في سن الشباب والفتوة ، وذلك لاجتماع الخصال التي تؤهله إلى سيادة قومه، ويظهر هذا المعنى في قول الخنساء في أخيها صخر[2]:

رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النِّجَا د سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا
إِذَا بَسَطَ القَوْمُ عِنْدَ الْفِضَالِ أَكُفَّهُمُ تَبْتَغِي الْمَحْمَدَا
وَكَانَ ابْتِدَارُهُمْ لِلْعُلَى أَشَارَ فَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَا
فَنَالَ الَّتِي فَوْقَ أَيْدِيهِمُ مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ انْتَمَى مُصْعِدَا

فهي تشير إلى ما يتصف به صخر من صفات الخير وطلب المجد مما جعله يسود قومه في سن الشباب.

وتؤكد الخَرْنَق بنت بدر في رثائها لأخيها طرفة بن العبد سيادته لقبيلته في سن الشباب، فتقول[3]:

عَدَدْنَا لَهُ خَمْساً وَعِشرِينَ حجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاها اسْتَوَى سَيِّداً ضَخْما

وإن قُتِل سيد القبيلة فإنَّ ذلك يعد جريمة شنعاء خاصة إذا كان قاتله من أبناء العمومة، وفي هذا المعنى يصور المهلهل عظم الأمر الذي قام به جساس، والمتمثل في قتل أخيه كليب سيد القوم[4]:

لَيْسَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْدُ فِي بَغْيِهِ غَبِطَ تَخْرِيقُ رِيحٍ خَرِيقْ
كَمَنْ تَعَدَّى بَغْيُهُ إِلَى قَوْمِهِ طَارَ إِلى ربِّ اللِّواءِ الخَفُوقْ
إِلَى رَئِيسِ النَّاسِ وَالْمُرْتَجَى لِعُقْدَةِ الشَّدِّ وَرَتْقِ الفُتُوقْ

---

(1) الخنساء، الديوان، ص380؛ النجيزة: الطبيعة.

(2) المصدر نفسه، ص143- 144.

(3) ابن هفان، الخرنق بنت بدر، (د.ت) الديوان، روايةأبي عمرو بن العلاء، تحقيق : يسرى عبدالغني عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص15.

(4) المهلهل، الديوان، ص54.

ولمكانة أخيه كليسيد القوم يطلب المهلهل من النساء أن يبكينه حزناً وألماً لفقده متسائلاً عمن سيكفل الأيتام بعده عند القحط، يقول[1]:

فَابْكِينَ سَـيِّدَ قَوْمِـهِ وَانْدُبْنَـهُ شُـدَّتْ عَلَيْـهِ قَبَـاطِيَ الأَكْفَـانِ
وَابْكِينَ لِلأيتَـامِ لَمَّـا أَقْحَطُـوا وَابْكِينَ عِنْـدَ تَخَـاذُلِ الْجِيـرَانِ

وتخاطب الخنساء عينيها وتلح عليهما بالبكاء على أخيها صخر سيد القـوم، فتقول[2]:

أَلا تَبْكِيَـانِ الجَرِيْءَ الجَميـع ألا تَبْكِيَـانِ الفَتَـى السَّيِّـدا

ومما سبق يتضح ما للأخ السيد من مكانة رفيعةتصل إلى أعلى الـدرجات ، بل قد تصل إلى حد التقديس.

وتتعالى صرخات الشاعرة ا لجاهلية وهي ترثي أخاها بأصـوات متـواترة، وآهات متوالية، فها هي رائطة بنت شيظم تتحسر علـى مقتـل أخويهـا الـسيدين الحاميين للأعراض، وتحزن على فراق كل ما عهدته منهما من مكـارم الأخـلاق، ونجدة وبأس، وحذق ورباطة جأش، تقول[3]:

لَهْفِـي عَلَـى الأَخَـوَينِ كَالأَسَـدَيْنِ مَـسْ عُودٍ وحـاتمْ
الـسَّيِّدَيْنِ المَـانِعَيْنِ الذَّائِـدَيْنِ عَـنِ المَحَـارِمْ
الفَـاتِقَيْنِ الـرَّاتِعَيْنِ الـسَّابِقَيْنِ إِلَـى المَكَـارِمْ

فهي ترى في أخويها صفات السيادة الحقة من الشجاعة التي هي من خصال الأسُود، ودفاعهما عن المحارم وسبقهما إلى المكارم.

---

(1) المهلهل، الديوان، ص88.

(2) الخنساء، الديوان، ص143.

(3) ابن منقذ، (1412هـ) المنازل والديار، تحقيق : مصطفى حجـازي، دار سـعاد الـصباح، القاهرة، مصر، ص448.

والرئيس قد يكون كاهناً أيضاً وقد لا يكون، ومع ذلك فهو مقدس .. وكان صخر بن عمرو بن الشريد الذي خلدته أخته الخنساء في رثائها يتكهن، وكان بنو سليم قد توجوه وأمروه عليهم"[1].

وتتوجع ناجية أخت هَرِمْ بن ضَمْضَم على موت أخيها الفارس السيد، فتقول في حسرة[2]:

يَلْهَفَ نَفْسِي لَهْفَةَ المَفْجُوعِ أَلاَّ أَرَى هِرَماً عَلَى مَوْدُوع

مِنْ أَجْلِ سَيِّدِنَا وَمَصْرَع جَنْبِه عَلَقَ الفُؤَادُ بِحَنْظَلٍ مَجْدُوع

ففقد الأخ السيد مصاب جلل، لذا فإن في هذا المصاب ألماً وحسرة تواجه الأخت التي كانت ترى فيه السيد والنصير.

"ولسادات القبائل بحكم منازلهم ومكانتهم في قومهم امتيازات وحقوق ولهم في مقابلها واجبات عليهم أدبيا تبعه القيام بها لرعيتهم، وهم أفراد القبيلة . وفي جملة حقوق سيد القبيلة حق المرباع، وهو حقه في أخذ ربع الغنائم إذا وقع الغزو"[3].

"ولسيد القبيلة حق (الحمى) هو من إمارات عزه وشرفه وسيادته . فكان إذا مر سيد القبيلة برمضة أعجبته، أو بغدير أعجبه، أعلن حمايته عليها أو عليه إلى حد يعينه ويثبته ، فلا يقترب أحد من ذلك الحد، وهو في ذلك مثل الملوك في هذا الحق ولهذا لم يتمتع بهذا الحق إلا سادات القبائل الكبار أصحاب العز والجاه وكثرة العدد، مثل (كليب وائل) سيد ربيعة، وكانت رئاسة مضر وربيعة له في أيامه، وكان من عزه أنه إذا مر بمكان أعجبه كنع كلباً له ثم رمى به هناك، فلا يسمع عواء ذلك الكليب أحد، فيقرب ذلك الموقع. فكان يقال: (أعز من كليب وائل)"[4].

---

(1) الشوري، مصطفى عبد الشافي، (1996)، الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ص68.

(2) الأصفهاني، الأغاني: 146/17، مودوع: فرس هرم، مجدوع: سيء الغذاء.

(3) علي، جواد، (د.ت) المفصلفي تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 5، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، 264/5.

(4) المرجع نفسه، ص267.

"وذكر إن (كليب وائل) كانتغطرساً، حتى كانت غطرسته هذه سبب قتله .
وإلى ظلمه وتعسفه، وأخذه الحمى، أشار العباس بن مرداس إلى ذلك بقوله[1]:

كَمَـــا كَـــانَ يَبْغِيهَـــا بِظُلْمِـــه مِنَ العشزِّ حَتَّى طَاحَ وَهُوَ قَتِيلُها
على وائلٍ إذ يتركُ الكَلبَ نابحاً وإذ يمنع الأقناء منهـــا حلولهـــا "

ولعل في الإشارة السابقة ما يبين أنه ليس من الضروري اجتمـــاع وتـــوافر الصفات النبيلة كلها للأخ السيد وهذا ما وجدناه في كليب وائل الذي مال عن العدل بظلمه.

ويحاول الأخ أن يُ ضفي صفات السيادة التي يراها في أخيه الفقيد ومن ذلـــك قول لبيد بن ربيعة في رثائه لأخيه أربد[2]:

مِنْ كُلِّ كَهْلٍ كَالسنان وسيِّد صَعْبَ المقادَةِ كالفَنِيقِ المصْعَب

فيصف أخاه بأنه لا يقاد لكرامته على أهله وهذه من صفات السيادة.

ومن مظاهر الشرف والسيادة أيضاً عند الجاهليين أن يكون رأي السيد مطاعاً في قبيلته، تقول الخنساء[3]:

ورَأيُه حُكْمٌ وفي قوله مَواعِظٌ يُذْهِبْنَ دَاءَ العَلِيلْ

ومن خلال النماذج السابقة لصورة الأخ السيد في الشعر الجاهلي نجد أن أنه قد حظي بمكانة عالية تصل إلى حد التقديس بما توافر فيه مـــن شـــروط الـــسيادة وخصالها وإن لم تكتمل فيه كلها ولكن كان جديراً بالسيادة.

2.2 صورة الأخ في الحرب:

إن إتقان فنون القتال والبطولة الحربية التي تقوم على الكر على العدو مظهر شجاعة وقوة وهي صورة نراها تتكررفي الشعر الجاهلي ، حيث إن حياة العـــرب

---

(1) السلمي، العباس بن مرداس، (1991) الديوان، تحقيق : يحيى الجبوري، مؤسسة الرســـالة، بيروت، لبنان: 85.

(2) العامري، لبيد بن ربيعة (ت: 35هـــ)، (1984) الديوان، ط 2حققه وقـــدم لـــه : إحـــسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ص157.

(3) الخنساء، الديوان: 309.

في الجاهلية قائمة على الحروب والنزاعات بين القبائل لأسباب شتى وعندما نتناول صورة الأخ المحارب المقاتل فإنا نجدها بارزة في شعر الرثاء ومن ذلك قول المهلهل بن ربيعة في رثاء أخيه كليب ، حيث يصور براعة أخيه في قيادة القبائل يوم خزاز وفيه قهرت ربيعة ومضر جموع اليمن، فيقول[1]:

مَنْ عَرَفَتْ يَوماً خزازٌ له عُلْيا مَعَدٍّ عِنْدَ أَخْذِ الْحُقُوقْ
إذْ أَقْبَلَتْ حِمْيَرٌ في جَمْعِها وَمَذْحِجٌ كَالْعارضِ الْمُسْتَحِيقْ
وَجَمْعُ هَمْدانَ لَهُ لَجَبَةٌ وَرَايَةٌ تَهْوِي هُوِيَّ الأَنُوقْ
تَلْمَعُ لَمْعَ الطَّيرِ رَاياتُهُ عَلى أَواذِي لُجٍّ بَحْرٍ عَمِيقْ
فَاحْتَلَّ أوزَارَهُم أَزْرُهُ بَرأْيِ مَحْمودٍ عَلَيهِمْ شَفِيقْ
وَقَدْ عَلَتْهُمْ لِلِّقا هَبْوَةٌ ذَاتُ هِيَاجٍ كَلَهِيبِ الحريقْ
فَقَلَّدَ الأَمْرَ بنو هَاجِرٍ مِنْهمُ رَئِيساً كالْحُسامِ الْبَرِيقْ
مُضْطَلِعا بالأَمْرِ يَسْمُو له في يومٍ لا يَنْسَاغُ حَلْقٌ بَرِيقْ
ذَاك وَقَدْ عَنَّ لَهُمْ عَارِضٌ كَجُنْحِ لَيلٍ في سَمَاءٍ بَروقْ
فَانْفَرَجَتْ عَنْ وَجْهِهِ مُسْفِراً مُنْبَلِجاً مِثْلَ انبلاجِ الشُّروقْ
فَذَاكَ لا يُوفِي بِه غَيْرُهُ وَلَيْسَ يُلْقَى مِثْلُهُ في فَرِيقْ

فيصف المهلهل أخاه كليباً بحسن القيادة ودرايته بالحروب وخوضها وعدم مهابته للقاء عند اشتداد المعركة فيحقق النصر للقبيلة تحت قيادته.

وفي قصيدة أخرى يصف المهلهل أخاه كليباً بقدرته على الهجوم على الفرسان المدججين بالسلاح، وكيف أنه يضرب الكتيبة بالسيف ضرباً متتابعاً بكل مهارة وتمكن من فنون المبارزة والضرب بالسيف، فيقول[2]:

وَكُلَيْبٍ سُمِّ الْفَوارِسِ إذ حُمَّ رَمَاهُ الكُمَاةُ بالأيفَاقِ
ارِفَنٌ يَضْرِبُ الكَتيبةَ بالسَّيفِ دِرَاكاً كَلاَعِبِ المِخْرَاقِ

(1)المهلهل، ديوانه، ص 54، 55، 56؛ المستحيق: المحيط؛ اللجية:ارتفاع الأصوات؛ الهفوه : التقطع؛ الهبوة: الغبار؛ لا ينساغ حلق بريق: كناية عن جفاف الفم من الخوف.

(2) المصدر نفسه، ص61، دراكاً:أي ضرباً متتابعاً، المخراق : خرقة تقتل يتضارب بها الأولاد، الكماة: جمع كمي، وهو الفارس المدجج بالسلاح.

وتصف الخنساء براعة أخيها معاوية في قتال جمـوع الأبطـال وضـربهم بالسيف، فتقول[1]:

وَخَيْلٍ تَكَدَّسُ مَشْيَ الوُعُولِ نَازَلْتَ بِالسَّيْفِ أَبْطَالَهَا

وتصفـفي القصيدة نفسها قوة أخيها معاوية ومهارته في القتال عندما تتكدس الخيول ويلتقي الفرسان ، فتفر الخيل من أمامه ويطعنها في ظهورها فتفزع النـساء وتولي هاربة، ومعاوية يتعقب الكتيبة بشجاعة يرميها بالرماح[2]:

بِمُعْتَـــرك بَيْنَهـــا ضَـــيَّقٍ مَجَـــرِّ الْمَنَيِّـــةِ أَذْيَالَهَـــا
تُطَاعِنُهَـــا فـــإذا أَدْبَـــرتْ بَلَلْـــتَ مِـــنَ الـــدَّمِ أَكْفَالَهـــا
وَبِـــيضٍ مَنَعْـــتَ غَـــداةَ الـــصَّيَا حِ تكْـــشِفُ لِلـــرَّوعِ أَذْيالَهـــا
وَهَـــاجِرةٍ حَرُّهَـــا واقِـــدٌ جَعَلْـــتَ رِدَاءَكَ أَظْلاَلَهـــا
وَصَـــخْرةٍ بَلْـــغٍ تَعَرْقَبْتَهـــا عَـــسِيراً فَأَسْـــرَعْتَ إِذْلاَلَهـــا
لَهـــا مِـــشْفَرٌ سَـــابِغٌ طُولُـــهُ وَلاَ عَـــيْنَ فِيهـــا وَلاَ فَالَهـــا
وَمُجْمِعَـــةٍ سُـــقْتَهَا قَاعِـــداً فَأَعْلَمْـــتَ بِـــالرُّمْحِ أَغْفَالَهـــا

وفي قصيدة أخرى رثت الخنساء أخاها صخراً فأشارت إلى قدرته على قيادة الجيش في قوة وشدة، وتضفي عليه صفات الجمال وبلاغة القول التي تزيد من شأنه في قيادته للجيش، فتقول[3]:

جَلْـــدٌ جَمِيـــلُ الْمُحَيَّـــا كَامِـــلٌ وَرِعٌ وَللْحُروبِ غَدَاةَ الـــرَّوْعِ مِـــسْعَارُ
حُلْـــوٌ حَلاَوَتُـــهُ فَـــصْلٌ مَقَالَتُـــهُ فَـــاشٍ جَمَالَتُـــه لِلْعَظْـــمِ جَيَّـــارُ
حَمَّـــالُ أَلْوِيَـــةٍ هَبَّـــاطُ أَوْدِيَـــةٍ شَـــهَّادُ أَنْدِيَـــةٍ لِلْجَـــيْشِ جَـــرَّارُ

---

(1) الخنساء، ديوانها، ص86.

(2)المصدر نفسه، ص 92، 93، 94، 95؛ المشفر: لا يقال إلا للبعير، وإنما قيل مشافر الجـيش تشبيهاً بمشافر الإبل.

(3) المصدر نفسه، ص387.

ويقول أعشى بـ اهله في رثاء أخيه المنتشر مبرزاً صفات الشجاعة والإقـدام والدهاء في الحروب، فهو يغير على الأعداء ويصبحهم قبل طلوع الشمس[1]:

أَخُو حُرُوبٍ وَمِكْـسَابٌ إِذَا عَـدمُوا وفي المَخَافَةِ مِن هُ الجِـدِّ والحَـذَرُ
مُرْدِي حُروبٍ شِهابٌ يُستضَاءُ بـهِ كَمَا أَضَاءَ سَـوادُ الّطَيخَـةِ القَمَـرُ
لاَ يأمنُ النـاسُ مَمْـساهُ وَمَـصبَحَه في كُلِّ فَجٍّ وَإِنْ لَـمْ يَفْـزُ يَنْتَظِـرُ
المُعَجِّلُالقَـومَ إذ تَغلِـي مَـرَاجِلُهُمْ قبلَ الصَّبَاحِ ولمايَفْـسحِ البَـصَرُ

ويصف عمرو بن كلثوم مهارة أخيه مُرَّة وفروسيته وقدرته علـى الـبطش بالعدو في ساحة القتال، فيقول[2]:

وَلَمْ تَرَ عَيْني مِثْـلَ مُـرَّةَ فَارسـاً غَداةَ دَعَا السَّفَاحُ يا لَبَنـي الـسِّجْبِ
وَمَا كَانَ مِنْ أَبْنـاءِ تَـيْمٍ أَرُومَـةً لاَ وعَبْدِ وُدٍّ في النِّصابِ وَلاَ الصُّلْبِ
وَزَلَّ ابنُ كُلْثُومٍ عَنِ العَبْـدِ بَعْـدَمَا تَبَرَّا لَهُ مِـنْ خَالِـدٍ وَبَنـي كَعْـبِ

ويصف بشر بن أبي خازم أخاه سميراً بأنَّه صاحب مهارة قياديـة يـستطيع اجتياز الصحراء، فيتبعه الفرسان مسرعين والخيل تثير الغبار، فيقول[3]:

والْقَائِدَ الخَيْلَ في المَ فَـازَةِ والْـ ـجَدْبِ يُـسَاقُونَ خِلْفَـةَ سَـرَعَا
اللاَّبِسَ الخَيْلَ في العَجَاجَـةِ بِالـ ـخَيْلِ تَـسَاقَى سِـمَامَها نُقَعَـا

---

(1) العواجي، محمد بن جرمان، (1415هـ) القيم الإنسانية في شعر الرثـاء الجـاهلي، ط 1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة، السعودية، ص 95، القرشي، أبو زيد محمد بن أبـي الخطاب، (د.ت) جمهرة أشعار العرب، حققه : محمد علي الهاشـمي، دار القلـم، دمـشق، سوريا، ص255، مردي: الذي يردى به في الحروب.

(2) ابن كلثوم، الديوان، ص85.

(3) ابن أبي خازم، بشر، (1972) الديوان، ط 2، تحقيق عزة حسن، وزارة الثقافـة، دمـشق، سوريا، ص84.

وتصف أسماء بنت ربيعة أخاها كليباً مشيرة إلى بطولته في القتال ، حيث تفر خيول الأعداء من مهابته[1]:

بَطَـــلٌ ضِـــرْغَامَةٌ حِـــينَ بَـــدَا تَحتَـــهُ الأَشْـــقَرُ مِثْـــلَ التَّنفُـــل
مَنْ تَفِرُّ الخَيلُفِـــي الـــرّوع لَـــهُ بَطَـــلٌ مثـــل هِزْبَـــرٍ مُـــشبَلِ

وتقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب واصفة أخاها في القتـــال بقـــوة فتكـــه بأقرانه حتى إن الحسناء في السبي تخرج خاضعة له[2]:

المخرجُ الكَاعِبَ الحَسْنَاءَ مُذْ عِنَـــةً في السَّبْي يَنْفَحُ مِنْ أَرْدَانِها الطِّيـــبُ
فَلَمْ يَرَوْا مِثْلَ عَمْرٍو مَا خَطَتْ قَدَمُ وَلَنْ يَرَوْا مِثْلَـــه مَـــا حَنَّـــتِ النِّيـــبُ

كما تصف أخاها عمراً في ساحة القتال التي يصول فيها الفرسان المدججون بالسلاح فيواجههم بشجاعة وقوة دون خوف، فتقول[3]:

فَمَا بَلَغَتْ مِـــدْحَتِي لامـــرِئٍ يَـــزُمُّ الكُمـــاةَ وَيُعْطـــي النّـــوالاَ
وَيَنْزِلُ في غَمَرَاتِ الحُـــرُوبِ إِذَا كَـــرِهَ المُحْجِمُـــونَ النِّـــزَالا

وقالت عمرة أخت عمرو ذي الكلب الهذلي واصفة قوة طعنة أخيها للأعـــداء أثناء القتال، فتسيل الدماء فتتبعه النسور وهي موقنة بأنها ستجد طعامها المنشود[4]:

الطَّاعِنُالطَّعْنَةَ النَّجْلاَءَ يَتْبَعُها مُتَعَنْجِرٌنَمِدَمِ الأَجْوَافِ مَـــسْكُوبُ
تَمْشِي النُّسُورُ إِلَيه وَهِيَ لاَهِيَةٌ شَمْيَ العَـــذَارَى عَلَـــيهِنَّ الجَلابِيـــبُ

---

(1) ميدان، أيمن محمد، (1995)، شعر تغلب في الجاهلية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مصر، ص212.

(2) الهذليين، (1965)، ديوان الهذليين، الدار القوميـــة للطباعـــة والنـــشر، القـــاهرة، مـــصر، ص121.

(3) ماردِيني، رغداء، (2002)شواعر الجاهلية، ط 1، دراسة نقديـــة، دار الفكـــر المعاصـــر، بيروت، لبنان، ص236.

(4) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت: 284هـــ)، (1967)، الحماسة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص275.

وقالت أمية بن ضرار ترثي أخاها قبيصة بن ضرار واصفة قوة طعنته للعدو في القتال[1]:

الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاَءَ عَنْ عُرُضٍ كَأَنَّهـا قَبَـسٌ بِاللَّيـلِ مَسْعُـورُ

وتصف ريطة بنت العباس السلمي أخاها الفارس الذي قتله بنو خثعم، وقد كان فارساً يورد الخيل ويرسلها زهواً وكل مقاتل بعده يرى قلقاً لأن أخاها كان ركن الحي في كل أزمة وعصمتهم، فتقول[2]:

لَعمري وَمَا عُمْري لعَـيَّ بهـيِّن لَنِعْمَالفتـى أرديـتمُ آل خَثْعَمَـا
فَأمسى الحَوامي قَدْ تقفـينَ بعـدهُ وَكَانَ الحَصَى يكسو دَوَابرها دَمَا
وَيَنهضُ للعليا إذا الحربُ شَـمرتْ فَيطفئُها قِهاً وإن شَ اءَ أَضْـرَمَا

وقالت ريطة أخت تأبط شراً تصف أخاها بأنه فارس الميدان يقتل أقرانه ويحمي ظهور إخوانه في القتال[3]:

يُجَدِّلُ الْقِرْنَ وَيَرْوِي النِدْمَانْ ذُو مَأْقِطٍ يَحْمِي وَرَاءَ الإخوان

وتشير سعدى بنت الشمردل إلى شجاعة أخيها أسعد ومهارته في القتال، وحنكته وبراعته في قيادة الجيش، وذلك في قولها[4]:

سَبَّاقُ عَادِيَةٍ ورأسُ سريَّةٍ وَمُقَاتِلٌ بَطَلٌ وَدَاعٍ مُسمعُ

وقال قيس بن عيزارة يرثي أخاه الحارث بن خويلد مبرزاً قوته وجلده في القتال[5]:

وَأَبِيْكَ إِنْ الحَارِثَ بِنْ خُوَيلد لأَخو مُدَافَعَةٍ لَهُ مَجلودُ

ومهما يمكن من أمر، فقد برزت صورة الأخ في قصائد الرثاء الجاهلي مقاتلاً مجيداً لفنون القتال والقيادة بما تستلزم من شجاعة وجلد.

---

(1) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص301.

(2) المرجع نفسه، ص191.

(3) الرديني، شواعر الجاهلية، ص 255، القِرنُ: النظير في الشجاعة والحرب، والأقط مكان الحرب، أرادت أنه فارس ميدان.

(4) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص126.

(5) الهذليين، الديوان، ص73.

وتصف رائطة بنت شيظم براعة القتال والفتك بالعدو عند أخويها، فتقول[1]:

الضَّارِبَيْنِ جَمَاجِمَ الأَبْطَالِ بِالْبِيضِ الصَّوَارِمْ
والطَّاعِنَيْنِ بِــكُلِّ مَــا رِنَةٍ وَقَاصِمةٍ وَقَاصِمْ
حدَقَ الفَوارِسِ بِالأسِنّةِ والْقُلُوب لدَى الغلاصمْ

فترى أخويها في ميدان القتال وهما يــضربان رؤوس الأبطــال بالــسيوف ويطعنان بالرماح فيصيبان قلوب الخصوم.

وتصف أم الصريح الكندي إخوتها بالثبات في ميدان المعركة والإقدام علــى مقارعة الأبطال والصبر على الموت، دون أن تستخدم ألفاظاً تدل دلالة مباشرة على ما قصدت من معان، تقول[2]:

أَبَوْا أَنْ يَفِرُّوا، والْقَنَا في نُحُورِهم فَمَا تُوا وَأَطْرافُ القَنَا تَقْطِرُ الدَّماً

وتصف مية بنت ضرار الضبية أخاها على صهوة جواده في شجاعة، فتقول:

تَرَاهُ عَلَــى الخَيْــلِ ذَا قُدْمــةٍ إِذَا سَــرْبَل الــدَّمُ أَكْفَالَهــا
وَخَلَت وُعُــولاً أَشــارى بهــا وَقَدْ أَزْهَقَ الطَّعْــنُ أَبْطَالَهــا
وَلَمْ تَمْنعِ الحَــيَّ رَثُّ القُــوَى وَلَمْ تُخْفِ حَــسْنَاءُ خُلْخَالَهــا

تقدم لنا الراثية وصفاً دقيقاً لحركة أخيها داخل ميدان المعركة، فتقدمــه لنــا فارساً يَقْدُم قومهكراً على عدوه إذا قمص الدم أكفال الخيل، وهجم الطعــن علــى الأبطال، وعزت المنعة وأخرج الخوف الحسناء من خبائها ، فطلبت ملجأ تلجأ إليــه لتصون عرضها[3].

وتصف أم عمرو بن مكدم أخاها ربيعة بن مكدم بالفروسية وشجاعة القتــال في الحروب المهلكة وتفاضل به الآخرين من القتلى بأنه خير منهم، فتقول[4]:

، هُوَ خَيْرٌ مْنَ أَخِــيكُنَ مَالِــكٍ إِذَا احْمَرَّطْرافُ الرِّمَاح مِنَ الــدم

---

(1) ابن منقذ، المنازل والديار، ص449، الغلاصم: الغلصمة: رأس الحلقوم والجمع: الغلاصم.

(2) الصباري، خميس بن ماجد بن خميس، (2006)، فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية، رســالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص53.

(3) المرجع نفسه، ص59، 60، أشاري: جمع أشران من الأشر، وهو البطر.

(4) المرجع نفسه، ص61، وانظر: الأصفهاني، الأغاني: 40/16.

وَشَبَّتْ حُرُوبٌ بَيْنكُ مْ وَتَقَــصَّفَتَ عَوالِيأيدِي شــجْعَةٍ غَيْــر لُــوَّمِ

وتصف عمرة بنت شداد أخاها بقوة الطعن في ميدان القتال قائلة:

قَدْ يَطْعَن الطَّعنَةَ النَّجْلاءَ يَتْبَعُهــا مــضَرّج بَعْــدَها تَغْلْــي بإزبــاد

وَيَتْركُ القِــرْنَ مُــصْفراً أَنَاملُــه كَــأَنَّ أَثْوَابَــه مُجَّــت بفرصــاد

فهو يطعن الط عنة المميتة التي يصيب بها مقتلاً من عدوه، يغلي على إثرهــا دمه غلي المرجل على النار، فيموت مصفراً أنامله ملونة ثيابه بالدم، ولم يكن عدوه ضعيفاً، بل كان مكافئاً له في الشجاعة، لأن إظهار قوة الخصم، هي إظهــار لقــوة الممدوح[1].

وتشير سعدى بنت الشمردل إلى استبسال أخيها في القتال، فتقول[2]:

جَادَ ابْــنُ مجدَعَــةَ الكمــي بِنَفْــسِهِ وَلَقَــدْ يَــرى أَنَّ المَكْــرَ لأَشْــنَعُ

وَيُلُمِّــهِرَجُــلاً يليــذ بِظهــرِه إِبــلاً ونــسَّال الفَيَــافِي أَرْوَعُ

ويصف المتنخل أخاه عويمراً بالقوة في مقاتلة أقرانه، فيقول[3]:

لَعَمــرُكَ مــا إنْ أَبُــو مَالِــكٍ بــوانٍ ولا بِــضَعِيفٍ قُــوَاهُ

وَلاَ بألَــدَّ لَــهُ نَــازعٌ يُغَــارِي أَخَــاهُ إذا مــا نهــاهُ

وتصف أسماء أخت كليب وائل أخاها في وقت اشــتداد الحــرب وصــياح الفرسان كيف يكون كالجبل قوياً شامخاً يهاجم أقرانه بلا خوف وسط الغبار المثار، فتقول[4]:

طَوْدَ عِزٍّ وَهُماماً في الْوَغِى يَمْنَعُ الأَقْرانَ وَسْطَ القَسْطَلِ

---

(1) الصباري، فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية، ص70.

(2) المرجع نفسه، ص77، 78.

(3) ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ)، (د.ت)، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 660، انظر: الهذليين، الديوان، ص79.

(4) ميدان، شعر تغلب في الجاهلية: ص212.

وفي موضع آخر تصفأفه بطل في القتال مثل الأسد ممتطياً جواده الأشقر السريع المراوغ مثل الثعلب ، فتفر الخيل من روع المعركة وشدتها ويثبت الأشقر مع فارسه البطل، تقول في ذلك[1]:

بَطَلٌ ضِرْغَامَةٌ حِينَ بَدَا تَحْتَه الأَشْقَرُ مِثْلَ التَّنْفُلِ

مَنْ تَفِرُّ الخيْلُ في الرّوع له بَطَلٌ مثل هِزْبرٍ مَشْبِلِ

مما سبق نجد أن صورة الأخ المحارب هو البطل الذي يقتحم المخاطر ولا يهاب الأعداء، يهجم على العدو ضارباً بالسيف طاعناً بالرمح، يذود عن القبيلة حامياً لظهور إخوانه في المعركة . ولا شك في أن الصلة وثيقة بين السيادة والفروسية، فمن شروط السيادة أن يكون السيد قادراً على خوض المعارك وقيادة القبيلة لتحقيق النصر على العدو.

(1) ميدان، شعر تغلب في الجاهلية، ص212.

الفصل الثالث

رثاء الأخ

الرثاء فن شعري يعبر عن خلجات النفس الإنسانية، ويتجه إلى القلوب قبل العقول؛ لأنه انفعال وجداني وإنساني بلحظة الفقد، ويمكن توضيح مفهوم الرثاء دون التعمق في مدلولات اللفظ اللغوية كما يلي:

"قيل رثى فلان فلاناً يرثيه رثيا ومرثية : إذا بكاه بعد موته، ورثيت الميت رثياً ورثاء ومرثاة ومرثية : مدحته بعد الموت وبكيته، وعدد ت محاسنه ونظمت فيه شعراً.

وقيل رثّاه (بتشديد الثاء) مخصوص بالمدح بعد الموت، ومن دون تشديد مخصوص بالبكاء، وقيل امرأة رثاءة ورثاية، أي كثيرة البكاء والرثاء...

والمفهوم العام للرثاء: هو صناعة الشعر في المرثي بكاءً وندباً وعزاءً"[1].

وعند مطالعة قصائد الرثاء في الجاهلية نجد أن أقوى القصائد كانت في رثاء الأخ، وكانت تفيض بالحزن والألم والحسرة والدموع دون توقف ؛ لأن رابطة الإخوة قوية، حيث ينشأ الإخوة منذ الطفولة تربطهم عاطفة الحب والمودة، ويكون الأخ سنداً وعوناً لأخيه في الشدائد والملمات، حيث يترك عند الأخ أثراً كبيراً في النفس، وألماً لا يمكن احتماله فيولع الأخ أو الأخت بالبكاء والصراخ والأنين والندب.

1.3 البكاء والندب:

لم يقتصر البكاء على النساء في رثاء الأخ بل شمل الرجال أيضاً، وإن كانت المرأة أكثر جزعاً وانفعالاً في التعبير عن الحزن والألم والحسرة فإن الرجل أيضاً لم يستطع إخفاء ألمه الشديد على فقد أخيه.

---

(1) جمعة، حسين، (1991) الرثاء في الجاهلية والإسلام، ط 1، دار العلم، دمشق، سوريا: 488/2، واللسان (رثى).

ويعد بكاء المهلهل بن ربيعة على أخيه كليب من أقدم البكـــاء فـــي الـــشعر الجاهلي، فقد بكاه ليلاً ونهاراً ومن ذلك قوله[1]:

أَهَاجَ قَذَاءَ عَيْـــي الأذَّ كَـــارُ هُدُوًّا فَالدُّمُوعُ لَهَـــا انْحِـــدَارُ
وَصَارَ اللَّيلُ مُشتَمِلاً عَلَيْنَا كَأَنَّ اللَّيلَ لَـــيْسَ لَـــهُ نَهـــارُ
وَبتُّ أُراقِبُ الجَوْزَاءَ حَتَّـــى تَقَارَبَ مِن أَوائِلِها انْحِـــدَارُ
أُصَرِّفُ مُقْلَتي في إِثرِ قَـــوْمٍ تَبَايَنَت البِلادُ بِهِـــم فَ غَـــارُوا
وَأَبْكِي وَالنُّجُـــومُ مُطَلِّعـــاتٌ كَأَنْ لَم تَحْوِها عَنِّي البِحَـــارُ

إن ذكرى مقتل أخيه لا تفارقه وتهيج في قلبه الآلام والأوجاع فتنحدر دموعه كالسيل، ولا تكف دموعه طوال الليل كأن الليل ليس نهاراً.

ويستبد به الحزن والألم الشديد فيرفع صوته منادياً أخاه كليبـــ اً فـــلا يجيبـــه ويحاول مرة ومرة والحزن يعتصر قلبه، فيقول[2]:

دَعَولكُ يا كُ لَيبُ فَلَمْ تُجِبْني وكَيْفَ يُجِيبُنِي البَلَدُ القِفَارُ
أَجِبْني يَا كُلَيبُ خَـــلاَكَ ذَمٌ ضَنِينَاتُ النفُوسِ لَها مَزارُ
أَجِبْني يَا كُلَيبُ خَـــلاَكَ ذَمٌ لَقَدْ فُجِعتْ فِارسها نِـــزارُ

وما تزال عينا المهلهل تذرفان الدمع بلا انقطاع على أخيـــه كليـــب ، وكـــأن رموش العين من الشوك الذي يؤلم العين فتذرف الدموع بشدة، وفي ذلك يقول[3]:

أَبَتْ عَيْنَايَ بَعدَكَ أَنْ تكُفَّا كَأَنَّ غَضَا القَتادِلها شِـــفارُ

ومما يهيج العين بالبكاء أن كليباً يغطيه التراب ،والرياح تأتي محملة به فتزيد من كم التراب الذي يغطيه فيقول[4]:

وَلِعَينٍ تَبَادَرَ الـــدَّمْعُ مِنْهـــا لِكُلَيبٍ إِذْ فَاقَهَـــا بِانْهِمَـــالِ
لِكُلَيـــبٍ إِذْ الرِيـــاحُ عَلَيْـــه نَاسِفَاتُ التُرابِ بَالأذيـــالِ

---

(1) المهلهل، الديوان، ص28.

(2) المصدر نفسه، ص29.

(3) المصدر نفسه، ص29.

(4) المصدر نفسه، ص71.

ويشتد الحزن والألم بالمهلهل فيتمنى أن تزول الحياة عن كل ما في الأرض، وتنطبق السماء على الأرض، ويجعل منازل السلان تبكي كليباً، فيقول[1]:

نَعَى النَّعاةُ كُليباً لِـــي فَقُلْـــتُ لَهُـــم مَادَتْ بِنَا الأَرضُ أَمْ مَادتْ رَواسِيهَا
لَيتَ السَماءُ لَعَى من تَ حتَها وَقَعتْ وَحَالتْ الأَرضُ فَانْجَابَت بِمنْ فِيهَـــا
أَضْحتْ مَنازِلُ بِالسْلانِ قَدْ دَرَسَتْ تَبْكِي كُلَيباً وَلَـــمْ تَفَـــزَع أَقاصِـــيهَا

أما الخنساء فقد بلغ رثاؤها مبلغاً كبيراً لا يعدلها فيه أي رجـــل فـــي اللوعـــة والحزن والأسى والبكاء ، وتكثر من مخاطبة عينيها طالبة منهما عدم الكف عن الدموع حزناً على فقد أخيها صخر فتقول[2]:

أَلاَيا عَينُ فَانهَمِرِي بِغَـــزرِ وَفِيضي عَبرةً مِن غَيـــر نَـــزرِ
وَلا تَعدِي عَزَاءً بَعدَ صَـــخرٍ فَقَد غُلِبَ العَزَاءُ وَعِيل صَبرِي

وتسهر الخنساء ليلاً، حيث لا يأتيها النوم تبكي أخاها صخراً بدمع غزير وتحث عينيها على ذرف الدموع فتقول[3]:

يَا عَينُ جُودي بِدمعٍ مِنكِ مِغزار وَابْكِي لِصَخرٍ بِدمعٍ مِنكِ مِدْرارِ
إِني أَرِقتُ فَبِتُ اللَّيـــلَ سَـــاهرةً كَأَنما كُحلـــتْ عَيَـــي بِعُـــوَّارِ
أَرعى النّجُوم وَما كُفلتُ رَعِيتَها وَتارةً أَتَغشَى فَـــضلَ أَطْمـــارِي

وهي تحاول أن يأتيها النوم فلا يأتيها وتتغطى بفضل أطمارها لأنها لا تلـــبس جديداً حزناً على قتل صخر أخيها.

وتبدأ في قصيدة أخرى بالبكاء بدموع تنسكب كالمطر فتقول[4]:

مَا بَالُ عَينكِ مِنْها المَاءُ مُهـــرَاقُ سَحّاً فَلا عَـــازِبٌمنهـــا ولا رَ اقِ
تَبْكي عَلى هَالِك وَلّـــى فَـــأَورثَنِي عِنْد التَّفرُقِ حُزنَـــا حَـــرهُّ بَـــاقِ
لَو كَانَ يَشفِي سَقيماً وَجْدُ ذِي رَحمٍ أَبقى أَخِي سَالماً حُزْنَي وإِشْـــفَاقي

---

(1) المهلهل، الديوان، ص91.

(2) الخنساء، الديوان، ص177.

(3) المصدر نفسه، ص290، أتغشى: أتغطى، ومنه (واستغشوا ثيابهم).

(4) المصدر نفسه، ص304.

وتصر على البكاء كلما ناحت مطوقة على غصن شجرة، وطالما مشت ليلاً على رجلها فتبكي أخاها بعين أصابها الحزن والأسى لا يجف مجراها، فتقول[1]:

لأَبكِينَّكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ ... وَمَا سَرَيتُ مع السَّارِي عَلى سَاقِ

تَبكِي لِفُرقَتِهِ عَينٌ مُفَجَّعَةٌ ... مَا إِن يَجِفُّ لها مِنْ ذِكْرِهِ مَاقي

وفي قصيدة أخرى تحث عينيها على الجود بالبكاء وتلح عليهما، فتقول[2]:

يَا عَينُ جُودِي بالدُّمُوعِ الهُمُولْ ... وَابْكِ لِصَخرٍ بالدُّمُوعِ الهُجُولَ

لاَ تَخْذُلِيني حِينَ جَدَّ البُكَا ... فَليس ذَا يَا عَيْنِ حِينَ الخُذُول

وَابكِ أَبَا حَسَّانَ واستعبِرِي ... عَلَى الجَرِيء المُستَضَافِ المُخِيل

وفي قصيدة أخرى تبدأ فيها بحث عينيها على البكاء ليلاً في وقت يهدأ فيه الناس، ويهمون بالنوم فتسمع صوت هديل الحمام على الغصون فتجدد عليها الآلام والأحزان، وكلما سمعت معولة تبكي لأحد مجروح، فتقول[3]:

يَا عَينُ جُودِي بِدَمعٍ مِنْكِ مُهْرَاقِ ... إِذَا هَدَا النَّاسُ أَو هَمُّوا بِإِطرَاقِ

إِني تُذَكِّرنِي صَخراً إِذَا سَجَعَتْ ... عَلَى الغُصُونِ هَتُوف ذَاتُ أَطوَاقِ

وَكُل عَبْرَى تَبيتُ اللَّيلَ مُعوِلَةً ... تَبكِي لِكُلِّ جَرِيحِ القَلبِ مُشتَاقِ

وتفيض عينا الخنساء بالبكاء في قصيدة أخرى لتجدد الذكرى التي تبقى أبداً منبع الحزن والدموع، فتقول[4]:

مَا هَاجَ حُزنكَ أَمْ بالعَيْنِ عُوَّارُ ... أَم ذَرَّفتْ إِذ خَلَت من أَهْلِها الدَّارُ

كَأَنَّ عَيني لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرتْ ... فَيضٌ يَسِيلُ عَلَى الخَدَّينِ مِدْرَارُ

وتبكي العين بحرقة وهي ترى التراب يغطي جسد صخر فتعاهد الخنساء نفسها أن تبكيه أبد الدهر، فتقول[5]:

---

(1) الخنساء، الديوان، ص305.

(2) المصدر نفسه، ص306-307، الهجول: التي تصب صباً كثيراً.

(3) المصدر نفسه، ص344-345.

(4) المصدر نفسه، ص378.

(5) المصدر نفسه، ص379.

تَبكِي لِصَخرٍ هي العَبرَى وَقَدْ وَلِهَت وَدُونَهُ مِن جَدِيدِ التُّربِ أَستارُ
تَبكي خُنَّاسُ فَما تَنفكُّ مَا عَمَرت لَها عَلَيه رنينٌ وَهيَ مِفْتارُ
تَبكي خُنَّاسُ على صَخرٍ وَحَقَّ لها إِذ رَابها الدَّهرُ إِنَّ الدَّهرَ ضَرَّارُ

ولا شك أنَّالحزن يؤرق ويمنع النوم ، فهذا معد يكرب يرثي أخاه المقتول شرحبيل فيقول:

إِنَّ جَنبِي عَنِ الفِراشِ لَنَابِ كَتَجافِي الأَسَرِّ فَوقَ الظِّرابِ
مِن حَدِيثٍ نَمَى إِلي فَما تَرْ قَأُ عَينِي وَلاَ أُسِيغُ شَرابَي
مُرةٌ كالزُّعاف أَكتُمُها النَّا سَ عَلى حَدِّ مَلَةٍ كالشِّهاب

فمعد يكرب جفاه الفراش، كأن به داء يمنعه النوم، وعينه لا تجف دموعها ونفسه تعاف الشراب، وعلى الرغم من ذلك فهو يكتم أحزانه عن الناس كأنه يتقلب على جمر ملتهب[1].

ومتمم بن نويرة يحدثنا عن أرقه وشدة حزنه حين يذكر أخاه مالكاً ، ودموعه لا ينضب معينها، وكأنها ماء الدلو ذي الثقوب الواهي، وأنه حيث يذكر أخاه حين تطلع توالي النجوم آخر الليل، وأن نوح الحمام يهيج له الذكرى ، يبدو هذا المشهد في قوله[2]:

أَرقتُ وَنَامَ الأَخلاءُ وَهَاجَني مَعَ اللَّيلِ هَمٌّفي الفُؤادِ وَجيعُ
وَهَجَّ لي حُزناً تَذَكُّرُ مالِكٍ فَما نِمتُ إِلاَ والفُؤَادُ مَرُوعُ
إِذا عَبرةٌ وَدَعتُها بعد عَبْرة أَبَت واسْتَهلَّت عَبرةٌ وَدُمُوعُ
كَمَا فَاضَ غَربٌ بَيْنَ أَقْرُنِ قامةٍ يُرَوِّي دِبَاراً مَاؤُهُ وَزُرُوعُ
جَدِيدُ الكُلَى وَاهي الأَدِيم تُبِينُهُ عَن العِبرِ زَوراءُ المَقام نَزُوعُ
لِذكرَى حَبيبٍ بَعد هَدْءٍ ذَكرتُهُ وَقد حَانَ مِن تَالي النُّجُومِ طُلُوعُ

---

(1) ابن معد يكرب، عمرو (ت: 21هـ)، (1974) الديوان، تحقيق : مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ص49.

(2)الضبي، المفضليات، ص 271، 272؛ المروع:الفزع؛ العبرة :الدمعة؛ الغرب : الدلو العظيمة؛ القامة: بكرة البئر؛ نزوع: ركية قريبة القعر.

إِذَا رَقَأت عَينَاي ذَكَّرنـــي بِـــهِ حَمَامٌ تَنَاحَ فـــي الغُـــصُونِ وقُـــوعُ
دَعَون هَدِيلاً فَاحْتَزَنْتُ لِمالِـــكٍ وَفي الصَّدرِ من وجد عليـــه صُـــدُوع

ويبكي متمم كل قبر يراه لأنه يذكره بقبر أخيه ، فتشخص كالأوابد مـــن تحـــت التراب، فكل قبر يقوم مقام الآخر وليس له في قبر أخيه إلا مثل ما لـــه فـــي القبـــور جميعاً، ولعل هذا ما زاد من غلواء حزنه، حيث يقول[1]:

لَقَد لامَنِي عِندَ القُبُورِ على البُكَا رَفِيقي لِتَذراف الدُّمُوعِ السَّوافِكِ
فَقَالَ: أَتبكِي كُـــل قَبـــرٍ رأيتَـــهُ قبِر ثوى بين اللِّوى فالـــدَّوانِك
فَقُلتُ لَهُ: إِن الشَّجا يَبعثُ الشَّجا فَدَعني فهذا كلهُ قَبـــرُ مَالِـــكِ

ويتألم لبيد بن ربيعة لفقد أخيه أربد ويرى أن مـــصيبته تفـــوق المـــصائب، فيقول[2]:

إن الرزيـــةُ لاَ رزيَـــةَ مِثلَهَـــا فِقدانُ كل أخٍ كضوءِ الكَوكَـــبِ

ومما يهيج البكاء عند لبيد اجتماع الناس في مجلس للضيافة وإطعام البائسين، في ليلة شتاء مقمرة تميزت بشدة البرد، فيتذكر أخاه أربد الكريم فيقول[3]:

أَبكِي أَبا الحزازِ يَومَ مَقَامة لمُناخِ أَضْيافِ وَمَأوى مُقْترِ
وَالحيِّ إذ بَكرَ الشتاءُ عليهمُ وَعدت شآميةٌ بيومٍ مُقمـــرِ

وقال ساعدة بن العجلان يذكر أخاه مسعوداً حين قتله ضمرة بن بكر[4]:

لَمَّا رَأيتُ عدى ضمرة فيهمُ وَذكرتُ مَسعُوداً تَبـــادَرَ أَدْمُعـــي

وقال قيس بن عيزارة أخو بني صاهلة يرثي أخاه الحارث بن خويلد[5]:

يَا حَارِ إِنِّي يا ابنَ أمِّ عَمِيدُ كَمِدٌ كَأَنِّي في الفُؤادِ لَهِيـــدُ

---

(1) الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس ، (1968) ديوان الحماسة، ط 2 شرحه ونشره : أحمد أمين وعبد السلام هارون، القسم الثاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر : 2/797، الشجا: الوجد والحزن.

(2) العامري، الديوان، ص157.

(3) المصدر نفسه، ص166.

(4) الهذليين، الديوان، ص105.

(5) المصدر نفسه، ص72.

وَالله يَشفِي ذَاتَ نَفسي حَاجِمٌ أبداً ولا مِ ما إخالُ لَـدُودُ

فيجعل قيس الألم الذي أصاب قلبه جسيماً فلا يشفيه المداوي.

وتتجلى اللوعة في أم عمرة بنت مكدم عندما ترثي أخاها ربيعة بن مكدم بأن دمعها مدرار لا يرقأ، وحزنها شديد لا يهدأ، ولو أن حب الأخت لأخيها ووجدها عليه يرجعانه أو يحفظانه لحق لها أن تطلب رجعة أخيها أو خلوده، ولو أن الفداء يقي إنساناً الموت لفدته بأهلها جميعاً وبمالها[1].

مَا بَالُ عَينكَ مِنها الدَّمعُ مُهراقُ سَحّاً وَلا عَازبٌ لا ولا راقِ

أَبكِي عَلى هَالِكٍ أودى وأَورَثنِي بَعدَ التَّفرُّقِ حُزناً بعدهُ بَاقِ

لَو كَانَ يرجعُ ميتاً وَجدُ مُشفقةً أَبقى أخِي سَالماً وَجْدي وإشْفَاقي

أَو كانَ يُفدى لَكان الأهلُ كُلُهُمُ ومَاثلٌ من مالٍ لَهُ وَاقِ

فَسَوف أبكَيكَ ما نَاحتْ مُطوَّقَةٌ ومَا سَرِيتُ مع السَّاري عَلى سَاقِ

أَبكِي لِذكرتِهِ عَينٌ مُفجعَةً ما إن يَ جفلُّها من ذِ كرهِ مَاقِ

وتبكي سعدى بنت شمردل الجهنية أخاها أسعد بن الشمردل الذي غدرت به قبيلة "بهز" فتقول[2]:

أَمن الحَوادِث والمنُونِ أَروَّعُ وأَبيتُ لَيلي كُلُهُ لا أهجعُ

وأبيتُ مُجليةً أَبكِي أسعداً ولِمثلهِ تَبكِي العُيونُ وتهمعُ

وتُبيِّنُ العُين الطَليحةُ أَنَّهَا بكَي من الجَ زعِ الدخيل وتدمعُ

فهي تبيت الليل كله باكية على أخيها لا تستطيع النوم حزناً وألماً على فقده.

وتبكي الفارعة بنت شداد على فقد أخيها فتقول[3]:

يَا عَينُ بكِّي لمَسعودَ بنِ شَدادِ بُكاءَ ذَي عَبراتِ شَجوهُ بَادِ

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص221.

(2) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص124.

(3) المرجع نفسه، ص146.

وهي تستحث عيهايبالبكاء الغزير الذي لا ينقطع ، وتبكي صفية الباهلية أخاها والحزن يعتصر قلبها عندما تتذكر الحياة السعيدة التي جمعت بينهما في الطفولة والصبا، فجاء الموت ليهدم هذه الحياة جالباً الحزن والأسى، فتقول[1]:

عِشْنا جَميعاً كَغُصني بَانَةٍ سَقا حِيناً عَلى خَيرِ مَا تُنمىَ لَه الشَجرُ
حَتَى إذا قيلَ قَدْ طَالَتْ فُروعُهمَا وَطابَ قُنواهما واستَنَضر الثْمرُ
أَخْنى عَلى وَاحدي رَيبُ الزمان وما يُبقي الزَّمانُ على شيءٍ ولا يذرُ

وأما أخت حاجز الأزدي فيذهب بها الحزن على فقد أخيها مذهباً يجعلها مترددة متشككة، لا تقوى على تحديد مصيره، أحي هو أم ميت، تقول[2]:

أَحيٌّ لحَجز أم لَيسَ حَيا فَيسلكَبين جَندفَ وَالبهيمِ
ويَشربُ شَربةٌ مِن مَاء تَرجٍ فيصدر مِشية السبُعِ الكليمِ

وقد يصل الحزن على فقد الأخ بأن يدفع الأخ الراثي إلى أن يدعو على الناس كافة بألا يهنئهم الله ما يرعونه من الحمى، وما يحوزونه من مال ويسوقون من أهل وولد، وفي ذلك يقول النابغة يرثي أخاً له من أمه[3]:

لاَ يَهنئ النَّاسَما يَرعَونَمن كَلأ وَمَا يَسوقُونَ مِن أَهلٍ وَمِن مَالِ
بَعدَ اَبنِ عَاتِكةَ اللَّوي على أَ بَوي أَمسىَ ببلدةٍلا عمٍّ ولا خَالِ

الندب:

وقد لا يكتفي المصاب بالحزن على فقد الأخ بالبكاء بل يتعدى البكاء إلى الندب، واللطم، وشق الجيوب، ووضع التراب فوق الرأس، وخمش الوجوه.

والندب –لغةمن ندب يندب ندباً وندبت الميت : بكيت عليه ونحت وعددت محاسنه.

---

(1) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص195، استنضر: أي قرب وقت حصاده.

(2) الصباري، فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية، ص56.

(3) النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية، (1984) الديوان، تحقيق : عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 103. وانظر: الطائي، ديوان الحماسة، ص901.

والندب –اصطلاحاً- بكاء الميت والنوح عليه بعبارات مفجعة وحزينة في ضرب من تعداد مناقبه والثناء عليه.

فسبيل الندب، التفجع، والتوجع، والنوح، والصراخ، وإظهار الجزع، وله عدد من الأساليب اللفظية والبلاغية أشهرها (وافلانا) أو (يا فلاناه).

ويصف المهلهل بن ربيعة بكاء النساء وندبهن أخاه كليباً فيلطمن وجوههن ويخدشنها، فيقول[1]:

كُنَّا نغارُ على العَواتِقِ أَنْ تُرَى ... بِالأَمْسِ خَارِجَةً عن الأَوْطَانِ

فَخَرَجْنَ حِينَ ثَوَى كُلَيْبٌ حُسَّراً ... مُسْتَيْقِنَاتٍ بَعْدَهُ بِهَوَانِ

فَتَرى الكَواعِبَ كالظِّباءِ عَواطِلاً ... إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ مِنَ الأَكفَانِ

يَخْمِشْنَ مِنْ أَدَمِ الوُجُوهِ حَواسِراً ... مِنْ بَعْدِهِ وَيَعِدْنَ بِالأَزْمَانِ

مُتَسَلِّباتٍ نُكْدَهُنَّ وَقَدْ وَرَى ... أَجْوَافَهُنَّ بِحُرقَةٍ وَرَوَانِي

ثم يستحث المهلهل النساء على الندب والبكاء، فيقول[2]:

فَابْكِينَ سَيِّدَ قَوْمِه وَانْدُبْنَهُ ... شُدَّتْ عَلَيْهِ قَبَاطِيَ الأكفانِ

وتظهر معاني الندب في رثاء بشر بن أبي خازم لأخيه سمير في قوله[3]:

أَمْسَى سَمِيْرٌ قَدْ بَانَ فَانْقَطَعَا ... يَا لَهَفَ نَفْسِي لِبَيْنِهِ جَزَعَا

قُوْمَا فَنُوْحَا فِي مَأْتَمٍ صَحَلِ ... عَلَى سَمِيْرِ النَّدَى ولا تَدَعَا

ثُمَّ انْدُبَاهُ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ ... لا مَسْنَداً عَاجِزاً وَلا وَرِعَا

إن بشترلهف نفسه جزعاً وحزناً على فقد أخيه سمير فيستبكي رفيقيه ويدعوهما إلى النواح على أخيه طالباً منهما ندبه.

---

(1)المهلهل، الديوان، ص 86-87، متسلبات: شققن جيوبهن وأرسلن شعورهن من شدة الحزن، رواني: ناظرات بعيون ذابلة.

(2) المصدر نفسه، ص88.

(3) ابن أبي خازم، الديوان، ص93.

وتصرخ ناجية أخت هرم بن ضمضم المري متفجعة لعدم رؤياها أخاها هرماً على فرسه مودوع مرة أخرى، فتقول[1]:

يَا لَهْفَ نَفْسِيَ لَهْفَةَ المَفْجُوعِ أَلاَّ أَرَى هَرِماً عَلَى مَـــوْدُوعِ

ومما سبق من الشواهد الشعرية يدل على مقدار الحزن والأسى والألم الـــذي يُلمُّ بالأخ أو الأخت لفقد الأخ بصورة تدفع إلى البكاء الشديد والندب ؛ لأن فقدان الأخ لا يعوض، وعندما يصاب البيت أو الأسرة بفقد واحد مـــن أبنائـــه، يهـــب الأخ أو الأخت بندب الفقيد بألم وحسرة وبألفاظ تشتمل على معاني الحزن والألم والحـــسرة والتفجع.

2.3 أثر موت الأخ في نفس أخيه:

يُعدّموت الأخ من المصائب الشديدة التي يصعب احتمالها، فقد الأخ يتـــرك أثراً بالغاً في النفس، وقد يظهر الأثر في الجسد علامة بارزةً لا يمحوها الزمن.

والحزن لفقد الأخ يمنع النوم الذي يحتاجه الجسم، كما أن الطعام والـــشراب لا يصبح لهما طعم ولا لذة، وفي ذلك يقول معد يكرب عندما سمع بقتل شرحبيل أخيه، فقال[2]:

إِنَّجنبي عن الفِراشِ لناب كَتَجافِي الأَسرِ فَوقَ الظُّـــرابِ

مِنْ حَديث نَما إليّ فَما تَـــر قأُ يفَي ولا أســـيغُ شَـــرابيَ

وقال أعشى باهلة يرثي أخاه المنتشر مصوراً حاله إثر سماع خبـــر مـــوت أخيه[3]:

قد جَاءَ مِن عَلِ أَنْبَاءُ أُنَبَّؤُهَا إليَّ لا عَجَبٌمنها ولا سَـــ خَرُ

فَظَلَلْتُ مُرْتَفِقاً للنَّجْمِ أَرْقُبُه حَرَّانَ مُكْتَئِباً لَوْ يَنْفَـــعُ الحَـــذرُ

---

(1) ماردیني، رغداء، شواعر الجاهلية، ص303.

(2) ابن معد يكرب، الديوان، ص49، ترقأ: تهدأ وتكف عن البكاء.

(3) الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت: 216هـــ)، (د.ت) الأصـــمعيات، تحقيـــق : عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص73.

إن خبر موت المنتشر جعل الأعشى من حزنه الشديد وكآبة صدره يراقب النجم والنوم يجافيه.

وكعب الغنوي قد هزل جسمه وأصابه النحول لتركه الطعام حزناً على فقد أخيه أبي المغوار، وقال في ذلك[1]:

تقول سُلَيْمى: مَا لِجِسْمِكَ شَاحباً كأنَّك يَحْمِيكَ الطعامَ طبيبُ

فَقُلْتُ شُجونٌ مِنْ خُطوبٍ تَتَابَعَتْ عليَّ كِبارٍ والزمانُ يُريبُ

وخبر موت الأخ يزلزل الكيان ويجعل الجسد مختلاً ومضطرباً، وكأن الشرار يتطاير من الجنبين فيصاب الجسد بالدوار ، ولا ترى العين أمامها كما تفعل الخمر بشاربها،وهذا ما عبَّ ر عنه المهلهل بن ربيعة واصفاً حالته عندما سمع بخبر مقتل أخيه كليب، فقال[2]:

كَأَنِي إِذْ نَعَى النَّاعِي كُلَيْباً تَطايَرَ بَيْنَ جَنْبِيَّ الشرارُ

فَدُرْتُ وقد عَشا بَصَرِي عَلَيهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا العُقَارُ

وقد يصحب الألم الجسمي لفقد الأخ مشيب الرأس، وفي ذلك يقول المهلهل[3]:

يَا قَتِيلاً نَمَاهُ فَرْعٌ كَرِيمٌ فَقْدُهُ قَدْ أَشَابَ مِنِّي المِسَاحَا

وتذكر الخنساء ما أصاب جسمها من ضعف وقد تفتت عظامه لعدم احتمالها فقد أخيها صخر، فتقول[4]:

دَقَّ عِظَامِي وَهَاضَ مِنِّي جَنَاحِي هُلْكُ صَخْرٍ فَمَا أُطِيقُ بَرَاحَا

والشيب من أدلة زيادة الحزن والهم حيث تلحق بصاحبه الشيخوخة وهو في سن الشباب، وتعبر عن ذلك الخنساء في رثاء أخيها صخر، بقولها[5]:

---

(1) الأندلسي، العقد الفريد: 233/2.

(2) المهلهل، الديوان، ص30.

(3) المصدر نفسه، ص22؛ المساح: شعر جانبي الرأس.

(4) الخنساء، الديوان، ص241.

(5) المصدر نفسه، ص15.

تَقُولُ نِساءُ شِبْتِ مِن غَيْرِ كبرة وأيْسَرُ مما قد لَقيتُ يَشيبُ
أقولُ أَبا حسَّن لا العَ مرُ طَيب وكَيْفَ وَقد أفردتُ عنك يطيبُ

وموت الأخ قد يفقد الإحساس بلذة الحياة وبهجتها، فلا يكون هناك حرص على الحياة، وفي هذا المعنى يقول حارثة بين العبيد الكلبي[1]:

لَيْتَني كُنْتُ قَبْلَ مَوْتِ المُعَلَّى مِتُّ أَوْ حُزَّ مِنْ يَمِيني بَنَانِي
إِنَّما شَيَّبَ الذُؤَابَةَ مِنِّيَ وَبَرَاني تَنَاظُرُ الإِخوانِ

إن فقده لأخيه جعله يتمنى الموت قبل أن يسمع نبأ مقتل أخيه، ويقول إن مشيب شعر رأسه قبل الأوان ناتج من حزنه الشديد على فقد الإخوة الذي لا يمكن احتماله.

وفقد الأخت لأخيها يزلزل كيانها ويصيبها بآلام لا تحتمل ، وتعبر أسماء أخت كليب عن الآلام الجسدية والنفسية التي لحقت بها عندما قتل أخوها كليب فتقول[2]:

يَا قَتِيلاً قَتْلُهُ جَرَّعَنِي عِنْدَ فَقْدِيهِ نَقْعَ الْحَنْظَلِي
صِرْتُ في لُجَّةِ بَحْرٍ زَاخِرٍ صاعِطوراً وطوراً ينزلِ
لَيْتَني مَا عِشْتُ يَوماً بَعْدَه ليتني قرَّب موتي أَجلي
اُسْلُبُوا عَقْلِي وَرُوحِي بَعده فَهُمومي بَعْدَهُ لا تَنْجَلِي
لاَ صَفَا عيْشٌ وَقَدْ غَاب فَتى لَيْتَ نَفْسِي خَرجَتْ مِن هيكلِي

إن فقد أخيها جعلها لا تطيق الحياة وكأنها قد تجرعت الحنظل وسقطت في بحر موجه شديد يعصف بها فتتمنى أن لو تنزع روحها من جسدها فتموت.

وتعبر ليلى بنت سلمى عن أثر خبر موت أخيها في شيب شعر رأسها إضافة إلى الألم الجسدي والاضطراب الذي ألم بها، فتقول[3]:

نَعَاهُ لَنَا النَّاعِي فَلَمْ نَلْقَ عَبْرةً بَلى حَسْرةً تَبْيَضُّ مِنْهَا الغَدائرُ
كَأَنِي غَداة اسْتَعْلَنُوا بِنَعْيِهِ على النَّعْشِ يَهْفُو بَيْنَ جَنْبِيَّ طائرُ

(1) الطائي، الوحشيات، ص128.
(2) ميدان، شعر تغلب في الجاهلية: 212.
(3) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص143.

وقد يجعل موت الأخ الدنيا ظلاماً لا شمس فيها، وفي ذلك يقول المهلهل[1]:

لمَّا نَعَى النَّاعِي كُلَيْبا أَظْلَمتْ شَمْسُ النَّهارِ فَمَا تُريدُ طُلوعـــا

وتصاب رائطة بنت شيظم بآلام نفسية وجسدية شديدة لفقد أخويهـــا مـــسعود وحاتم، وكأنها قد أصيبت بالشلل في يديها ، وكأنها مثل الطير الذي قص ريشه فـــلا يطير وأرجله لا تحمله فتقول[2]:

كَانَـــا يَـــدَيَّ فَـــشُلَّتا بِالـــسَّاعِدَين وبِالْمَعَاصِـــمْ

فَبَقيتُ كَالطَّيْرِ المُقَصَّص رِيـــشُهُ واهـــي القـــوادمْ

3.3 العزاء والسلو:

إن فقد الأخ يسبب الحزن والأسى والألم الذي يلزمه مع مرور الوقت قـــدر من العزاء والسلو للتخفيف من حدة الحزن ومواجهة المعاناة والألم.

"والعزاء لغة: الصبر على كل ما فقدت، ويقال : عزيت تعزية وعـــزاءً، أي أسيته وضربت له الأسى، وصبّرته، وتعازى القوم: عزّى بعضهم بعضاً.

أمَّا السلو: فهو من سلا يسلو ... وسلا عنه سلواً وسلياً وســـلوانا: أي نـــسيه، وأسلاه عنه فتسلّى: ذهب ما في نفسه من الغيظ والحزن، فانكشف عنـــه، والـــسل والسلوان: مصدران".

ويخرج الرثاء من معاني التفجع والحزن إلى معاني الصبر والأمل والرجاء عن طريق العزاء والسلو.

وقد يكون كثرة الباكين خير عزاء للمصاب مثال ذلك قول الخنساء[3]:

فَلَوْلاَ كَثْرَةُ البَـــاكِينَ حَـــوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْـــتُ نَفـــسِي

---

(1) المهلهل، الديوان، ص50.

(2) ابن منقذ، المنازل والديار، ص448-449.

(3) الخنساء، الديوان، ص326.

وهي ترى أن هناك كثيراً من الناس الذين يبكون على فقد إخوتهم ، فليس أمامها إلا أن تتأسى فتقول[1]:

وَمَا يَبْكِينَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي

وتحاول الخنساء أن تكفكف دموع عينيها لتستريح من البكاء وأن تتحلى بالصبر؛ لأن الصبر خير من ضرب الوجوه بالنعال ومن حلق الرؤوس، فتقول[2]:

هَرِيقي مِنْ دُمُوعِكِ وَاسْتَفِيقِي وَصَبراً إِنْ أَطَقْتِ وَلَنْ تُطِيقِي

بِعَاقِبةٍ فَإِنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ مِنَ النَّعلينِ والرَّأْسِ الحَلِيقِ

ويحاول بشر بن أبي خازم أن يتأسى ويتحلى بالصبر على حزنه لفقد أخيه سمير، فيقول إن الموت لا مفر منه وإنه سيصيب كل حي[3]:

وَكُلُّ نَفْسِ امْرِئٍ وَإِنْ سَلِمَتْ يَوْماً سَتَحْسُو لِمِيتَةٍ جُرَعَا

ثم يناشد نفسه أن تتحمل الألم وتصبر لأن البكاء لم يعد يفيدها، فيقول[4]:

أَيَّتُها النَّفْسُ اجَّمِلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

ويقر لبيد بن ربيعة بأنه لا مفر من الموت، ولذا فليس هناك داعٍ إلى الجزع على موت أخيه، فيقول[5]:

أَتجزعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بالفتى وَأَيُّ كريمٍ لَمْ تُصِبْهُ القَوارِعُ

ولما كانت الدنيا دار فراق فلا بد من الصبر على فقد الأخ، وقد تحلى أبو خراش الهذلي[6] عند فقد أخيه عروة بن مرة بالصبر، وفي ذلك يقول[7]:

---

(1) الخنساء، الديوان، ص327.

(2) المصدر نفسه، ص62.

(3) ابن أبي خازم، الديوان، ص94.

(4) المصدر نفسه، ص94.

(5) ابن ربيعة، الديوان، ص172.

(6) هو خويلد بن مرة بن قرد بن تميم بن معد بن هذيل كان فارساً في الجاهلية فاتكاً وعداء، لا تدركه الخيل، وكان له سبعة أخوة كلهم عداؤون، تأخر في الدخول للإسلام، ثم أسلم وحسن إسلامه.

(7) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت: 286هـ)، (د.ت)، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان: 313/2، وانظر: الهذليين، الديوان: ص116.

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لاَهِيــاً وَذَلِكَ رُزْءٌ لَوْ عَلِمْــتِ جلِيــلُ
فَلاَ تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنَّ صَبْرِيَ يَا أُمَــيْمَ جَمِيــلُ

ويتأسى صخر بن عمرو الشريد ي على فقده أخاه معاوية بأنه لم يقل له يوماً كذبت، وإنه لم يبخل عليه بمال، وهذا ما يخفف عنه ألم فقده أخاه، فيقول[1]:

وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ عَلَيْــهِ بِمَالِيَــا

وترى سعدى بنت الشمردل الجُ هيبة أن البكاء لا يمنع وقوع المكــروه، وأن الموت سيلحق بالآخرين كما لحق بالأولين ؛ ولهذا يجب أن تتحلى بالصبر على فقــد أخيها أسعد، فتقول[2]:

وَلَقَدْ بَدَا لي قَبْلُ فِيمَا قَدْ مَضَى وعَلمتُ ذَاكَ لو أَنّ علماً ينفــعُ
أَنَّ الحَوادِثَ والمَنُونَ كِلاَهُما لا يُعْتَبانِ وَلَوْ بَكَى مَنْ يَجْــزَعُ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ كُلَّ مُــؤَخَّرٍ يَوْماً ســبيلَ الأَوَلِــينَ سَــيتبعُ
وَلَقَدْ عَلَمتُ لَوَأَنَّ عِلْماً نَــافعٌ أَنَّ كُلَّ حَــيٍّ ذَاهِــبٌ فَمُــوَدِّعُ

وتحاول ليلى بنت سلمى أن تـ خفف من ألمها متحلية بالصبر فتذكر نفسها بأنها ستموت يوماً وتلحق بأخيها؛ لأن الموت مكتوب على كل حي، فتقول[3]:

وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَّنِي سَوْفَ أَغْتَدِي عَلَى إِثْرِه وَإِنْ طَالَ بِي العُمُــرُ

وتتأسى عمرة أخت عمرو ذالكلب الهذلي على فقد أخيها بأن طول العـ يش غير مرغوب؛لأن فيه ألمـ اً فلا بد من الموت في النهاية والــدهر لا يغلبــه أحــد، فتقول[4]:

تَعَلَّمَنْ أَنَّ طُولَ الْعَيْشِ تَعْــذِيبُ وَأَنَّ مَنْ غَالَبَ الأَيَّــامَ مَغْلُــوبُ
وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَــتْ سَــلاَمَتُهُ يَوماً طَرِيقُهُمُفي الشَّرِّ دُعْبُــوبُ

---

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب: 111/1.

(2) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص124-125.

(3) المرجع نفسه، ص142.

(4) البحتري، الحماسة، ص273، الدعبوب: الطريق، عدلل الموطؤ الواضح.

4.3 التأبين (ذكر خصال الأخ المرثي):

التأبين لغة من أبّن الرجل تأبيناً؛ أي مدحه بعد موته وبكاه، وقال شمر : التأبين الثناء على الرجل في الموت والحياة، وقال ابن سيدة : وقد جاء في الشعر للحي... والتأبين اصطلاحاً الثناء على الميت وتعداد صفاته، والبكاء عليه بعبارات مؤثرة"[1].

وتأبين الأخ في الشعر الجاهلي يتمثل في جعل الأخ مثلاً رائعاً يقتدى به في الكرم والشجاعة والعفة ،والحلم والوفاء ،والحزم والإباء ،والحسب والنسب ، والفصاحة والصبر.

أ. **الكرم:**

يعد الكرم من أبرز الخصال التي مجدَّ ها الشعر الجاهلي، وتحمل هذه ا لصفة العديد من المعاني السامية ، منها الإيثار وإكرام الضيف والجار والأرامل والمحتاجين والصديق.

"والكرم صفة خلقية عرفها العربي وتمسك بها أشد تمسك حتى وصلت إلى درجة الافتخار والتباهي، وطبيعة العربي تفرض عليه الكرم، فهو يعيش في بيئة فقيرة وصحراء مجدبة يندر فيه ا عيش الرفاهية والاستقرار، وتكثر فيها الحاجة إلى التنقل والارتحال والتعرض إلى حالات الجوع والعطش، وسلب الأموال، والافتقار، لذا عمد العربي إلى إكرام غير ه وإيوائه، من أجل أن يجد يداً تسنده إذا دهاه الدهر"[2].

ويصف متمم بن نويرة أخاه مالكاً بأنه يستجيب لدعوة الكرم في الوقت الذي يبخل فيه الأغنياء غير مهتمين بالجياع، فيقول[3]:

لَبيباً أَعَانَ اللُّبَّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ ضَبيباً إذا ما راكِبُ الجَدْبِ أَوضَعا

تَراهُ كَصَدْرِ السَّيْفِ يَهْتَز للنَّدى إِذا لَم تَجِدْ عِنْد امْرِئ السَّوْءِ مَطمَعا

---

(1) جمعة، الرثاء في الجاهلية والإسلام، ص165-166.

(2) العواجي، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي، ص39.

(3) الضبي، المفضليات، ص265.

ويعبر كعب الغنوي عن استجابة أخيه أبي المغوار لدعوة الكرم، فيقول[1]:

فتى أريَحي كَانَ يَهتزُ للندىَ كَمَا اهتّز ماضي الشفرتينِ قَضيبُ

ويصف المهلهل بن ربيعة أخاه كليباً بكرمه وجوده في أنه يطعم من أفضل النياق، فيقول[2]:

لَنَّاحِرُ الكَوْمَ مَا يَنْفَكُ يُطْعِمُها وَالوَاهِبُ المِئَة الحَمْرَا بِرَاعيها

ومن الكرم الشديد أن يعطي الكريم كل شيء يطلب منه، وفي هذا يصف لبيد أخاه أربد فيقول[3]:

فَتىً كَانَ أَمَّا كُلَّشيء سأَلْتَهُ فيعطي وأَمَّا كُلَّ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ

وتصف الخنساء أخاها صخراً بالكرم ، حيث إن الضيوف يقبلون إلى بيته فيمدحه الناس بذلك، فتقول[4]:

جَمُوعُ الضُّيوفِ إلى بَيْتِهِ يَرَى أَفْضَلَ الكَسبِ أَنْ يُحْمَدا

وتشير الخنساء إلى صفة الكرم والبذل والعطاء في شخص أخيه صخر، ثم تصفه بقدرته على مواجهة من يسيء إليه، فتقول[5]:

وَعَطَايا يَهُزُّهَا بِسَماحٍ وَطِمَاحُ لَمَنْ أَرادَ طِمَاحَا

ويصف لبيد بن ربيعة أخاه أربد بكرمه الشديد ، حيث يقدم للضيف ما يشتهيه من الطعام حتى يأخذ حاجته من الطعام، فيقول[6]:

فَتىً عَارِفٌ لِلْحَقِّ لاَ يُنْكرُ القِرَى تَرَى رَفْدَهُ لِلضَّيْفِ مَلآنَ مُتْرَعَا

وقد يبالغ الأخ في قصر صفة الكرم على أخيه دون غيره، لأن الكرم بعد موته لا يجد من هو أهلاً له، وفي ذلك المعنى يقول كعب الغنوي في رثاء أخيه أبي المغوار[7]:

---

(1) الأصمعي، الأصمعيات، ص93.

(2) المهلهل، الديوان، ص92.

(3) ابن ربيعة، الديوان، ص167.

(4) الخنساء، الديوان، ص146.

(5) المصدر نفسه، ص242.

(6) ابن أبي ربيعة، الديوان، ص173.

(7) الأندلسي، العقد الفريد: 234/3.

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إلـــى النَّـــ دَى فَلَمْ يَسْتَجِبْه عِنْـــد ذَاكَ مُجِيـــبُ
فَقُلْتُ اُدْعُ أُخْرَى وَارْفَع الصَّوْتَ ثَانِيـــاً لَعَلَّ أَبا المِغْوارِ مِنْـــكَ قَرِيـــبُ
يُجِبْـــكَ كَمَـــا قَـــدْ كَـــانَ يَفْعَـــلُ إِنَّـــهُ بِأَمْثَالِهِ رَحْبُ الـــذِّرَاع أَرِيـــبُ

فالمحتاجون يطلبون من الكرماء أن يطعموهم فلا يجد يبهم أحد فيطلب، كعب منهم تكرار النداء ربما يجيبهم أبو المغوار الذي اعتادوا منه الكرم.

ونجد المعنى نفسه عند الخنساء، إذ تشير إلى كرم أخيها صـــخر، وبعـــد أن مات لم يجد الضيف من يكرمه، فتقول[1]:

مَنْ لِضَيْفٍ يَحُلُّ بِالْحَيِّ عَانٍ بَعْدَ صَخْرٍإذا أراد مِ يَاحَـــا

وتجعل الخنساء أخاها صخراً يفوق المطر كرماً إذا ما المطر نزل بغـــزارة على أرض جدباء تحتاج إليه ، فإن صخراً يكون أشد كرماً وعطاءً لكـــل محتـــاج، فتقول[2]:

وَمَا الْغَيثُ في جَعْدِ الثَّرى دَمِثِ الرُّبَا تَبَعَّـــقَ فِيـــهِ الوَابِـــلُ المُتَهَلِّـــلُ
بِأَفْضَلَ سَـــيْاً مِـــنْ يَـــدَيْكَ وَنِعْمَـــةً تَعُمُّ بِها بَلْ سَيْبُ كَفَّيْكَ أَجْـــزَلُ

وتصف سعدى بنت الشمردل أخاها أسعد بالكرم في إطعامه الجيـــاع الـــذين ركبوا المطي يسرعون إلى طلب من يغيثهم فيطعمهم فتقول[3]:

يَا مُطْعِمَ الرَّكبَ الجِياعَ إذَا هُمُ حَثُّوا المطيَّ إلى القِرى وَتَـــسَرَّعُوا

وأخوها لا يرد من يأتيه يسأله حاجة وقت الليل، حيث الهدوء والناس نيـــام، لأنه كثير الكرم يمد يديه بالعطاء لكل سائل فتقول سعدى[4]:

إِنْ تَأْتِه بَعْدَ الْهُدُوءِ لِحَاجَةٍ تَدْعُو يُجِبْكَ لَهَـــا نَجِيـــبٌ أَرْوَعُ
مُتَحَلِّبُ الكَفَّيْنِ أَمْيَثُ بَارِعٌ أَنِفٌ طوالُ السَّاعِدَيْنِ سِـــمَيدَعُ

---

(1) الخنساء، الديوان، ص242، الضيف: النازل، العان: الأسير، مياحاً: عطية وفضلاً.

(2) المصدر نفسه، ص320-321؛ تبعق فيه: حل فيه وتفجر به.

(3) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص126.

(4) المرجع نفسه، ص126.

ويرى بشر بن أبي خازم أن الضيف والمجالس ستفتقد أخاه سميراً الكريم الجواد بالعطاء، وستبكيه المرأة الفقيرة حين تسكت ولدها حين يبكي من الجوع وليس في ثديها لبن من شدة الفقر، وسيبكيه الرجل السمين حين يهزل ويضعف من شدة الجوع، وفي ذلك يقول[1]:

لِيُبْكِكَ الضَّيْفُ والْمجَالِسُ والْـ ـحَيُّ الْمُخَوِّي وَطَامِعٌ طَمَعَا
وَذَاتُ هِـدْمٍ بـادٍ نَوَاشِـرُها تُصْمِتُ بالْمَاءِ تَوْلَاً جَـ ـدِعَاً
إِذْ شُبِّهَ الْهَيْدَبُ العُبَامُ من الـ أَقْوَامِ سَـقْباً مُحلَّـلاً فَرَعَـا

ويكون الكرم في أروع صوره وقت الشدة والظروف القاسية كالجدب العام والجفاف والشتاء؛ ويصف لبيد بن ربيعة صورة الكرم عند أخيه أربد حين يبخل الناس بما يملكون لشدة البرد وقت الشتاء، حيث يقتسم الأغنياء الذبيحة ولا يجودون بها للفقراء والمحتاجين، ولكن أربد لا يتنكر للسائل والضيف، وفي ذلك يقول[2]:

أَبْكي أَبَا الحَزَّازِ يَوْمَ مَقَامَةٍ لمُناخِ أَضْيافٍ وَمَأْوَى مُقْتِرِ
والحيُّ إِذْ بَكَرَ الشِّتَاءُ عَلَيْهِمُ وَدَعَتْ شَآمِيةٌ بيومِ مُقْمِـرِ
وَتَقَنَّعَ الأَبْرَامُ في حُجُراتِهِمْ وَتَجَزَّأَ الأَيْسَارُ كلَّ مُـشَهَّرِ
أَلْفَيْتَ أَرْبَد يُسْتَضَاءُ بِوَجْهِهِ كَالْبَدْرِ غَيْرَ مُقَتِّرٍ مُـسْتَأْثِرِ

وينفي دريد بن الصمة البخل عن أخيه إذا ما اشتدت الريح الباردة وقت الشتاء، وأتى إليه السائلون فيقول[3]:

وَإِنْ يَكُ عَبدُ الله خَلَّى مَكانَهُ فَمَـا كَـانَ وَقَّافـاً وَلاَ طَـائِشَ اليَـدِ
وَلاَ بَرَماً إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ بِرَطْبِ العَـضَاهِ والـضَّرِيعِ الْمُعَـضَّدِ

(1) ابن أبي خازم، الديوان، ص95، الهَيدب: الغبي الجافي الخلقة، السقب: ولد الناقة.

(2) ابن ربيعة، الديوان، ص166.

(3) الجشمي، الديوان: 49؛ البرم المشاركة في الميسر، العضاه: ما عظم من شجر الشوك، والهيثم نبت له شوك.

ويصف كعب الغنوي أخاه أبا المغوار بكثرة تقديم الطعام للضيوف وقت اشتداد البرد في الشتاء، فيقول[1]:

أَخُو شَتْوَاتٍ يَعْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ سَيَكْثُر مَا فِي قِدْرِهِ وَيَطِيبُ

ويجعل لبيد بن ربيعة الناس يعرفون فضل أربد في الشتاء حين يشتد حال الناس، وتقل الألبان فيقول[2]:

يُفَضِّلُهُ شِتَاءَ النَّاسِ مَجْدٌ إِذَا قُصِرَ الستوُ على البِرَام

وتصل الخنساء كرم أخيها صخر إذا اشتدت الرياح البادرة شتاء، ونقص ألبان الإبل التي هزل جسمها، وضن الناس بما لديهم، في هذا الوقت يكون بيت صخر مفتوحاً للضيوف، وتقول في ذلك[3]:

فَمَنْ لِلضَّيْفِ إِنْ هَبَّتْ شَمَالٌ مُزَعْزِعَةٌ تُنَاوِحُهَا صَبَاهَا
وَأَلْجَأَ بَرْدُهَا الأَشْوَالَ حُدْباً إِلَى الحَجَرَاتِ بَادِيَةً كُلاَهَا
هُنَالِكَ إِنْ نَزَلْتَ بِبَيْتِ صَخْرٍ قَرَى الأَضْيَافَ شَحْماً مِنْ ذُرَاهَا

وفي السنة الشديدة المجدبة قليلة المطر شتاءً تعصف فيها الرياح الباردة، وقد عانى الفقراء من الجوع فإن صخراً يطعم السائلين من لحوم الإبل في وقت ارتفع فيه ثمنها فلا يبخل على السائلين والضيوف بأغلى ما لديه لأنه فياض كريم، وفي ذلك تقول الخنساء[4]:

وَمُنْزِلِ الضَّيْفِ إِنْ هَبَّتْ مُجَلْجِلَةٌ تَرْمِي بِصُمٍّ سَرِيْعَ الخَسْفِ وَسَّافِ
أَبَا اليَتَامَى إِذَا ما شَتْوَةٌ جَحَرَتْ وفي المَزَاحِفِ ثَبْتٌ غَيْرُ وَقَّافِ

وتقول في قصيدة أخرى[5]:

مَعْقِلُ النَّاسِ إِذَا ما عَصَفَتْ جِرِبْيَاءُ الرِّيْحِ فِيْهَا بالحَظِرْ
يُطْعِمُ القَوْمَ مِن الشَّحْمِ إِذَا أَغْلَتِ الشَّتْوَةُ أَثْمَانَ الجُزُرْ

---

(1) الأصمعي، الأصمعيات، ص95.

(2) ابن ربيعة، الديوان، ص208.

(3) الخنساء، الديوان، ص282-283.

(4) المصدر نفسه، ص408، 409.

(5) المصدر نفسه، ص410، الجربياء: الشمال، والحظر: ما يحظر به من أغصان الشجر.

وتذكر جنوب أخت عمرو ذي الكلب كيف أن الضيوف والنساء الأرامل إذا نفد زادهم وهبت ريح الشمال الباردة حيث يقل الرزق، وتنقطع السبل ويثقل فيه الضيف وعجزت الأمهات عن إرضاع أطفالهن لهزالهن من الجوع كان أخوها المغيث لهم بكرمه وجوده وعطاياه، وتقول في ذلك[1]:

وقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ والْمُرْمِلُوْنَ إِذَا اغْبَرَّ أُفْقٌ وَهَبَّتْ شَمَالاَ
وَخَلَتْ عَنْ أَوْلاَدِهَا المُرْضِعَاتُ فَلَمْ تَرْعَيْنَ لِمُزْنٍ بِلالاَ
بِأَنَّكَ كُنْتَ الرَّبِيعَ المُرِيْعَ وَكُنْتَ لِمَنْ يَعْتَفِيْكَ الثِّمَالاَ

ويصف متمم بن نويرة أخاه مالكاً بأنه كريم كمطر الصيف والربيع إذا هبت ريح الشمال شتاء، وحل الضيف ببيته، فإن الضيف لا يذل في جواره وينعم بكرمه وحمايته، وفي ذلك يقول[2]:

لَهُ تَبَعٌ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ عَلَى مَنْ يُدَانِيْ صَيِّفٌ وربِيْعُ
وَرَاحَتْ لِقاحُ الحَيِّ جُدْبَاً تَسُوْقُهَا شَآمِيَّةٌ تَزْوِي الوُجُوْهَ سَفُوْعُ
وكَانَ إِذَا مَا الضَّيْفُ حَلَّ بِمَالِكٍ تَضَمَّنَهُ جَارٌ أَشَمُّ مَنِيْعُ

ويصف أعشى باهلة أخاه المنتشر بأنه متشمر لإطعام السائلين وقومه في السنة الشديدة والليلة التي لا ماء فيها يُشرب ولا شجر يُرعى، فيقول[3]:

طَاوِي المَصِيْرِ على العَزَّاءِ مُنْجَرِدٌ بِالقَوْمِ لَيْلَةَ لا مَاءٌ ولا شَجَرُ

ويصف النابغة أخاه بأنَّه حسن الخلق، جميل التعطف وقت القحط على الفقراء والمساكين مقدماً لهم الإبل السمان، وكان يدخل عليهم بالأعباء الثقيلة فيحملها على جاهه وما له لأقاربه والسائلين، فيقول في ذلك[4]:

سَهْلُ الخَلِيْقَةِ مَشَّاءٌ بِأَقْدُحِهِ إِلَى ذَوَاتِ الذُّرَى حَمَّالُ أَثْقَالِ

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص234، 235.

(2) الضبي، المفضليات، ص272.

(3) القرشي، جمهرة أشعار العرب، 718/2.

(4) النابغة الذبياني، الديوان: 98.

وفي ليلة شديدة البرد، لا يستطيع الكلب أن ينبح، ولا أن تسري الأفاعي فيها يظهر كرم أخي جنوب الشاعرة، فيطعم الجياع الإبل السمان ، وفي ذلك تقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب[1]:

وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِي بالفَرثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بالنَّقَرَى المُثْرِينَ دَاعِيها
لا ينبحُ الكَلْبُ فيها غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِن العِشَاءِ وَلا تَسْرِيْ أفاعيها
أَطْعَمْتَ فِيهَا على جُوْعٍ وَمِسْغَبَةٍ شَحْمَ العِشَارِ إذَا ما قَامَ بَاغِيها

ويصف بشر بن أبي خازم أخاه سميراً وقد كان يحفظ الناس في سنوات الجدب والقحط حيث ينحر الناس الفصال حفاظاً على أمهاتها وعلى ألبانها، وتهب ريح الشمال الباردة، ويضطر الرجل أن يستأثر بكسائه دون زوجه ويطعم أخوه حينذاك الناس عام تأكل الفتاة المنعمة من الطعام ما يأكله الأسد بعد أن كانت تعاف اللذيذ منه من شدة الجوع، كمنهأيخلف ماله للمحتاجين ويتلفه في الجود والكرم، وفي ذلك يقول[2]:

والحَافِظَ النَّاس في القُحُوطِ إذَا لَمْ يُرْسِلُوا تَحتَ عَائذٍ رُبَعَا
وَهَبَّتْ الشَّمْأَلُ البَلِيْلُ وَقَدْ أضْحَى كَمِيعُ الفَتَاةِ مُلْتَفِعَا
عَامَ تَرَى الكَاعب المُنَعَّمَةَ ال حَسْنَاءَ في دَارِ أَهْلِها سَبُعَا
المُخْلِفَ المُتْلِفَ المُفِيدَ إذا قَالَ فلا عَائِبٌ لِمَا صَنَعَا

ومن صور الكرم والسخاء الشديد ما وصف به كعب بن سعد الغنوي أبا المغوار من كرم، حيث يكثر زيارته الأحباب والأصحاب، فيجدون عنده ما يسرهم ولا يطرق الزوار إلا بيته لكرمه وحسن استقباله الضيوف، ثم يصفه بأنه حليف الندى، ويغيث الملهوف ويكرم الضيف، وفي ذلك يقول كعب مصوراً أخاه في غاية الجود والسخاء[3]:

---

(1) الهذليين، الديوان، ص126.

(2) ابن أبي خازم، الديوان، ص94.

(3) القرشي، جمهرة أشعار العرب : 251/2؛ خلات: صفات من الخلة وهي الصفة، ما بهن عريبُ: أي ما بهن أحد. المنقيات: ذوات الشحم.

حَبِيبٌ إلى الزُّوار غِشْيَانَ بَيتِه جميلُ المُحَيَّا شَبَ وَهُوَ أَدِيـــبُ
كَأَنَ بُيوتُ الحَيِّ ما لم يكُنْ بها بسابِسُ قَفْرٍ ما بهــن عريـــبُ
مُغيث مفيد مُلَقَّى الفائدات مُعَودٌ لفعل الندى والمكرمات نـــدوبُ
فَتَى ما يُبَالِي أَنْ يَكونَ بِجِسْمِه إذَا نَالَ خِلات الكِــرام شُحُــوبُ
حَليفُ النَّدَى يَدعُو النَّدَى فيجيبهُ سَرِيْعاً ويدعــوهُ النَّدَى فيجيــبُ
غَياثُ لعانٍ لَمْ يَجدْ مَنْ يُعِيْنُــهُ وَمَخْتبطٍ يغشَــى الدُّخَانَ غريبُ
عَظيمُ رَمَادِ النَّارِ رَحــب فِنَاؤُهُ إلا سنــد لم تجتنحه عيـــوبُ
يبيتُ النَّدَى يا أمَ عمرو ضجيعه إذا لَمْ يَكُنْ في المنقيات حَلوبُ

ويصف أعشى باهلة أخاه المنتشر الكريم إذا اشد تد الزمان وقلــت المراعــي وأجدبت الأرض وتغيرت ملامح الإبل من الهزال فإنه يــصبح ملجــأ للمحتــاجين والفقراء، فيتولى إطعامهم، حتى أن الإبل يزداد خوفها لما رأته مــن كثــرة الــذبح ليقدمه للضيوف، ويبدو هذا المشهد في قوله[1]:

تَنْعَى امْرأً لا تغبُّ الحَيَّ جَفْنَتُهُ إذا الكواكبُ خَوَّى نَوْءَهَا المطَرُ
وَراحَتِ الشَّوْلُ مُغْبَراً مَنَاكِبُهَا شُعْثَاً تغيَّر منها النَّيُّ والوَبرُ
وَأَجْحَرَ الكلْبُ مُبْيَضُّ الصَّقيعِ به وضَمَّتْ الحَيَّ من صُرَّادِه الحُجَرُ
عَلَيْه أَوَّلُ زادِ القَومِ قَدْ عَلِمُوا ثُمَّ المَطِيُّ إذا ما أَرْمَلُوْا جُزُرُوا

وإذا كان الأخ يكرم الأقارب والضيوف والمحتاجين والفقراء فإنه لا بــد أن يكون كريماً مع إخوته،ومن ذلك ما يوصي به النمر بن تولب زوجته بحسن استقبال إخوته وإكرامهم[2]:

فإِذَا أَتَانِي إِخْوَتِي فَدَعِيهُمُ يَتَعَلَلوا في العَيش أو يَلهوا مَعي
لا تَطرُدِيهم عَنْ فِراشِي إِنَّهُ لا بُد يَوماً أن سَيخلو مَضْجَعي

(1) القرشي، جمهرة أشعار العرب، ج2، ص715.
(2) ابن تولب، الديوان، ص73.

واستقبال الضيف والترحيب به والبشاشة في وجهه من سمات الكرم وعلاماته، ومن ذلك قول الخنساءتف بشاشة أخيها صخر عند استقباله للضيوف ، فلا يقابلهم بوجه عابس ولا يستتر منهم[1]:

إذَا مَا الضَّيْفُ حَلَّ إلى دَارَه تَلَقَّاهُ بَوَجْهٍ غَيْرَ بَسْرٍ

وَفَرَّجَ بِالنَّدَى الأَبْوَابَ عَنْهُ وَلاَ يَكْتَنُّ دُونَهُم بِسِتر

كتطف الخنساء ترحيبه بالضيف والسائل بوجه بشوش ومنذ شرح الصدر فتقول[2]:

كَأَنْ لَمْ يَقُلْ أَهْلاً لِطالب حَاجَةٍ بِوَجْهٍ بَشِيرِ الأَمْرِ مُنْشَرِح الصَّدْر

ومن علامات الكرم أن يوقد الكريم ناراً ليهتدي بها الضيوف والسائلون إلى بيته، وفي ذلك تقول الخنساء في أخيها صخر[3]:

فَإِذَا أَضَاءَ وجَاشَ مِرْجَلُهُ فَلَنِعْمَ رَبُّ النَّارِ والقِدْرِ

ومما سبق نجد أن الشعر الجاهلي قد فاض في وصف الأخ بالكرم بصوره المتعددة، وهذا يدل على قيمة هذه الفضيلة في المجتمع الجاهلي، واهتمام الأخ الشاعر بإضفاء هذه الصفة على الأخ، فهي أهم صفة تبقى بعد موته.

ب. الشجاعة:

إن طبيعة الحياة العربية في الجاهلية كانت تتطلب الشجاعة والإقدام واقتحام المخاطر، حيث كانت الحروب تشتعل بين القبائل لأسباب متعددة، والفارس لا بد أن يتحلى بالشجاعة في الحرب والسلم.

وتصف الخنساء أخاها معاوية بالشجاعة التي تزيد على شجاعة الآخرين فتقول[4]:

ألا لا أرى كفارِسِ الجوْنِ فَارِسَاً إذَا مَا علَتْه جُرْأةٌ وعلانية

---

(1) الخنساء، الديوان، ص188.

(2) المصدر نفسه، ص132.

(3) المصدر نفسه، ص11.

(4) المصدر نفسه، ص60.

كما تصف أخاها صخراً في شجاعته فيغدو كالأسد الذي يكشر عن أنيابه فتقول[1]:

حامي الحقيقة تَخَالَهُ عِنْد الوَغَىَ أَسَداً بِبيشَة كَاشِرَ الأَنْيابِ

ثم تصف أ خاها صخراً في قصيدة أخرى في شجاعته بأنه أشجع من الليث القوي فتقول[2]:

أَشُجَاعٌ فأنتَ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثَ عَرِينٍ ذي لِبْدةٍ وشِبَالِ

ويصف متمم بن نويرة أخاه مالكاً بالشجاعة في الحرب ، فهو لا يجبن عند اللقاء إذا أضعفت الحرب الرجال فيقول[3]:

وَإِنْ ضَرَّسَ الغَزْوُ الرِّجالَ رَأيتَه أَخَا الحَرْبِ صِدقَاً في اللِّقاءِ سَمَيْدعَا

ويصف أعشى باهلة شجاعة أخيه المنتشر في الحرب وعدم الخوف ، محققاً النصر، فيقول[4]:

أخو حُروب وَمِكْسَاب إِذَا عَدِموا وَفي المخافةِ من جِدٍّ ومن حذر

ويصف بشر بن أبي خازم أخاه سميراً بالشجاعة عند اشتداد الأمور ، فيكون من أهل الشجاعة والحمية والنجدة فيقول[5]:

أَلاَ يَا عينُ ما فابكي سميراً إذا صَعِرَتْ من الغضب الأنوفُ

وتبدو الشجاعة في اختراق الصحراء الواسعة المجهولة على إبل تعاني من شر الإعياء، يبدو هذا في وصف جنوب أخت عمرو ذي الكلب أخاها، فتقول[6]:

وخَرْقٍ تَجَاوَزْتَ مَجْهُولَهُ بِوَجْنَاءَ حَرْفٍ تَشَكَّى الكَلاَلاَ

---

(1) الخنساء، الديوان، ص235.

(2) المصدر نفسه، ص346.

(3) اليزيدي، الأمالي، ص20؛ وانظر: الضبي، المفضليات، ص266.

(4) القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص255.

(5) ابن أبي خازم، الديوان، ص87.

(6) ماردِيني، شواعر الجاهلية، ص235.

وتصف ناجية بنت ضمضم أخاها هرماً بالشجاعة والهيبة يمتطي جواده وقد تلطخ بالدماء فتقول[1]:

تَراهُ على الخَيل ذَا قُدمَةٍ إذا سَرْبَلَ الدَّمُ أكْفَالَها

وتصف الفارسة القشيرية أخاها برباطة الجأش والشجاعة وعدم الفرار من ميدان المعركة في الوقت الذي فر عنه أحلافه فتقول:

أضَاعُوا بِه غَيرَ رعديدة كَريمُ الصباحِ بَعيدُ المَزارِ

وتصف عمرة بن شداد أخاها بالشجاعة فلا ينتحي جانباً خشية مصائب الناس فتقول[2]:

ولا يحلُ إذا ما حلَ منتبذا خوف الرزية بَيْنَ الحَضرِ والبَادِ

وتصف سُعدى بنت الشمردل أخاها أَسعد بأنه يقتحم الأودية مـ نفرداً دون صحاب لا يخشى الظلام فتقول[3]:

جَوَّابِ أَوْدِيَة بِغيرِ صَحَابَةٍ كَشاف دَاوي الظلام مشيعُ

مما سبق تظهر صورة الأخ الشجاع في ميادين القتال الذي لا يعرف الجبن والخوف وقت اشتداد المعركة، فهو كالأسد حيث إنه يجوب الأودية والصحراء الواسعة بلا خوف من المخاطر والأهوال التي قد يتعرض لها.

والشجاعة من الصفات التي تَفْرِضُهَا بيئة العرب في الجاهليـ ة ويجب أن يتحلى بها العربي وقت الحرب والسلم.

الصبرُ والجلد:

الصبر والجلد من الصفات التي يستحب وجودها عند الرجال المحاربين منهم وغير المحاربين، وطبيعة الحياة التي عاشها عرب الجاهلية تتطلب منهم الصبر وعدم الجزع، فالبيئة القاسية، وحياة الجدب والقحـ طتتطلب صبراً وتجلداً وقوة تحمل.

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص302.

(2) الصباري، فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية: 69.

(3) الأصمعي، الأصمعيات، 101-102.

ويصف أعشى باهلة أخاه المنتشر بالجلد وشدة التحمل فلا يشتكي الساق من المشي، فيقول في ذلك[1]:

لا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ ولا وَصَبٍ وَلاَ يَزَالُ أَمامَ القومِ يَقْتَفِرُ

ومدرك بن الصمة أخاه عبدالله بالصبر وقت الشدة ، فلا يتألم للمصائب التي تنزل بساحته بل يواجهها بالصبر، وفي ذلك يقول[2]:

كَمِيشُ الإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ على العَزَاءِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ

صَبُوْرٌ على رُزْءِ المَصَائِبِ حَافِظٌ من اليوم أدْبَارَ الأحاديثِ في غَدِ

والصبر دواء كل مصيبة ، ولهذا تصف الخنساء أخاها صخراً بالصبر، حيث إن الصبر صفة متأصلة في أخيها، فتقول الخنساء[3]:

كَرَاهِيَةٌ والصَّبْرُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ إِذَا مَا رَحَا الْحَرْبِ العَوَانِ اسْتَدرتِ

الحِلْمُ:

الحلم هو ضبط النفس والسيطرة عليها عند الغضب، وقد جاء الحلم ضد الجهل الذي ساد في العصر الجاهلي، وعلى الرغم من شيوع الجهل والطيش والعنف في ذلك العصر إلا أنه كان هناك من يتصف بالحلم.

ومن ذلك ما وصف به المهلهل بن ربيعة أخاه كليباً بالحلم والتسامح مع قدرته على البطش فيقول[4]:

وإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ وَتَعْفُو عَنْهُمُ وَلَكَ اقْتِدَارُ

وتصف الخنساء أخاها صخراً بالحلم والتمهل ، فلا يجهل كما يجهل غيره، فتقول في ذلك[5]:

فَتَىً كَانَ ذَا حِلْمٍ أَصِيلٍ وَتُؤْدَةٍ إِذَا مَا الحُبَا مِنْ طَائِفِ الجَهْلِ حَلَّت

---

(1) القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: 2/719، الوَجَبْ: التَعَبْ.

(2) الجشمي، الديوان: 50.

(3) الخنساء، الديوان: ص196.

(4) المهلهل، الديوان، ص29.

(5) الخنساء، الديوان، ص418.

كما تصفه الخنساء إنه بحلمه يدفع الشر والجهل فتقول[1]:

وَبِحلْمٍ إِذَا الجَهُوْلُ اعتراه يَرْدَعُ الجَهْلَ بَعْدَمَا قَدْ أَشَاحَا

ويصف كعب الغنوي أخاه بالحلم الذي يشبه العسل الأبيض، أما جهله فيشبه الليث الغضوب، ولكن الحلم والعقل عنده يتغلبان على الجهل، فيقول في ذلك[2]:

لــقد كــان أمَّا حلمُهُ فَــمُرَوَّحٌ عــلينا وأمــا جَــهْلُهُ فَــعَزِيْبُ

حَلِيْمٌ إِذَا ما سَوْرَةُ الجَهْلِ أَطْلَقَتْ حُبَى الشَّيْبِ للنَّفْسِ اللَّجُوْجِ غلُوبُ

العفة:

تعد العفة ترفعاً عن كل ما يسيء إلى المروءة أو يخدش الحياء أو الكرامــة، وذلك قولاً وفعلاً.

ولا تقل العفة عن صفتي الكرم والشجاعة كونها شرطاًمن شروط الــسيادة . وتبدو في جوانب متعددة منها : العفة عن الفواحش، والعفة عن النظر والتطلع إلــى الجارات ونساء الآخرين، والعفة عن الشره في الطعام والشراب.

ومن صور عفة الأخ عن الفواحش قول أعشى باهلة في أخيه المنتشر[3]:

لاَ يُصْعِبُ الأَمْرَ إلاَّ رَيْثَ يَرْكَبُهُ وكُل أَمْرٍ سِوَى الفَحْشَاءِ يَأْتَمِرُ

وينفي كعب بن سعد الغنوي الفاحشة عن أخيه فيقول[4]:

أَخِي مَا أَخِي لا فَاحِشٌ عندَ بيتهِ ولا وَرَعٌ عند اللّقاءِ هيُوبُ

وتصف ليلى بنت سلمى أخاها بالـ عفة والبعد عن أذى الجار بــالتطلع علــى حرماته أو التعدي عليها فتقول[5]:

لَعَمْرِي مَا كَانَ ابْنُ سَلَمةَ عَاجِزاً ولا فَاحِشاً يَخْشَى أَذَاهُ المُجَاوِرُ

---

(1) الخنساء، الديوان، ص242.

(2) الأصمعي، الأصمعيات، ص77.

(3) القرشي، جمهرة أشعار العرب: 2/712.

(4) الأصمعي، الأصمعيات، ص77.

(5) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص143.

ومن العفة تجنب تتبع النساء بالنظرات، وفي هذا المعنى تصف الخنساء أخاها صخراً فتقول[1]:

لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشِيْ بِسَاحَتِهَا لِرِيْبَةٍ حينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الجَارُ

وتجعلالخنساء صخراً عفيفاً لا يستغل فرصة غياب الجار، فيسيء إلى زوجته، ولا يقترب من ساحتها، وقد أدركت هي ما هو عليه من عفة وحسن أخلاق.

ويصف أعشى باهلة أخاه المنتشر بأنه عفيف النظرات مع جاراته فيقول[2]:

لا يَهْتِكُ السِتْرَ عن أُنْثَى يُطَالِعُها ولاَ يَشُدُ إلى جارته النَّظرَا

وتشمل العفة أيضاً الأكل والشرب، حيث تصف زينب بنت ضرار أخاها قبيصة بعفة النفس عن الزاد إذا كان الزاد قليلاً والقوم كثير فتقول[3]:

يَطْوِي إِذَا مَا الشُّحُّ أَبْهَم قَفْله بَطْنَاً من الزَّاد الخَبيثِ خميصَا

ويصف أعشى باهلة أخاه بالعفة في الطعام والشراب فتكفيه قطعة من اللحم ويروي شربه من أصغر الأقداح فيقول[4]:

تكْفِيه حُزَّةُ فِلْذٍ إِنْ أَلَمَّ بها من الشِّوَاءِ ويَروِي شُرْبَهُ الغُمَر

ويصف متمم بن نويرة أخاه بالعفة في الشرب متجنباً الفحش من القول والفعل فيقول[5]:

وإنْ تَلْقَهُ في الشُّرْبِ لا تَلْقَ فَاحِشَاً على الكَأْسِ ذَا قَاذُوْرَةٍ مُتَزبَعا

وتصف الخنساء أخاها صخراً بالعفة في الشرب متجنباً الفحشاء فتقول[6]:

وإن تَلْقَه في الشَّربِ لا تَلْقَ فَاحِشَاً ولا نَاكِثَاً عَقْدَ السَّرائر والصَّبرِ

---

(1) الخنساء، الديوان، ص388.

(2) اليزيدي، الأمالي، ص16.

(3) الطائي، الحماسة: 519/1..

(4) الأصمعي، الأصمعيات، ص75.

(5) القالي، الأمالي، ص19.

(6) الخنساء، الديوان، ص142.

الوفاء:

يعد الوفاء من القيم الخلقية المفضلة عند العرب، ويقابلها الغدر الذي يعد مذموماً، وقد أحب العرب الأوفياء وأعلوا من شأنهم في شعرهم، لأن الوفاء في البيئة الجاهلية يحتاج إليه كل فرد ليعيش آمناً من الغدر، ومن أهم الصفات في الصديق الوفاء، حيث يكون سنداً لصديقه وعوناً له.

وتصف الخنساء أخاها صخراً بالوفاء إلى جانب أخلاقه السمحة إذا ظهر الغدر من الآخرين فتقول[1]:

سَمحٌ خَلائِقهُ جَزلٌ مَواهِبهُ وَافَي الذِمام إِذَا مَا مِعشَر غَدَرُوا

وتظهر قيمة الوفاء جلية بين الجيران، وقد ترسخت في نفوس بعض العرب حتى بلغت منزلة تعلو على منزلة الأهل والعشيرة، ومن ذلك ما ورد من غضب زهير المازني من غدر أخيه قيس بجار لهما قتله، فلم يتحمل الغدر بالجار، وقتل أخاه قيساً، ولم تشفع توسلات قيس له وتذكيره برابطة الدم التي تربطهما، يظهر ذلك في قول زهير[2]:

يُنَاشِدُني قَيْسٌ قَرابَةَ بيننا وسيفي بكفيِّ وهو مُنْجَرِدٌ يَسْعَى
غَدَرْتَ فما بيني وبينَكَ ذِمَّةٌ تُجيرُكَ من سيفي ولا رَحِمٌ تُرْعَى
سأَرْحَضُ عني ما فعلتَ بضَرْبَةٍ عقيمِ البَدِيِّ لا تُكَرُّ ولا تُثْنَى

ومن هنا تظهر قيمة الوفاء في هذا المجتمع الذي يعد الغدر جريمة نكراء، ولهذا مجدوا صفة الوفاء في الأخ.

نبل المحتد وشرف النسب:

إن من مفاخرات العرب اعتدادهم بنبل محتدهم، وقد عرفوا في الجاهلية علم الأنساب، وكان عار اً على العربي أن يجهل بنسبه، وليس أحد من العرب لا يسمي آباءه أباً فأباً.

---

(1) الخنساء، الديوان، ص190.

(2)الطائي، الحماسة، ص 218. ورد فيه أن وفاء كان معاصراً لقس بن ساعدة الأيادي، سأرحض: أي سأمحو عني هذا العار.

ويفخر لبيد بن ربيعة بشرف نسب أخيه أربد فيقول[1]:

يا أَرْبَدَ الخَيْرِ الكَرِيْم جُدُوْدُهُ خَلَّيْتَنِي أَمْشِيْ بِقَرْنٍ أَغْضَبِ

وتفخر جنوب أخت عمرو ذي الكلب بشرف نسب أخيها ، بل تعُـدُّه أفـضل حسباً من قبائل هذيل فتقول[2]:

أَبْلِغْ هُذَيلاً وَأَبْلِغْ مَنْ يُبلغُها عَنِي حَدِيثاً وَبَعْضُ القَوْلِ تَكْذِيْبُ

بَأن ذا الكلبِ عَمروا خَيْرَهُمُ حَسَباً بِبَطْنِ شُريان يَعوي حَولُهُ الذيبُ

وتصف الخنساء أخاها صخراً بأنه قد ورث المجد عن أجداده وأنـه غيـر مخلوط النسب، وتقول في ذلك[3]:

مُورث المَجْد مَيمُون نَقِيبتهُ ضَخم الدَسيعَة فِي الغَراء مِغْوار

فِرع لِفِرع كَرِيم غَير مُؤتشب جَلد المَرِيرة عِنْدَ الجَمع فِخار

ومما سبق من خصال أضفاها الشاعر على أخيه في رثائه نجد أن الراثي حاول أن يجمع له من أفضل الصفات التي تمجد صورة الأخ وتجعل منه قدوة في الأخـلاق والخصال الحميدة.

5.3 الطقوس والأساطير في رثاء الأخ:

مما لا شك فيه الشعر الجاهلي ورد فيه كثير من الأسـاطير ، فقـد أشـار الشعر إلى عادات فعلها العرب وأقوال كانت من الأساطير ، كالدعاء بالسقيا والوقوف على القبور والذبح عندها للميت، وذكر حيوانات أسطورية مثـل الهامـة والـصدى، وتقديس حيوانات مثل الثور والجمل، وذكر قصص أسطورية عنها، وغير ذلـك مـن الأساطير التي وردت في شعرهم[4].

---

(1) ابن ربيعة، الديوان، ص154، الأغضب: المكسور أحد قرنيه.

(2) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص198.

(3) الخنساء، الديوان، ص389، المريرة: إبرام الرأي، والجلد: الحازم، والفخار: الكثير الفخر.

(4) الشوري، الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، ص66.

والأمر لا يحتاج إلى عناء لنقول إنه كانت هناك حياة عند العرب فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[1].

وقوله أيضاً: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[2] وقد جاء في رثاء الأخ العديد من الأساطير، التي يمكن تناول أهمها كما يلي:

(1) الدعاء بالسقيا:

الدعاء بالسقيا هو دعاء بالخير والبركة والغيث لقبر المرثي ، وتعني السقيا المطر الغزير الذي يروي الأرض اليابسة فينبت الزرع وتظهر الحياة على وجه الأرض.

"فالجاهليون استمطروا السماء بالماء، وأرادوا من ذلك محاربة الفناء وحب البقاء وتجدد الحياة، إذ كان الماء عند الجاهليين غيثاً لهم"[3].

"وعلى تفاوت الجاهليين في الجزئيات الدقيقة للمعاني السابقة حول السقيا فإنهم اتفقوا جميعاً في الهدف من الدعوة بها. فقد أرادوا لقبور موتاهم أن تبقى غضة ندية يكسوها العشب دلالة على الحياة الدائمة - وأن تظل محمية من الدروس، طرية لا يتسلط عليها ما يزيل جدتها ونضارتها"[4].

"وقد يكون الدعاء بالسقيا لقبر المرثي إشارة إلى معنى الكرم في ذات المرثي الذي كان يغيث المحتاجين في حياته بعطاياه وكرمه"[5].

---

(1) سورة الأنفال، آية 31.

(2) سورة الفرقان، آية 5.

(3) جمعة، الرثاء في الجاهلية والإسلام، ص118، 119.

(4) المرجع نفسه، ص119.

(5) الخطيب، بشرى محمد علي، (1971)، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، جامعة بغداد، العراق، ص196.

ومن أمثلة الدعاء بالسقيا لقبر الأخ قول متمم بن نويرة في رثاء أخيه داعياً لقبره بالسقيا[1]:

سَقَى اللهُ أَرْضاً حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ ذِهَابُ الغَوادي المُدْجِنَاتِ فَأَمرعا

والفارعة بنشداد في رثائها أخيها تترقب البر ق في السماء الذي يبشر بنزول المطر، وتترقب الرياح التي تسوق السحب لتنزل المطر فتسقي بها قبر أخيها، حكيم القوم وقائدهم، فتقول[2]:

يَا مَنْ رأى بَارِقاً قَد بِتُّ أرمقه يَسرِي على الحُرّة السَّوداء فَالوادِي

ألقى مراسي غيث مُسبل غَدق دَانٍ يَسح سِيوبَاً ذَات إِيحَادِ

قَوال مُحكَمة نَقاض مُبرَمة فَتاح مُبهَمة حَبَّاس أورادِ

ويدعو المهلهل بن ربيعة بالسقيا لقبر أخيه كليب، فقد كان أخوه يشمل بكرمه جميع المحتاجين فيقول[3]:

سقاكَ الغَيْثُ إنَّك كُنْتَ غَيْثَاً وَيُسْرَاً حِيْنَ يُلْتَمَسُ اليَسَارُ

وتدعو الخنساء لقبر أخويها صخر ومعاوية بالسقيا، وذلك إذ تقول[4]:

سَقَى اللهُ قَبْرَكَ صَوْبَ الغَمَامِ فَرَوَّى القَلِيْبَ وروَّى الْجُنَيْنَا

وفي قصيدة أخرى تدعو لقبر أخيها صخر بالسقيا فتقول[5]:

سَقْيَاً لِقَبْرِكَ مِنْ قَبْرٍ ولا بَرِحَتْ جودُ الرَّوَاعِدِ تَسْقِيهِ وتَحْتَلِبُ

فهي تطلب السقيا لقبره لأنه كان كريماً جَواداً بما لديه فهو يستحق السقيا.

وتدعو بالسقيا للأرض التي ضمت قبر أخيها، تقول[6]:

أسْقَى بلاداً ضُمِّنَتْ قبْرَهُ صَوْبَ مَرابيع الغُيُوثِ السَّوَار

---

(1) الضبي، المفضليات: 268.

(2) ماردِيني، شواعر الجاهلية: 207.

(3) المهلهل، الديوان: 29.

(4) الخنساء، الديوان، ص353.

(5) الشوري، مصطفى عبدالشافي، (1996)، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، بيروت، لبنان، ص159.

(6) الخنساء، الديوان، ص39.

وتدعو الخنساء بالسقيا في قصيدة أخرى فتقول[1]:

سَقَى الإلهُ ضَرِيْحَاً جَنَّ أَعْظُمَهُ وَرُوحُهُ بغَزِير المُزْنِ هَطَّالُ

ولقد ظل الدعاء بالسقيا إلى ما بعد ظهور الإسلام، ولكن الشعراء تخلصوا من إيحاءات كثيرة تتنافى مع تعاليم الدين الجديد، مثل: الدعاء بالخلود والتبرك بالقبر، والدعاء عنده والاستشفاع به، وهذا كله محرم في ديننا الإسلامي.

الوقوف على القبور وعقر الناقة:

كان الشاعر يقف على قبر أخيه ويبكيه بكاء متواصلاً، وربما عقر الإبل أو أراق الخمر على قبره . واختُلِف في سبب عقرهم الإبل على القبور، "وقال ابن السيد فيما كتبهعلى كامل المبرد : اختلف في سبب عقرهم الإبل على القبور فقال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من الإبل في حياته وينحره للأضياف واحتجوا بقول الشاعر:

وَانْضَحْ جَوانِب قَبْرِه بِدِمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُون أَخَا دَم وَذبائِح

وقد قال قوإنما كانوا يفعلون ذلك إعظاماً للميت كما كانوا يذبحون للأصنام . وقيل إنما كانوا يفعلونه لأن الإبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت وكأنهم يثأرون لهم فيها. وقيل إن الإبل أنفس أموالهم فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة. وقد أبطلت الشريعة ذلك بحديث لا عقر في الإسلام"[2].

"وإذا تمعن المرء في المعاني المستترة وراء عقر الإبل وشرب الخمر على القبور أيقن ما تستكنه من ود واحترام وإكرام للميت، وطالما كان يعقر الإبل والخمر لأضيافه وأصحابه في حياته . ويؤكد هذا أن الأعشى كان مشهوراً بشرب الخمر، فلما مات كان ندماؤه يذهبون إلى قبره فيشربون فوقه، وتدور الكأس فإذا حان استحقاق الأعشى منها صبوا له الخمرة، ولهذا كان قبره نديا رطباً"[3].

---

(1) الخنساء، الديوان، ص69.

(2) الألوسي، بلوغ الإرب، 2/310-311.

(3) جمعة، الرثاء في الجاهلية والإسلام، ص118.

الدعاء للميت بعدم البُعد:

وقد صحب الوقوف على القبور الدعاء للميت بقولهم: (لا تبعد).

وقد جرت عادة العرب باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت ولهم في ذلك غرضان: أحدهما لأنهم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل وكأنهم لا يصدقون بموته..

والغرض الثاني: أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته)[1].

ومن أمثلة الدعاء بعدم البعد للأخ قول أم عمرو أخت ربيعة بن مكدم في رثاء أخيها ربيعة[2]:

فَاذْهَب فَلا يُبْعِدَنَّكَ اللهُ مِن رَجُلٍ لاقى الذي كلُّ حيَّ مثلَها لاقَى

وتدعو الخنساء لأخيها صخر بعدم البعد لقبره وأن تجود عليه السحب بالمطر فتقول[3]:

فلا يَبْعُدَنَّ قَبْرٌ تَضَمَّنَ شَخْصَهُ وجَادَتْ عليه كُل واكِفَةِ القَطْرِ

وتدعو في موضع آخر لأخيها صخر بعدم البعد، حيث كان أخوها لا يقبل الظلم ولا يترك ثأره فتقول[4]:

فَاذْهَبْ فلا يُبْعِدَنَّكَ اللهُ مِنْ رَجُلٍ دَرَّاكَ ضَيْمٍ وطَلاَّبٍ بأَوتارِ

وفي موضع آخر تدعو الخنساء لأخيها بعدم البعد، وتؤكد أن الموت يصيب كل الخلق إلا الله الواحد الباقي فتقول[5]:

لا تُبْعَدَنَ فإنَّ الموْت مُخْتَرِمٌ كُلَّ الخلائِقِ غيرَ الوَاحِدِ الباقي

---

(1) الألوسي، بلوغ الإرب، ج3، ص14.

(2) ماردِيني، شواعر الجاهلية، ص221.

(3) الخنساء، الديوان، ص142.

(4) المصدر نفسه، ص292.

(5) المصدر نفسه، ص345.

ويدعو غُوَيَّة بن سلمى بن ربيعة الضبي بعدم البعد لأخيه أبيّ فيقول[1]:

أَأُبيٌّ لا تَبْعَد وَلَيْسَ بِخَالِدٍ حَيٌّ وَمَن تُصِبُ المَنُونُ بَعيدُ

ويدعو لبيد بن ربيعة لأخيه أربد بعدم البعد فيقول[2]:

فَلاَ تَبْعَدَنَ إِنَّ المَنيةَ مَوْعِدٌ عَلَيْكَ فَدَانٌ للطُّلُوْعِ وطَالِعُ

وتدعو الفارعة بنت شداد لأخيها مسعود بعدم البعد فتقول[3]:

أَبَا زُرَارَة لا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتًى يَوْماً رَهِيْنُ صُفَيْحَات وأَعْوَادِ

وتدعو فاطمة بنت الأحجم لإخوتها بعدم البعد فتقول[4]:

إِخْوَتِي لا تَبْعُدُوا أبداً وبَلَى والله قد بعدوا

وتدعو بنت ضرار الضبية لأخيها قبيصة بعدم البعد قائلة[5]:

لا تبعدنَّ وكلُّ شيءٍ ذاهبٌ زَيْنَ المجالسِ والنَّدى قَبِيصَا

ويدعو أعشى باهلة لأخيه المنتشر بعدم البعد فيقول[6]:

إِمَّا سَلَكْتَ سَبِيلاً أَنْتَ سَالِكُهُ فَاذْهَبْ فَلا يَبعَدَنَّكَ اللهُ مُنْتَشر

ومما سبق يبدو جلياً الوقوف على القبور لبكاء الأخ الفقيد مصد حوباً بعقر الإبل وسكب الخمر على قبره مع الدعاء بعدم البعد . وقد ظل الوقوف على القبور مستمراً من العصر الجاهلي إلى عصرنا هذا ، حيث ما زال هناك من يقف على القبور في بعض البلاد العربية، وإن لم يكن هناك عقر للإبل، ولكن تظهر في صور أخرى منها الذهاب إلى القبر وأخذ طعام أو شراب كان يشتهيه الميت بزعم أنه تشارك روحه في الأكل والشرب ، وهذا موجود في مصر في (الترب) على حسب تسميتهم.

---

(1) المرزباني، معجم الشعراء، ص175.

(2) ابن ربيعة، الديوان، ص171.

(3) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص147.

(4) الشوري، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، ص60.

(5) الطائي، ديوان الحماسة: 1053/2.

(6) اليزيدي، الأمالي، ص17.

الهامة والصدى:

من الأساطير التي وردت في الشعر الجاهلي عامة وشعر رثاء الأخ خاصة، الهامة والصدى.

فمن حرص العرب في الجاهلية على الثأر تخيلوا ما يسمونه الصدى والهامة، فالقتيل عندهم إذا قُتِــل ولــم يُدْرك بثأره فإنــه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة وذكرها هو الصدى وهذه الهامة تصيح عند قبره اسقوني اسقوني، فإن قُ تِــل قاتله كف عن ذلك الطائر وسكن. قال مفلس الفقعسي[1]:

وَإِنْ أخَاكم قَدْ عَلمت مَكانه بِسفح (قبا) تسفي عَليه الأَعَاصِيرُ

لَهُ هَامة إِذَا اللَّيل جَنهَــــا بَني عَامِر هَلْ للهِلالي ثائـــــــرُ

ويجمع لبيد بن ربيعة بين الصدى والهامة في رثائه لأخيه أربد قائلاً[2]:

ولَيْسَ النَّاسُ بَعْدَكَ فيِ نَقِيْرٍ وَلاَهُمْ غَيْرُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ

فالبشر في نظره ميتون جميعاً وه ليسوا إلا هامة تصيح كلما رأت إنساناً ، سواء أكانت تعرفه أم تنكره.

وهكذا نجد أن أسطورة الهامة والصدى في رثاء الأخ قد ارتبطت بالــدعوة إلى الثأر من قاتل الأخ ويأتي ذكر الهامة والصدى في رثاء الأ خ للحث على الثأر له وعدم التخاذل وقبول الدية.

أسطورة القمر والحيوان الطوطمي:

كان القمر أحد آلهة العرب، وعندما يشبه المرثي بالقمر نلمح تلك الأسطورة البعيدة التي تقر عبادة الناس للقمر، وقد جاء في شعر رثــاء الأخ نمطيــة التــشبيه بالقمر، ومن ذلك قول الخنساء[3]:

يا بَدْرُ قد كنْتَ بَدْرَاً يُسْتَضَاءُ بهِ فَقَدْ مَضَى يَوَمَ متَّ المَجْدُ والجُوْدُ

وتقول أيضاً مصورةً مكانته من احترام الناس له مثل تقديسهم للهلال[4]:

---

(1) الألوسي، بلوغ الأرب، ج2، ص312.

(2) ابن ربيعة، الديوان، ص209.

(3) الخنساء، الديوان، ص256.

(4) المصدر نفسه، ص347.

مــلَكٌ ماجِــدٌ يقــومُ له النَّــا سُ جَمِيْــعَاً قِيَامــَهُم للهــلالِ

ويُشبِّه لبيد اخاه أربد بالبدر فيقول[1]:

أَلْفيت أَربَدَ يُسْتَضاَءُ بِوَجْهِهِ كَالبَدْرِ غَيْرِ مُقْتِرٍ مُسْتَأْثِرِ

وتقول صفية الباهلية في رثاء أخيها تشبهه بالقمر[2]:

كُنَّا كَأَنْجُمِ لَيْلٍ بَيْنَنَا قَمَرُ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوى مِنْ بَيْنِنَا القَمَرُ

ويشبه بشر أخاه سميراً بالبدر الساطع فيقول[3]:

لِله دَرُّ القُبورِ مَا حُشِيَتْ أَروع شِبْهَاً للبَدْرِ إذ سَطَعَا

وتمتد أسطورة عبادة القمر امتدادات أخرى ترتبط بالثور الوحشي : "ولقد ربطوا بين الثور الوحشي والقمر جاعلين منه رمزاً على الإله "ود" أو "سين" أو "شهر".. وقــد صار رمزاً ممثلاً للإله القمر،ذ إوجدت في معابد القمر -جنوبي الجزيرة - صورة للثور قدمها عابدوه قرابين للإله أو نذوراً كانت عليهم له، ولقد عرف القمر باســم "ثور""[4].

"ومن أساطير بابل القديمة أسطورة تعرف بملحمة جلجامش يقوم فيها الثــور بدور مهم وخطير وعند الآشوريين نجد الثيران المجنحة تقف على أبواب قصورهم حارسة راعية، ذلك لأنهم كانوا يعبدون الإلــه الثــور ويلتمــسون عنــده النــصر والحماية"[5].

ويبدو أنَّ شعراء الرثاء جعلوا الحيوان مثلاً للعبرة والتعزي في الأحزان...

ومما سبق تظهر الأسطورة في التشبيه بالقمر والحيوان الطوطمي في شــعر رثاء الأخ.

---

(1) ابن ربيعة، الديوان، ص166.

(2) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص196.

(3) ابن أبي خازم، الديوان، ص94.

(4) جمعة، الرثاء في الجاهلية والإسلام ، ص73

(5) الشوري، الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، ص73.

أسطورة الصَّفر:

ومن الأساطير التي وردت في الشعر الجاهلي أسطورة الصفر، وقد ذكرها الشعراء في رثاء الأخ : "زعموا أن في البطن حية إذا جاع الإنسان عضت على شرسوفه وكبده، وقيل هي الجوع بعينه ليس أنها تعض بعد حصول الجوع"[1].

ومن ذلك قول أعشى باهلة يمتدح أخاه المنتشر بأن همته ليست في المطعم والمشرب، فلا يرقبها نضج ما في القدر، ولا صفر في جوفه فيعض[2]:

لا يَتَأَسى لِمَا في القِدْرِ يَرْقُبُهُ ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ

أسطورة بنات نعش:

من الأساطير التيوردت في شعر رثاء الأخ الجاهلي أسطورة بنات نعش : "وبنات نعشمن المجموعات النجمية وهي قسمان : بنات نعش الكبرى أو مجموعة الدب الأكبر، وبنات نعش الصغرى أو مجموعة الدب الأصغر، والثانية أقل ظهوراً، واحدها يسمى النجم القطبي ويقال له الجدي، واثنان منهما يكونان الفرقدين"[3].

والفرقدان نجمان في السماء لا يغربان ويطوفان بالجدي . وقد ورد ذكر الفرقدين وبنات نعش في رثاء الأخ مثلاً للخلود. وتلك النجوم المجتمعة في السماء تؤكد فناء ما عداها من الأحياء على الأرض، وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة في رثاء أخيه[4]:

وإلاَّ الفَرْقَدَيْنِ وآلَ نَعْشٍ خَوَالِدَ ما تَحَدَّثُ بانْهِدَامِ

ويؤكد المعنى نفسه عمرو بن معد يكرب في رثاء أخيه قائلاً[5]:

وكُلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوْهُ لعَمْرُ أَبيكَ إلاَّ الفَرقَدانِ

وإن كان الاعتقاد الأسطوري بخلود النجوم فهذا باطل لأن كل شيء فانٍ ولا باق ولا خالد إلا الله عز وجل.

---

(1) الألوسي، بلوغ الإرب: 313/2.

(2) القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: 718/2.

(3) الشورى، الشعر الجاهلي تفسير أسطوري: 72.

(4) ابن ربيعة، الديوان، ص208.

(5) بن معد يكرب، الديوان، ص167.

وتظهر أسطورة الجدي وبنات نعش في قول المهلهل بن ربيعة في رثاء أخيه كليب[1]:

كَأَنَّ الجَدْيَ جَديُ بَنَاتِ نَعْشٍ يَكُبُّ عَلَى اليَدَيْنِ بِمُسْتَدِيْرِ

تقول الأسطورة إن الجدي قتل نعشاً أحد نجوم بنات نعش، وإن بنا ته يـردن أبداً اللحاق بالجدي للاقتصاص منه.

الناقة وعلاقتها بالراثي:

لقد حظيت الناقة بالتقديس في الشعر الجاهل ي، والناقة لها تاريخ قـديم عنـد العرب: فناقة صالح ولدت من بطن صخرة ارتجفت وظهر في جانبها نتوء كبيـر، ظل يدور، ثم تمخضت الصخرة كما تتمخض المرأة، فوضـعت الـ ناقـة، ويـصفها الرواة بالعظمة، فإذا نحن تأملنا وصفهم تبادر إلى ذه ننا ناقة البـسوس فـي حجـم ضرعها وطول قوائمها، حتى كأن ناقة هذا اليوم من أيام العرب هي بعينهـا ناقـة صالح.

وقد سموا بالناقة والجمل كثيراً من النجوم "كالفتيق" وهـو الجمـل العظـيم، وقالوا عن "سهيل" إذا عوته عين الجمل عليه مات من ساعته، ... وترتب على ذلك أن أحاطوا الناقة والجمل بالتقديس ونظروا بعين التعظيم إلى أغلب ما يتعلق بهمـا، فبحروا " البحيرة" وسيبوا "السائبة" ووصلوا "الوصيلة" وحموا "الحامي" وهي جميعاً مخلوقات لها تعلق بتقديس الناقة ... وقد رأوا أن الإبل تولع بأكل عظامهم إذا ماتوا، ولا يوجد حيوان يأكل عظام الموتى من البشر، فكانوا يثأرون لأنفـسهم منـه فـي حياتهم، فأطوا في نحرها وعقرها ... لذلك جعلوا من الناقة ما يشبه الـسفينة فـي الملاحم الكونية القديمة تحملهم إلى العالم الثاني، وهو ظاهر مفهوم البلية التي كانوا يربطونها عند قبر الميت ساعة دفنه . والبلية لا تكون إلا ناقة تعقل إلى جانب القبـر حتى يدركها الموت، فإذا نهض الميت من قبره وجدها قريبة منه، وامتطاها عـابراً إلى العالم الآخر)[2].

---

(1) المهلهل، الديوان، ص37.

(2) نوري، الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، ص 76، 77، 78، وانظر: أبو سـويلم، أنـ ور، (1403هـ)، الإبل في الشعر الجاهلي، ط1، ج1، الرياض، السعودية: 232/1.

وفي شعر رثاء الأخ يمكن أن نجد أهمية الناقة، ومن ذلك تشبيه الخنساء حزنها على أخيها بحزن الناقة الأم المفجوعة بفقد ولدها ، وقد أخذت تتردد في المكان بين إقبال وإدبار، والحزن قد برى لحمها حتى عراها الهزال، وكذلك الخنساء، فقد عظمت مصيبتها جراء فقدها أخاها صخراً، فتقول[1]:

فَمَا عَجُولٌ علـى بَوٍّ تُطِيْفُ بـه لها حَنِينَانِ إصْغَـارٌ وَإكْبَارُ
تَرْتَعُ ما رتَعَتْ حتَّى إذا ادَّكَرَتْ فإنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وإدْبَارُ
لا تَسْمَتُ الدَّهْرَ في أَرْضٍ وإنْ رُبِعَتْ فإنَّمَا هي تَحْنَانٌ وَتَسْجَارُ
يَوْمَاً بأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي صَخْرٌ وللدَّهْرِ إحلاءٌ وإمرارُ

ويشبه متمم بن نويرة حزنه على فقد أخيه بحزن النوق المُ سِّنات وهُنَّ يبكين بصوت واحد لمرأى البوبين مصروعاً ومجروراً، مما يذكرهن بأطفالهن فيصرخن ملتاعات، ويثير مرآهن حزن الإنسان، وقد تهدأ إحداهن لحظة ولكن تبكي واحدة منهن فتنطلق الأخريات بالبكاء، ويؤكد متمم أن كل هذا الألم والحزن الذي يحس به جراء فقده أخاه، فيقول في ذلك[2]:

وَمَا وَجَدَ أَظْآرٍ ثَلاثٍ رَوَائِمٍ أصَبْنَ مَجَرَّاً مِنْ حُوَارٍ وَمَصْرَعَا
يُذَكِّرْنَ ذا البَثِّ الحَزِيْنِ بِبَثِّه إذا حَنَّتْ الأُوْلَى سَجَعْنَ لها معاً
إذ شارِفٌ مِنْهُنَّ قَامَتْ فَرَجَّعَتْ حَنِيناً فَأَبْكَى شَجْوهَا البَرْكَ أجمعَا
بَأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ قَامَ بِمَالِكٍ مُنادٍ بَصِيْرٌ بِالفِرَاقِ فأسْمَعَا

ومما سبق يتضح أنَّ الناقة كانت عند صراً مهماً في تصوير الشعراء لآلامهم وأحزانهم، إذا ما فقد الشاعر منهم أخاه، فيدل ذلك على أهمية الناقة في قصيدة الرثاء.

---

(1)الخنساء، الديوان، ص 381، 382، 384، 385، العجول: التي يموت ولدها وهو صغير، ترتع: ترعى.

(2)الضبي، المفضليات، ص 270، الأظار: جمع ظئر: وهي العاطفة على غير ولدها المرضعة له، والروائم من للمحبات اللائي يعطفن على الرضيع؛ الشارف المسنة من الإبل؛ البرك : الألف من الإبل.

الفصل الرابع
الثأر للأخ

1.4 الثأر والمجتمع الجاهلي:

يعد الثأر من أبرز العادات والمظاهر الاجتماعية في العصر الجاهلي، وقد امتلأ الشعر ا لجاهلي بالحديث عن الثأر المقترن بالحروب، والثأر يعني الانتقام بالقتل من القاتل وقد يمتد القتل إلى عشيرته : "ولعل طبيعة الحياة القبلية هي التي ساعدت على تلك النظرة إلى الثأر؛ ذلك أن حياة تزخر بالحروب والاقتتال، وتقوم على الغزو وشن الغارات، لا بد لها من أن تمـ لأ النفوس بالضغائن والأحقاد، وتجعلها تنطوي على الرغبة في الانتقام لأقربائها ورهطها وأفراد قبيلتها، وهذا ما هيأ لاستمرار المواقع والمعارك، وجعلها في سلسلة طويلة لا تكاد تنتهي، فكل موقعة تخلف قتلى، وكل إغارة تترك خلفها مقاتلين صرعى، وبذلك تشحن القلوب حقداً وبغضاً، وتتأهب النفوس ليوم الثأر، فإذا حلقة أخرى من الحروب قد تكونت، وإذا يوم آخر من أيامهم قد استعر ضرامه، واشتد أواره، ولا ريب تبعاً لذلك، في أن للثأر إسهاماً كبيراً في إذكاء نار الحروب وإبقائها متأججة، وربما أعان على ذلك ما قضت به الأعراف من أن لأهل القت يل حق القود من القاتل، وأن الدم الذي هريق لا بد له من مقابل، وغالباً ما يكون دماً مهراقاً أيضاً"[1].

وفي مثل هذا المجتمع لم تكن هناك قواعد أو قوانين تحكم الثأر، فالنار التي تستعر في قلوب أهل القتيل لا يطفئها إلا الأخذ بالثأر من القاتل دون مراعاة قواعد أو قوانين في الأخذ بالثأر وقد يبالغ أهل القتيل في الانتقام فيقتلون زوجته وأبناءه وعشيرته "الثأر نظام بدوي حيث لا حكومة ولا محاكم ولا سلطة تحول الموتور والواتر، وقد كان هناك شيوخ القبائل ولكنهم لم يملكو ا القوة التنفيذية التي يقتصون

---

(1) يتون، الإنسان في الشعر الجاهلي، ص 221-222، وانظر: الشمايلة، غدير، (1996)، الثأر في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 28-30، 35.

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بها من الجاني؛ لأنَّ القبيلة لم يكن لها قانون جنائي فليس أمام الموتور إلا أن ينتقم من واتره.

وكان الثأر واجباً على أقرب الناس للقتيل، وكانت عشيرة الجاني لا تخذله أو تسلمه إلى الموتور، بل كانت تحميه وتؤازره، فإذا ما قُتل جدت عشيرته لتثأر له أيضاً، وبذلك تجددت الحروب والمنازعات وسفك الدماء، وتطاولت"[1].

"صحيح أن من واجب الزعماء في القبيلة أن يعملوا على إيجاد تسوية بين المتخاصمين من دون أن يملكوا حق فرضها عليهم، ولكن العشائر كثيراً ما كانت لا تنتهي إلى الأخذ بهذه التسويات إلاَّ بعد أن تكون قد تفانت ودقت بينها عطر منشم كما عبر زهير، أما إذا أسلم القاتل طوعاً لا كرهاً إلى الفريق الآخر لينتقم منه فعندئذٍ لا يبقى مجال للثأر، ولكن مثل هذا الصنيع يعتبر وصمة للعشيرة، فهي تفضل أن تقتل الجاني على أن تسلمه طوعاً ويلحق بها العار..."[2].

وقد عبر دريد بن الصمة الذي فقد إخوته في هذه الحروب عن هذه الحياة الجاهلية التي كثر فيها القتال والأخذ بالثأر، فإما أن يثأروا لأنفسهم أو يثأر منهم، فقال[3]:

أَبَى القَتْلُ إلاَّ آلَ صِمَّةَ إنَّهُم ... أَبَوا غَيْرَهُ وَالقَدْرُ يَجْرِي إلَى القَدْرِ
فَإمَّا تَرَيْنَا لا تَزَالُ دِمَاؤُنَا ... لَدَى وَاتِرٍ يَسْمَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَإنَّا لَلَحْمُ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيْرَةٍ ... وَنُلْحِمُهُ أَحْيَاناً وَلَيْسَ بِذِي نُكْرِ
ابْغِ عَلَيْنَا وَاتِرِيْنَ فَيُشْتَفَى ... بِنَا إنْ أُصِبْنَا أَوْ نُغِيْرُ عَلَى وَتْرِ
قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا ... فَمَا يَنْقَضِي إلاَّ وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ

"وكان الجاهليون يرون أن القتيل لا يهدأ في قبره أو يرتاح حتى يدرك ثأره؛ وهذا لم يمنع رثاءَه، ومن هنا اتصلت بعض الأعراف الاجتماعية بطلب الثأر كجز نواصي الأسرى وهلب ذنب الخيل؛ كما ارتبطت في جملة من المعتقدات كالهامة والصدى.

---

(1) الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص211.

(2) المرجع نفسه، ص211-212.

(3) الجشمي، الديوان: 95، وانظر: الجاحظ، البيان والتبيين: 331/2.

أما ما يتعلق بعادات الثأر فقد آمن العرب بأنهم إن لم يأخذوا ثأرهم استهين بهم، وطمع في نسائهم، وعليهم أن يهيئوا رقابهم للذبح كما تهيأ النعاج له"[1].

وقد عبر المهلهل بن ربيعة يوم مقتل أخيه مخاطباً قومه بني تغلب عن استهانة القبائل بهم، وتهيأة أنفسهم للذبح إ ذا لم يأخذوا بثأر أخيه كليب، فقال في ذلك[2]:

إِنْ نَحْنُ لَمْ نَثْأَرْ بِهِ فَاشْحَذُوا شِفَارَكُمْ مِنَّا لِحَزِّ الحُلُوقْ
ذَبْحاً كَذَبْحِ الشَّاةِ لا تَتَّقِي ذَابِحَهَا إِلاَّ بِشَخْبِ العُرُوقْ

ولقد كان الموتور يألو على نفسه أن يفارق اللهو ويمتنع عن الملذات حتى يأخذ بثأره: "وبلغ من كلفهم بالثأر أنهم كانوا يتجافون النساء والخمر والطيب، لأنَّها ضرب من التنعم والبهجة لا يليق بحزين موتور، أو لأنها قد تلهي وتشغل عن الجد في طلب الثأر"[3].

وقد حرموا على أنفسهم النساء وشرب الخمر حتى يثأروا للمقتول، ومما جاء في ذلك قول المهلهل[4]:

خُذِ العَهْدَ الأَكِيْدَ عَلَيَّ عُمْرِي بِتَرْكِي مَا حَوَتِ الدِّيَارُ
وَهَجْرِي الغَانِيَاتِ وَشُرْبَ كَأْسٍ وَلُبْسِي جُبَّةً لا تُسْتَعَارُ
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعِي وَسَيْفِي إِلاَّ أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلَ النَّهَارُ
وَإِلاَّ أَنْ تَبِيْدَ سَرَاةُ بَكْرٍ فَلا يَبْقَي لَهَا أَبَداً أَثَارُ

ولما بلغ تأبط شراً قتل أخيه حرم على نفسه الملذات من الخمر حتى يثأر لأخيه، فقال[5]:

وَحَرَّمْتُ السِّبَاءَ وَإِنْ أُحِلَّتْ بِشَوْرٍ أَوْ بِمَزْجٍ أَو لِصَابِ

---

(1) جمعة، الرثاء في الجاهلية والإسلام، ص58.

(2) المهلهل، الديوان، ص57.

(3) الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ص206.

(4) المهلهل، الديوان، ص32.

(5) ابن سفيان، ثابت بن جابر (ت: 530)، (1984)يوان تأبط شراً وأخباره، ط 1، جمع وتحقيق: علي ذو الفقار شاكر، دار العرب الإسلامي، القاهرة، مصر: 309.

ويحرم دريد بن الصمة الخمر على نفسه حتى يثأر لأخيه من قاتله، فيقول[1]:

شُلَّتْ يَمِيْنِي وَلَمْ أَشْرَبْ مُعَتَّقَــةٌ إِنْ أَخْطَأَ المَوْتُ أَسْمَاء بِنْ زِنْبَــاع

وقد يُحرِّم طالب الوتر على نفسه فضلاً عن النساء وشرب الخمر، تطييــب الشعر وترجيله، مبقياً شعره أشعث مغبراً حتـ ى ينال الثأر ويشفي غليله، ومن ذلــك قول العباس بن مرداس في رثاء أخيه[2]:

وَأُنبِئْتُ أَنْ قَدْ أَحْرَمَ الغَسْلَ عَامِرٌ وَأَنِّي لَرَاضٍ عَنْكَ مَا لَــمْ تَرَجَّــلِ

فإذا تحقق لطالب الوتر ثأره أضحت تلك الملذات حلالاً يمكن أن يعود إليهــا بعد أن هدأت عاطفة الانتقام، ومن ذلك قول تأبط شراً[3]:

فَأَدْرَكْنَــا الثَّــأْرَ مِــنْهُم وَلَمَّــا يَــنْجُ مِــنْ الحَيَــانِ إِلاَّ الأَقَّــلُ

حَلَّتِ الخَمْــرُ وَكَانَــتْ حَرَامــاً وَبَلَــى مَــا أَلَمَّــت تَحِــلُ

ومن عادات الجاهليين في الثأر أنهم "كانوا يؤخرون البكاء على القتيل حتــى يثأروا له، فإذا ما ثأروا بكت النساء قتيلهن وندبنه"[4].

ومن يطالع الشعر الجاهلي يجد أن للنساء دوراً كبيراً في الحث على الأخــذ بالثأر وعدم التخاذل ورفض الدية، وكانت المرأة بشعرها تلهــب نفــوس إخوتهــا وقومها للانتقام عن طريق النواح والصراخ وشق الجيوب واللطم وخمش الـ وجــوه بالأظافر، ووضع التراب والطين فوق الرؤوس، والاستمرار في النواح والبكاء حتى يدرك الثأر.

"وكان للثأر بعض النفع لأنه يكبح من جماح بعض الحمقى الــذين تــسيرهم شهوات القتل والقسوة، ولولا ذلك لانغمسوا في إجابة غرائزهم وخــروجهم علــى القانون دون خوف أو رهبة من عقاب"[5].

---

(1) الجشمي، الديوان: 87.

(2) السلمي، الديوان، ص230.

(3) ابن سفيان، الديوان: 245.

(4) الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص213.

(5) المرجع نفسه، ص212.

ولكن كان للثأر مساوئ كثيرة منها : قتل كثير من الأنفس الذين يذهبون ضحايا لتلك الحروب الطاحنة التي قد تستمر سنيناً، كحرب البسوس التي كانت أطول حرب في الجاهلية، وخلفت الكثير من الأرامل والعديد من الأيتام، كما أن طالب الوتر قد يرى أن القاتل ليس كفؤاً ولا جديراً بأن يؤخذ الثأر منه، فينصرف بالانتقام إلى من هو أفضل عزة وشرفاً منه في القبيلة فيقتله، ولقد حرم الإسلام ذلك بأن جعل القصاص من القاتل نفسه؛ لأن في قتل غيره ظلماً شديداً، ويجعل القتل يدور كالرحى.

ونظراً لسلامة المبدأ الذي قام عليه الثأر وهو تحقيق الضبط والتوازن بين الجماعات فقد جاء مبدأ القصاص في الشريعة الإسلامية مرتبطاً به، إذ أقر أخذ القاتل بجريمته وتوقيع عقوبة الموت عليه إذا توافرت شروط الجرم، وذلك حماية للمجتمع ودرءاً لعوامل الشر عنه، وفي هذا المعنى نزلت الآية الكريمة : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، والواقع أن القصاص صورة متحضرة لنظام الثأر، أو أن الثأر صورة بدائية همجية هذبت بعد نشأة النظام المركزي للحكم فتحولت إلى شريعة القصاص، وبذلك أبقى القانون السماوي والقانون الوضعي على الغاية من الثأر واستئصال أساليبه الضارة بما يؤدي إليه من مذابح همجية يتقوض فيها نظام المجتمع واقتصاده وسائر مقوماته البشرية والمادية، ومؤدى هذا النظام أنه في حالة عدم إمكان القصاص من القاتل نفسه يقتص من أي من أقاربه، ويتجه القصاص دائماً إلى تحقيق التعادل بين الجماعتين، جماعة المعتدي وجماعة المضرور، وإعادة حالة توازن القوى التي كانت موجودة قبل وقوع الضرر، وهكذا كان الثأر شكلاً جماعياً للانتقام بمعناه العام، وهو مقابلة العدوان بالعدوان، إذ كان أفراد القبيلة جميعاً يتضامنون في توقيع العقوبة على المعتدي وقبيلته، وكان أفراد

(1) سورة البقرة، آية 179.

القبيلة جميعاً يتضامنون كذلك في حمايته، ولما جاء الإسلام جرد جماعة المعتـــدى عليه من حق القصاص باليد، وجعل هذا الحق للسلطة الحاكمة تنظيماً وتهذيباً له"[1].

أما عن الثأر للإخوة فإن الشعر الجاهلي يزخر بالقصائد التي تحمل معـــاني الانتقام والتهديد والحرص على الثأر ورفض الصلح والدية.

يؤكد الشعر الجاهلي مسألة إلحاح الأخ على طلب ثأر أخيه، إن كان مقتولاً، وكأنه قد تسلم زمام الأمور من بعده، فألقيت على عاتقه مهمة الأخذ بالثأر، رافـــضاً مبدأ قبول الدية والصلح.

"وللعامل النفسي أثر كبير في تحريك مشاعر الأخ وأهل المقتول نحو السعي إلى إدراك الثأر، إذ يصل الأخ إلى مرحلة يائسة بعد مقتل أخيه، فيقع في أسر الآلام والأحزان التي لا يستطيع الخروج منها إلا إذا ظفر بالقاتل واقتص منه، متجـــاوزاً بذلك كل ما يقف أمامه من عوائق تحول بينه وبين تحقيق ما يصبو إليه، لأنَّه إن لم يحقق مقصده، فإنه واقع في الخزي والعار لا محالة، حسب مبادئ المجتمع الجاهلي وقوانينه التي تتعلق بمبدأ الثأر"[2].

ولقد كان دافع الثأر للأخ قوياً كالتيار الجارف لا يقف أمامه شيء ولا حتـــى صلة القرابة: "ولم تكن القرابة الآصرة لتحول بين الأكثرين وبين الاشتفاء بالثأر من أقاربهم، فالقرابة ما كانت لتكفكف من حفيظة غير الحكماء، ولم يكن يـــشفيهم إلا أن تنهل رماحهم من دماء أقاربهم الذين قتلوا من هو أقرب مـــنهم، وإذا ذكـــر بعـــض العقلاء بحق القرابة اتهموا مذكريهم بأنهم لا يحسون إحساسهم ولو أحسوه ما حاولوا أن يثنوهم"[3].

وقد امتدت عادة الثأر عبر القرون من العـــصر الجـــاهلي حتـــى العـــصر الحاضر، وإن كانت قد خفت حدتها ولكنها ما زالت تطل علينا من حين إلى آخر في

---

(1) فتح الباب، حسن، (1425هـــ)، فن الرثاء في الشعر العربي القديم، مجلة جذور، العدد 18، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ص316، 317.

(2) المبيضين، الأسرة في الشعر الجاهلي، ص196.

(3) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص208.

بعض البلاد العربية، وخاصة تلك التي ليس فيها مدنية ويغلب عليها التعصب القبلي.

ومن المؤكد أن رابطة الإخوة قوية، وفقد الأخ المقتول يؤلم ويوجع ولا تهدأ النفس إلا بالثأر له، وهذا ما عبَّرَ عنه الشعراء والشواعر في العصر الجاهلي في قصائدهم الشعرية التي تناولت رثاء الأخ، وتهديد القاتل وأهله.

2.4 الحرص على إدراك الثأر:

لقد كان العربي في الجاهلية حريصاً على إدراك الثأر، وكان دور الرجال في ذلك هو التهديد بأخذ الثأر والسعي بكل وسيلة لإدراكه، أما دور النساء فتمثل في التحريض على الأخذ بالثأر، ولقد كان الحرص على إدراك الثأر للأخ يظهر بقوة في الشعر الجاهلي، ومن صور الحرص على الأخذ بالثأر موقف المهلهل بن ربيعة الذي أكد رغبته الشديدة في الثأر لأخيه كليب قائلاً[1]:

إِنَّا بَنُو تَغْلُبٍ شُمٌّ مَعَاطِسُنَا بِيْضُ الوُجُوْهِ إِذَا مَا أَفْزَعَ البَلَدُ
قَوْمٌ إِذَا عَاهَدُوا وَفَّوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا وَإِنْ شَهِدُوا يَوْمَ الوَغَى اجْتَهَدُوا
وَإِنْ دَعَوْتَهُمْ يَوْماً لِمَكْرُمَةٍ جَاؤُوا سِرَاعاً وَإِنْ قَامَ الخَنَى قَعَدُوا
لا يَرْقُدُوْنَ عَلَى وَتْرٍ يَكُوْنُ لَهُمْ وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وَتْرُ العِدَى رَقَدُوا

يفخر المهلهل في الأبيات السابقة بأنه من قوم لا يتركون ثأراً لهم وهو بذلك يشير إلى أنه لا يمكن أن يترك ثأره بل إنه ملح في طلبه.

ويهدد المهلهل قبيلة بني ذهل بالثأر لأخيه طالباً منهم أن يردوا كليباً مرة أخرى إلى الحياة، وفي ذلك تعجيز وإنذار لهم بعدم تراجعه عن الثأر لأخيه فيقول[2]:

قُلْ لِبَنِي ذهل يردونه أو يصبروا للصيلم الحنفقيق

---

(1) المهلهل، الديوان، ص25.

(2) المصدر نفسه، ص56؛ الصيلم: السيف؛ الخنفقيق: الداهية أو الدواهي.

ويؤكد المهلهل بأنه لن يترك ثأره فيقول[1]:

لَـــيْسَ أَخُـــوْكُم تَارِكـــاً وِتْـــرَهُ وَلَـــيْسَ عَـــنْ تطْلابِكُـــمْ بِـــالمُفِيْقِ

ويؤكد عامر بن الطفيل حرصه الشديد على الثأر لأخويه الحكـم وحنظلـة، فيقول[2]:

وَلأَثْـــأَرَنَّ بِمَالـــك وَبِمَالـــك وَأَخِي المَـــرَوَرَاةِ الَّـــذِي لَـــمْ يُـــسْنَدِ

وَقَتِيْـــلُ مُـــرَّةَ أَثْـــأَرَنَّ فَإِنَّـــهُ فَـــرْعٌ وَإِنَّ أَخَـــاهُمْ لَـــمْ يُقْـــصَدِ

ويصر العباس بن مرداس في رثائه لأخيه عمرة بن مرداس علـى الأخـذ بثأره، ويقسم على أنه سيغير على أعدائه في عقر دارهم ليثأر لأخيه فيقول[3]:

فَلا وَضَعَتْ عِنْدِي حَصَانٌ خِمَارَهَا وَلا ظَفِـرَتْ كَفِّـي بِقِـرْنٍ أُنَازِلُـهْ

لأَنْ لَمْ أَزُرْ خَوْلانَ فِي عُقْرِ دَارِهَا بِـأَرْعَنَ رَجَّـافٍ تُزَجَّـى قَنَابِلُـهْ

وَأَشْفِي غَلِيْلِي مِنْ سَـرَاةِ قُـضَاعَةٍ وَكُلُّ صَـقِيْلٍ يَمْـلأُ الكَـفَّ حَامِلُـهْ

ولما بلغ تأبط شراً قتل أخيه أقسم أن يثأر له من قاتله ولو كان ثمـن ذلـك حياته، فيقول مهدداً[4]:

حَيَـــاتِيَ أَوْ أَزُوْرَ بَنِـــي عُتَيْـــرٍ وَكَاهِلَهَـــا بِجَمْـــعٍ ذِيْ ضَـــبَابِ

ومن شدة حرص المهلهل على الثأر لأخيه كليب يؤكد أنه لا يهاب الموت في سبيل إدراك الثأر، لأنه لا يموت ذكر من أخذ بثأره فيقول مهدداً[5]:

فَقَـــتْلاً بِتَقْتِيْـــلٍ وَعَقْـــراً بِعَقْـــرِكُمْ جَزَاءَ العُطَاسِ لا يَمُوْتُ مَـــنْ الثـــأَرْ

ويؤكد المهلهل سرعة انتقامه من موتوريه، فهو لن يمهلهم كثيـراً وسـيكون انتقامه منهم قاسياً وشديداً.

---

(1) المهلهل، الديوان، ص58؛ وتره: الثأر.

(2) الأصمعي، الأصمعيات، ص190-191.

(3) السلمي، الديوان: 136.

(4) ابن سفيان، الديوان، ص309.

(5) المهلهل، الديوان: 27؛ العقر: القتل والإهلاك؛ جزاء العطاس: الدعاء بالخير.

وقد يبالغ الأخ في إدراك الثأر لأخيه فلا يكتفي بقتل قاتل أخيه بل يطلب الثأر من أبناء قبيلة القاتل جـ ميعهم، فمن ذلك قول المهلهل بن ربيعة الذي يتوعد بالثأر من قبائل بكر كلها ويهدم بنيانها، ويرى أوصالهم وجماجمهم تنهشها الضباع والسباع، تنقر عيونهم وتمزق أعضاءهم وتتجاذبها[1]:

كَـــلاَّ وَأَنْـــصَابٍ لَنَـــا عَادِيَّـــةٍ مَعْبُـــوْدَةٍ قَـــدْ قُطِّعَـــتْ تَقْطِيْعَـــا
حَتَّـــى أَبِيْـــدَ قَبِيْلَـــةً وَقَبِيْلَـــةً وَقَبِيْلَـــةً وَقَبِيْلَتَـــيْنِ جَمِيْعَـــا
وَتَـــذُوْقُ حَتْفـــاً آلُ بَكْـــرٍ كُلُّهَـــا وَنَهُـــدَ مِنْهَـــا سَـــمْكَهَا المَرْفُوْعَـــا
حَتَّى نَـــرَى أَوْصَـــالَهُمْ وَجَمَاجِمـــاً مِـــنْهُم عَلَيْهَـــا الخَامِعَـــاتُ وُقُوعَـــا
وَنَرَى سِـــبَاعَ البَّـــرِّ تَنْقُـــرُ أَعْيُنـــاً وَتَجُـــرُّ أَعْـــضَاءً لَهُـــمْ وَضُـــلُوعا

وفي قصيدة أخرى يقسم المهلهل بأنه سيقتل بكليب كل أمير عظيم من أمراء بكر، ويفخر بأنه قد انتقم منهم وأعمل فيهم القتل وداسهم بالنعال، جزاء ما جنوه من قتل كليب، ولم يترك منهم غير الضعفاء والنساء والأطفال، فيقول شافياً غليله منهم[2]:

قَدْ شَـــفَيْتُ الغَلِيْـــلَ مِـــنْ آلِ بَكْـــرٍ آلَ شَـــيْبَانَ بَـــيْنَ عَـــمٍّ وَخَـــالِ
كَيْفَ صَبْرِي وَقَـــدْ قَتَلْـــتُمْ كُلَيْبـــاً وَشَـــقِيْتُم بِقَتْلِـــهِ فِـــي الخَـــوَالِي
فَلَعَمْـــــرِي لأَقْـــــتُلَنَّ بِكَلَيْـــــبٍ كُـــلَّ قَيْـــلٍ يُـــسَمَّى مِـــنَ الأَقْيَـــالِ
وَلَعَمْرِي لَقَدْ وَطِئْـــتُ بَنِـــي بَكْـــرٍ بِمَـــا قَـــدْ جَنَـــوْهُ وَطْءَ النِّعَـــالِ
لَـــمْ أَدَعْ غَيْـــرَ أَكْلُـــبٍ وَنِـــسَاءٍ وَإِمَـــــاءٍ حَوَاطِـــــبٍ وَعِيَـــــالِ
فَاشْـــرَبُوا مَـــا وَرَدْتُـــمُ الآنَ مِنَّـــا وَاصْدِرُوا خَاسِرِيْنَ عَنْ شَـــرِّ حَـــالِ

ويرى المهلهل أن كل قتيل غير آل همام يعد صغير المقام، وليس من مقام كليب، حتى ينال القتل آل همام، فإنهم عندئذ يكونون وفاء به، فيقول[3]:

كُـــلُّ قَتِيْـــلٍ فِـــي كُلَيْـــبٍ حُـــلامِ حَتَّـــى يَنَـــالَ القَتْـــلُ آلَ هَمَّـــامْ

---

(1) المهلهل، الديوان، ص50-51، حتفاً: موتاً؛ الصمك: السقف، الخامعات: الضباع.

(2) المصدر نفسه، ص71.

(3) المصدر نفسه: 76؛ حُلام: الجدي الصغير.

وفي قصيدة أخرى تصل المبالغة في الثأر بالمهلهل إلى أن يهدد بقتل قبائل تغلب فتملأ جثثهم كل مكان، وتتبادل النسور نهش جثثهم، فيقول[1]:

فَلأَتْرُكَنَّ بِهِ قَبَائِلَ تَغْلِبٍ قَتْلَى بُكِلِّ قَرَارَةٍ وَمَكَانِ
قَتْلَى تُعَاوِرُهَا النُّسُوْرُ أَكُفُّهَا يَنْهَشْنَّهَا وَحَوَاجِلُ الغِرْبَانِ

وقد بالغ باعث بن صريم في الثأر من بني أيد من تميم الذين قتلوا أخاه وائلاً "إذ روي أن باعثاً آل على نفسه أن يقتل بوائل منهم حتى يلقي الدلو فتمتلئ من دمائهم، وقد أبر بقسمه، وصور ذلك في قوله[2]:

سَائِلْ أُسَيِّدَ هَلْ ثَأَرْتُ بِوَائِلٍ أَمْ هَلْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ بَلْبَالِهَا
إِذْ أَرْسَلُوْنِي مَائِحاً بِدِلائِهِمْ فَمَلأْتُهَا عَلَقاً إِلَى أَسْبَالِها

وتقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب في رثاء أخيها مصورة حرصها على الثأر له بأنه لا يكفيها قتل كل فرد في قبيلة قاتل أخيها، فتقول[3]:

وَاللهِ لَوْ بِكَ لَمْ أَدَعْ أَحَداً إِلاَّ قَتَلْتُ لَفَاتَنِي الوِتْرُ

ومن أهم مظاهر الحرص على الثأر للأخ التحريض والحث على طلب الثأر، ويبدو ذلك واضحاً وجلياً في شعر رثاء النساء، ومن أشهر شاعرات الجاهلية في التحريض على الثأر للأخ الخنساء التي حرَّضت قومها على الأخذ بثأر أخيها صخر قائلة[4]:

لاَ نَوْمَ حَتّى تَعوُدَ الخيلُ عَابِسَةً يَنْبِذْنَ طَرْحاً بِمُهراتٍ وَأَمْهَارِ
أَوْ تَحْفِزُوا حَفْزَةً والمَوْتُ مُكْتَتِعٌ عَنْدَ البُيُوتِ حُصَيْناً وابن سَيَّارِ
فَتَغْسِلُوا عَنكُمُ عَاراً تَجَلَّلَكُمْ غَسْلَ العَوَارِكِ حَيْضاً بَعْدَ أَطْهَارِ

فهي لا ترتاح ولا تهدأ حتى يهجم قومها على الأعداء بكل ضراوة وقسوة يتم لها فيها قتل واتريها ومحو العار الذي لصق بقومها.

---

(1) المهلهل، الديوان، ص88.

(2) الطائي، الحماسة: 532/2، بَلْبَالها: اهتمامها بطلب الثأر.

(3) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص240.

(4) الخنساء، الديوان، ص301، 302، العارك: الحائض، بعد أطهار: عند انقطاع حيضها.

وقالت الخنساء تحرض قومها على الثأر لدم أخيها صخر، وهي تذكرهم بأن صخراً قد قُتل دون أن يُدْرَكَ ثأره، قائلة[1]:

أَبَنـــي سُـــلَيْم إنْ لَقِيـــتُمْ فَقْعَـــساً فـــي مَحْـــبسٍ ضَـــنْكٍ إلـــى وَعْـــرِ
فـــالقُوهُم بُـــسُيوفِكُم وَرِمَـــاحِكُم وَبَنَـــضْحَةٍ بالنَّبْـــلِ كـــالقَطْرِ
حَتَّى تَفُـــضُّوا جَمْعَهُـــمْ وَتَـــذكَّروا صَـــخْراً ومَـــصْرَعَهُ بِـــلاَ ثَـــأرِ

ومن صور الحث على إدراك ثأر الأخ ما يروى أنَّه "دخلت أميمة امرأة عبدة بن مرة على أبي خراش وهو يلاعب ابنه، فقالت له : يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره ولهوت مع ابنك، أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك، وبطلب قاتلك حتى يقتله، فبكى أبو خراش وهو ينفي أنه نسي ثأر أخيه، فقال في ذلك[2]:

لَعَمْرِي لقد راعت أُمَيْمَـــةُ طَلْعَتـــي وإن ثَـــوائي عنـــدها لَقليـــلُ
تَقُـــولُ أراهُ بعـــد عُـــرْوَةَ لاهِيـــاً وَذلـــك رُزْءٌ لَـــو عَلمـــتِ جَلِيـــلُ
ولا تَحْسَبي أنِّـــي تناسَـــيتُ عهـــدَه ولكـــنَّ صَـــبري يـــا أُمَـــيْمَ جَميـــلُ

وقد تستثير المرأة الرجال وتحثهم على الأخـذ بالثـأر بالكلمـات اللاذعـة الموجعة التي لا تطاق، و وصفهم بالإماء العاهرات، ويبدو ذلك فيما قالته هند بنت حذيفة التي لامت قومها بكلمات قاسية لتقاعسهم عن الثأر لأخيها حصن فقالت[3]:

فإن لـــم تُـــصبِحوا القـــوم غَـــارة يُحـــدِّثُ عَنهـــا وَارد بَعـــد صَـــادرِ
وَترموا عَقيلاً بالتي لَـــيسَ بَعـــدهَا بَقـــاءٌ فَكُونـــوا كالإمـــاء العَـــواهرِ

فقد طعنت هند أبناء قومها في رجولتهم حين شبهتهم بالجواري العواهر إن لم يثأروا لأخيها، وذلك حتى تستثير حميتهم، فيهبوا للثأر.

---

(1) الخنساء، الديوان، ص236-237.

(2) الهذليين، الديوان، ص116.

(3) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص102.

وتحض أسماء بنت ربيعة قومها على الثأر لأخيها كليب قائلة[1]:

يَـــا بَنـــي تَغلِـــبَ لاَ تَتَـــأخَّرُوا واطلبـــوا ثَـــأرَ مَليـــكِ الجَحْفَـــلِ
إنَّنـــــي قَاتِلـــــةٌ مَقْتَولـــــةٌ فعـــسى الأيـــامُ أنْ تُعْقِـــبَ لـــي

"ولقد تعمد المرأة إلى كلام مثير يشعر المتواني عن الثـأر بعجـزه، ليـدفع التهمة عن نفسه بالجد في الثأر، كما قالت ريحانة بنت معد يكرب لابنها دريد بـن الصمة[2] بعد أن مر حول على مقتل أخيه عبد الله : يا بني إن كنت عجـزت عـن الثأر بأخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد - تعنـي عمـرو بـن معـد يكـرب الزبيدي- فأنف ابنها من ذلك وحلف ألا يكتحل ولا يدهن ولا يمس طيباً ولا يأكـل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره"[3].

وقد بدا ذلك في قول دريد[4]:

ثَكِلْتِ دُرَيداً إنْ أَتَـتْ لـ ـك شَـتْوةٌ سوَى هـذحَتَّـى تَـدُورَ الـدَّوَائرُ
وَشَـيَّبَ رأسِـي قَبْـلَ مَـشيبِه بُكَـاؤُكَ عَبْـدَ الله والقَلْـبُ طَـائرُ
إذْ أَنَـا حَـاذَرْتُ المَنيّـةَ بَعْـدَهُ فَـلا وَأَلَـتْ نَفـسٌ عَلَيْهـا أُحَـاذِرُ

وتحثكبشة أخت عمرو بن معـ ـد يكـرب قومها على أن يثأروا لأخيهـ ا عبد الله، وزادت من حميتهم عندما وصفتهم بنعام مجـدوع الأذان، لا يـستطيعون ورود الماء إلا بعد النساء فقالت في ذلك[5]:

فَـإِنْ أَنْـتُم لَـمْ تَثْـأَرُوا وَاتَّـديْتُم فَمَـشَّوا بِـآذَانِ النَّعَـامِ المُـصَلَّمِ
وَلا تَـردُّوا إلاَّ فُـضُولَ نِـسائِكُم إِذَا ارْتَمَلْـتَ أَعقَـابُهُنَّ مِـنَ الـدَّمِ

---

(1) ميدان، شعر تغلب في الجاهلية، ص212-213.

(2) دريد بن الصمة بن الحارث بن معاوية بن جداعة بن بكر بـن هـوزان، فـارس مـشهور وشاعر فحل وهو أحد الشجعان المشهورين وذوي الرأي، كان سيد جشم وفارسـها، أدرك الإسلام ولم يسلم.

(3) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص446-447.

(4) الجشمي، الديوان: 80؛ ألت: نجت.

(5) ماردِيني، شواعر الجاهلية، ص104.

"ويمكن القول إن التقاعس والتخاذل عن السعي في إدراك ثأر الأخ، كان مدعاة للوم والسخرية من القوم حسب أعرافهم وتقاليدهم الاجتماعية، ومن ذلك أن قيساً بن عاصم أخذ يلوم خالداً بن مالك، الذي تخاذل وتهاون في تحقيق ثأر أخيه ربعي، الذي قتله ابن حنظلة بن يسار العجلي من بكر بن وائل، فقال الشاعر في ذلك:

ولَو كُنتَ حُراً يَا ابن سُلمَى بن جندل نَهضتَ ولَم تقصر لسلمى بن جندل
فَما بَال أصداء بِفلج غَريبة تُنادِي مَع الأطلال يَا ابن حنظل
صوادي لا مولى عزيز يُجِيبُهَا ولَا أسرة تَسقِي حَراماً بِمنهل

فهو يعير على مالك تخاذله، وتقاعسه على أخذه ثأر أخيه خوفاً من الردى، وهذا الموقف منه لا يدل على سيادته وشرف نسبه في قومه؛ لأنه ترك أخاه وتخلى عن الأخذ بثأره، فبقيت أصداء أخيه تنادي وتستحث من يسمعها بأن يأخذوا بثأر صاحبها ربعي"[1].

"وعلى نهج نفسه نرى قيساً بن زهير [2] الذي كان حريصاً على تحقيق غايته النبيلة المتمثلة في إدراك الثأر من قتلة أخيه مالك، خشية اللوم والوقوع تحت طائلة المسؤولية، ولذلك هب يحث الربيع بن زياد من قبيلته على النهوض مع قومه العبسيين لحرب الذبيانيين، وكأنه قد استاء من موقف القبيلة وما حل بها بعد مقتل أخيه، فأخذوا يتوعدون بني بدر قتلة أخيه، فأشار قيس إلى هذا المقصد بقوله[3]:

و بَنُو بدر بِمَقتَلِ مَالِكِ يَخْذُلُنا فِي النَّائِبَاتِ رَبِيع
وَكَانَ زِيادٌ قَبْلَهُ يَتَّقِى بِهِ مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَوْمَ أَلَمَّ فَظِيعُ
فَقُلْ لِرَبِيعٍ يَحْتَذِى فِعْلَ شَيْخِهِ وَمَا النَّاسُ إِلاَّ حَافِظٌ وَمُضِيعُ

---

(1) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت: 630هـ)، (1987)، الكامل في التاريخ، ط1، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 1/515.

(2) قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن عبس بن بغيض، شاعر جاهلي وفارس مشهور من فرسان عبس في حرب داحس والغبراء، أدرك الإسلام وأسلم، ثم ارتد وتنسك.

(3) ابن زهير، قيس (ت: 16هـ)، (1972)، شعر قيس بن زهير، تحقيق : عادل البياتي، مطبعة الأديب، بغداد، العراق، ص45.

وإلاَّ فَمَـــالِي فـــي الـــبِلادِ إقَامَـــةٌ وَأَمْـــرُ بَنِـــي بَـــدْرٍ عَلَـــيَّ جَمِيـــعُ

ومن صور الحض على الثأر للأخ قول المسيب بن علس يدعو للثأر لقتيـل مرة، وأن لا يذهب دمه هدراً[1]:

وَقَتيـــل مُـــرَّةَ اَثْـــأرَنَّ فإنـــه فَـــرعٌ وإنَّ أخـــاكمُ لـــم يَثْـــأرِ

ولا تتم الراحة والسكينة إلا بإدراك الثأر، فمن ذلك قول دريد بـن الـصمة يفخر بانتقامه من قاتل أخيه وبلوغه ثأره[2]:

أيَا رَاكباً إمَّـا عَرَضْـتَ فَـبَلِّغَنْ أَبَـا غالـبِ أَنْ قَـدْ ثَأَرْنَـا بِغالِـبِ

وَأَبْلِغْ نُمَيْـراً إنْ مَـرَرْتَ بـدارها عَلى نَأْيِهـا فـأيُّ مَـوْلى وطالِـبِ

قَتَلْـتُ بعبـدِ اللهِ خَيْـرَ لِدَاتـهِ ذُؤابَ بن أسماءَ بن زيدِ بن قاربِ

وخرج السمع بن جابر -أخو تأبط شراً - في صعاليك من قومه يريد الغـارة على بني عتير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر، حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعياً لهم فسأله عنهم فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم، فبيتهم، فلم يفلت مـنهم مخبـر، واستاقوا أموالهم، فقال في ذلك السمع بن جابر[3]:

بـأعلى ذي جَمَـاجِم أهـلُ دَارٍ إذا ظَعَنَـتْ عـشيرتُهُم أقـام وا

طـرَقْتُهُم بفتيـانٍ كِـرامٍ مَـسَاعِيرٍ إذا حَمِـيَ المقـامُ

متـى أدْعُ مِـنْ فَهْـمٍ تُجِبْنـي وَعَـدْوَانَ الحمـاة لهـم نِظَـامُ

ويفخر السمع في الأبيات السابقة بالانتقام ثأراً لأخيه، وكان معاوية بن عمرو ابن الشريد فارساً شجاعاً، فأغار في جمع من بني سليم على غطفان، وكان صـميم خيلهم، فنذر به القوم فاحتربوا فلم يزل يطعن فيهم ويضرب، فلما رأوا ذلك تهيأ لـه ابنا حرملة دريد وهاشم، فاستطر د له أحدهما، فحمل عليه معاوية فطعنـه، وخـرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله، فلما دخلت الأشهر الحرم، ورد عليهم صخر، فقال :

---

(1) ابن علس، زهير، (1994) شعر المسيب بن علس، ط 1 جمع وتحقيق : أنور أبو سـويلم، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، ص76.

(2) الجشمي، الديوان، 91.

(3) السلمي، الديوان، ص310-311.

أيكم قاتل أخي؟ فقال أحد ابني حرملة للآخر: خبره! فقال: استطردت له فطعنني هذه الطعنة، وحمل عليه أخي فقتله، فأينا قتلت فهو ثأرك أما إنا لم نسلب أخاك، قال : فما فعلت فرسه السمي؟ قال ها هي تلك فخذها، فانصرف بها .فقيل لصخر : ألا تهجوهم؟ فقال بيتي وبينهم أقذع من الهجاء، ولو لم أمسك عن سبهم إلا صيانة للساني عن الخنا لفعلت، فلما انقضت الأشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم، فنظرت غطفان إلى خيله بموضعها، فقال بعضهم لبعض : هذا صخر بن الشريد على فرسه السمي، فقيل: كلا السمي غراء وكان قد حمم غرتها فأصاب فيهم وقتل دريد بن حرملة[1] وأما هاشم فإن قيس بن الأسوار الجشمي من جشم بن هوازن بن منصور لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهه، فرآه وقد انفرد لحاجته، فقال : لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فأرسل عليه سهماً ففلق قحقحه[2].

ولقد افتخر صخر بثأره لمعاوية بقتله دريد، فقال[3]:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمْ ثُنَاءً وَمَوْحَداً وَتركْتُ مُرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ المُدْبِرِ

ولقد رَفَعْت إلى دُرَيْدٍ طَعْنَةً نَجْلاءَ تُزْغِلُ مِثْلَ عَطّ المنْحَرِ

وأشادت الخنساء بقيس الجشمي الذي قتل هاشم بن حرملة الذي قتل أخاها معاوية، فقالت[4]:

فدى للفَارسِ الجُـ شْمِيّ نَفْسي أُفَدِّيهِ بمالي مِنْ حَمِيمِ

وقد يمضي بالشاعر زمن طويل بعد قتل أخيه أو قريبه، بيد أن قيمة الشجاعة التي تكمن فيه تجعله يستمر في الشعر لإدراك الثأر، وهذا ما حدث لمكرز بن حفص القرشي[5] حين قتل أخاه عامر بن يزيد الكناني، ولهت عنه قريش، فلم تطلب به، لما بينها وبين كنانة من دماء غير أن مكرز ظل طاوياً كشحه على الحقد

---

(1) دُريد بن حرملة بن الأسعر بن ريث بن غطفان وهو أخو هاشم بن حرملة، وهما شاعران جاهليان.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 342/1، 344.

(3) الخنساء، الديوان، ص426، تزغل: تخرج الدم قطعة قطعة.

(4) المصدر نفسه، ص427.

(5) مِكرَزُ بن حفص بن الأخيف بن علقمة بن الحارث بن لؤي، شاعر جاهلي.

وضامراً الانتقام من عامر، حتى إذا صادفه في البادية، بعد مرور زمن، بادر إليه، وعلاه بالسيف فقتله.

وقد صور ما جاش في نفسه من مشاعر وما قام فيها من بواعث الانتقام قائلاً[1]:

وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّه هُوَ عَامرٌ تَذكَّرتُ أشلاءَ الحبيب المُلَحَّبِ
وقلتُ لنفسي إنَّه هُوَ عَامرٌ فلا تَرْهَبِيهِ وانظري أيَّ مَرْكَبِ
وأيقنتُ أنِّي إن أُجَلِّلْهُ ضَرْبَةً متى ما أصِبْهُ بالٍ فُرافِرِ يَعْطِبِ
خَفَضْتُ له جَأشِي وألقيتُ كَلْكَلِي على بطلٍ شاكي السِّلاح مُجَرَّبِ
ولَم أكُ لمَّا التفَّ رُوعي ورُوعُه عُصارةَ هُجْنٍ من نساءٍ ولا أبِ
حَلَلْتُ بِه وَ تْرِيولم أنسَ ذَحْلَهُ إذا ما تناسَى ذَحْلَهُ كلُّ عَيْهَبِ

وعندما قُتِلَ أخو مالك بن حريم الهمداني لم يدر من قتله، حتى علم أنه أحد بني قمير من مراد، فأغار عليهم، وقتل قاتل أخيه، وقد صور في شعره ما انتابه من مشاعر الحزن والأسى غداة مقتل أخيه، وقد ظل على هذه الحال حتى أدرك بثأره، وشفى نفسه مما بها من ألم ووجد[2]:

يَا رَاكِباً بلِّغْن وَلا تَدَعَنْ بَنِي قُمَيرٍ وَإِنْ هُم جَزَعُوا
كَي تجدوا مثلَ ما وَجَدْتَ فقد أصبحت نِضْواً ومسَّنى الوَجَعُ
لاَ أسَمعُ اللّهوَ في الحديثِ ولا يَنفعُني في الفراشِ مُضْطَجَعُ
لاَ وَجْدُ ثَكْلَى كَمَا وجدتُ ولا وَجْدُ عَجُولٍ أضلها ربَعُ
أو توجدُ شيخ أضَلَّ نَاقَتَهُ يَومَ رَوَاحِ الحجيج إذ دفعُوا
ينظرُ في أوجهِ الرجالِ فلا يعرفُ شيئاً فالوجهِ ملتمعُ
بَنِي قُمَيرٍ قتلتُ سَيدكمُ فَاليومَ لا فديةٌ ولا جَزعُ

(1) زيتون، الإنسان في الشعر الجاهلي، ص232-233؛ الذحل: الثأر.

(2)المرجع نفسه، ص 147، وانظر: اليزيدي، الأمالي: 123/2؛ وانظر: الميداني، مجمع الأمثال: 128/1.

والرغبة في الثأر للأخ قد تجعل الموتور يفعل أي شيء للانتقام من الــواتر، ومن ذلك أن عمرو بن الحارث، الملقب بأشعر الرقبان الأسدي، كان عمرو بن هند قد قتل أخاه، فظل عمرو يعمل الحيلة حتى سرق له ولدين وذبحهمــا، وفــي ذلــك يقول[1]:

إِنَّــا كَــذَلِكَ كَــانَ عَادَتُنَــا لَمْ نُغْــضِ مِــنْ مَلِــكً عَلَــى وَتَــرْ

ويفخر قيس بن زهير بإدراك ثأر أخيه عندما قتل مالك بن بدر بأخيه مالــك ابن زهير في حرب داحس والغبراء، فيقول[2]:

عَــسَى أَنْ نَعُــودَ بأَحلاَمِنَــا وتَتْــرك مَاهَــا هُنَــا أَجْمَــعُ
فَــإِنَّ الــبَلاءَ يَجُــرُ الفَنَــاء وإِنَّ البَقَــاء لَنَــا أَوْسَــعُ
وَمَــا جِئْــتُ إلا الــذي جِئْــتُمُ وكُــلّ الــذي كَــانَ يُــستَقْطَعُ
قَتيــلٌ لَنَــا ولكُــمْ مِثْلُــهُ وَوَهــيٌ لَنَــا ولَكُــمْ يُرقَــعُ

أما المهلهل بن ربيعة فلم يكن مكتفياً بقتل جساس ثأراً لأخيه؛ ولكنه ثأر مــن قبيلة بكر كلها، وكل من ظاهرهم وعاونهم؛ ولهذا نجد أن إدراك الثأر فــي شــعر المهلهل لا ينتهي وكلما أعمل سيفه في القبائل المعادية شعر بالنشوة والسعادة التــي تجعله لا يكتفي، بل يطلب المزيد من القتلى، ومن ذلك قوله[3]:

وَسَقيتُ تَيْمَ الــلاَّتِ كأسَــا مُــرَّةً كَالنــارِ شُــبَّ وقُودُهــا بِــضِرامِ
وَبُيوتَ قَــيسٍ قَــدْ وطَأنَــا وَطْــأةً فتركْنَــا قَيْــساً غَيْــرَ ذَاتِ مَقَــامِ
وَلَقَــد قَتَلْــتُ الــشَّعْثَمْين ومالِكــاً وَابــنِ المُــسَوَّرِ وابــن ذات دَوَامِ
وَلَقد خَبَطْتُ بُيُوتَ يَــشْكُرَ خَبطَــةً أَخْوَالُنــا وَهُــمُ بَنــو الأَعْمَــامِ

---

(1) المرزباني، معجم الشعراء، ص19.

(2) ابن زهير، قيس، (1411هـ)،ديوان شعر بني عبس، ط 1، جمع وتحقيــق وشــرح : عبــد العزيز بن محمد الفيصل، القسم الثاني، دون ناشر، ص99.

(3)المهلهل، الديوان، ص 80 تيم اللَّات :قبيلة من ربيعة : الشعثمين: ابنا معاوية شــعثم وعبــد شمس.

ويؤكد المهلهل أن الثأر لا يتحقق بقتل جساس وحده بل يتحقق بقتل قبيلة بكر كلها، حتى أنه ينتقم من الأجنة في بطون أمهاتهم فيقول في يوم واردات وفرار جساس[1]:

لَوْ أَنَّ خَيْلي أَدْرَكَتْكَ وَجَدْتَهُمْ مِثْلَ اللُّيُوثِ بِسِتْرِ غبِ ِّعَرينِ
وَلأُوْرِدَنَّ الخَيْلَ بَطْنَ أَرَاكَةٍ وَلأَقْضِيَنَّ بِفِعْلِ ذاك دُيُوني
وَلأُقْتِلَنّ جَحاجِحاً مِنْ بَكْرِكُمْ وَلأَبْكِيَنَّ بِهَا جُفُونَ عُيُونِ
حتَّى تَظَلَّ الحامِلاتُ مَخَافَةً مِنْ وَقْعِنَا يَقْذِفْنَ كُلَّ جَنِينِ

وعندما يتعلق الثأر بالقريب فإن عاطفة الثأر للأخ تتغلب على صلة القرابة، ومن ذلك أن توبة بن مضرس لم يتحرج من قتل خاله بأخيه طارق رغم جزع أمه على قتل أخيها، فقال في ذلك[2]:

بَكتْ جَزَعاً أُمِّي رُمَيلَةُ أَنْ رَأَتْ دَماً مِنْ أَخِيها في المهَنَّدِ بَاقِيَا
فَقُلتُ لَهَا لاَ تَجْزَعي إنَّ طَارِقاً خَلِيلي الَّذِيكَانَ الخَلِيلَ المُصَافيا

ثم يقول إنه لا يمكن إدراك ثأر أخيه وأن يشفى غليله إلا بقتل خاله قاتل أخيه[3]:

وَمَا كَانَ فِي عَوْفٍ قَتِيلٌ عَلِمْتُهُ لِيُوفِيني مِنْ طَارق غَيْرُ خَالِياً

ويصور قيس بن زهير قتله لأولاد عمومته الذبيانيين الذين قتلوا أخوة له، ولم تشفع صلة القرابة من الرغبة في الانتقام والثأر للأخ على الرغم مما ألم به من حسرة وحزن لقتلهم، وقال في ذلك[4]:

شَفَيتُ النَّفْسَ مِنْ حَمْلِ بن بَدْرٍ وَسَيفي مِنْ حُذَيفَةَ قَدْ شَفَاني
فَإِنْ أَكُ قَدْ بَدَرتُ بِهِمْ غَلِيلَي فَلَمْ أَقْطَعْ بهم إلاَّ بَنَانِي
قَتَلْتُ بِإِخْوَتي سَادَاتِ قَومِي وَقَد كَانُوا لَنَا حَلْيَ الزَّمَانِ

(1) المهلهل، الديوان، ص90.
(2) الطائي، الوحشيات، ص82.
(3) المصدر نفسه، ص82.
(4) ابن زهير، الديوان، ص42.

وعانى بعض العرب في الجاهلية من الصراع النفسي الشديد بين الثأر للأخ وقتل الواتر عندما يكون من الأقارب، ومن ذلك ما جرى للحارث بن وعلة الذهلي حيث قتل أخاه بعض قومه، إذ رأى أنه إذا انتقم منهم فإنما يصيب به نفسه أولاً، وإذا عفا عنهم فيكون قد تخلى عن الثأر لأخيه، وهذا التخلي يعد أمراً عظيماً، وقد عبر عنه بقوله[1]:

قَومِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيمَ أَخِي فإذا رَمَيْتُ يُصيبُني سَهْمِي
فَلَئِنْ عَفَوتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاً ولَئِنْ سَطَوتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي

يقول حسن فتح الباب : "ويتضح مما سبق من دراسة للنماذج الشعرية حرص الأخ والأخت على إدراك ثأر الأخ المقتول، وقد ظهر دور المرأة في الحض على إدراك الثأر خاصة "إن استنهاض الرجولة للثأر أمر تجيده الأنوثة أكثر مما تجيده الذكورة، وذلك نظراً لقابلية الرجل للاستفزاز على يد المرأة التي يجد فيها –المقابل له- إحياءً أو إيقاظاً لقدراته، كما أن قدرة النساء العجيبة على البكاء والتفجع أمر لا يجيده الرجال من جهة، ويخلق جواً تحريضياً انتقامياً عبر استجابة الرجال للموقف الفجائي القادر على تطوير الشعور من جهة أخرى، ولعل حلقات الندب على الميت، وهي ما تقوم به النساء في بعض أريافنا حتى اليوم هي من موروثات تلك الحقبة، واستمرار لذلك التقليد الذي كان يستهدف غرز الرغبة في الثأر للصريع داخل نفوس الأحياء"[2].

وظهر حرص الرجال على إدراك الثأر لأخيهم عن طريق التهديد و الوعيد بأخذ الثأر واستنهاض همة أفراد القبيلة لمآزرتهم لإدراك الثأر، وعند إدراك الثأر يفخر الأخ ويشعر بالسعادة وراحة النفس ويظل ينشد أبياتاً تصور فرحته بقتل قاتل أخيه، كما كان يفخر بالقتل من أهل القتيل عند المبالغة في الثأر.

---

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار: 88/3.

(2) فتح الباب، فن الرثاء في الشعر العربي القديم، ص318.

3.4 رفض الدية:

إذا كان العرب يحرصون على الثأر والانتقام في الجاهلية، والغلو في سفك الدماء، فإنهم لم يعدموا من كان يدعو إلى السلم، ويحث على حقن الدماء وتحمل الديات، كما فعل هرم بن سنان والحارث بن عوف حين أصلحا بين عبس وذبيان، وتحملا ديات القتلى، وكما صنع زهير بن أبي سلمى حين ندد بالحرب وكرهها إلى الناس، وحبب إليهم السلم والمودة والصفح والتسامح، وقد خصص جزءاً غير يسير من معلقته لذلك، وكما فعلت بهيسة بنت أوس الطائي حينما تزوجها الحارث بن عوف، ورفضت أن يقربها حتى يصلح بين عبس وذبيان، واحتمل الديات مع هرم ابن سنان"[1].

وكانت الدية في مقابل حقن الدماء ووقف طوفان الثأر الذي يسبب الدمار للأطراف المتحاربة ويزيد من الأرامل واليتامى والأمهات الثكلى "ولذلك كان أهل الجاني وعشيرته يعمدون إلى عرض الدية والفداء ليتخلص من الطلب، وتتحرر قبيلته من المسؤولية، وقد بلغت دية النفس مئة من الإبل، ودية الملك ألفاً منها، وإذا كان القتيل سيداً شريفاً في قومه فقد يجعلون ديته مثل دية الملك، فيطلبون ألف بعير، ويكون رفض الدية أو قبولها في معظم الأحيان تبعاً لقوة الأهل والعشيرة وقدرتهم على أخذ الثأر، ذلك أن الشجاعة تتطلب منهم رفض الدية، وخاصة إذا كانت من أعدائهم، وتدفعهم إلى القود والاقتصاص من الفاعل، وغسل الدم بالدم، وإلا عدوا لدى كثير من العرب ضعفاء أذلاء، تتخطفهم القبائل من غير خشية ثأر، ويقتلون من غير مخافة انتقام[2].

حتى بلغ الأمر ببعض الشعراء أن يرى في قبوله الدية، والجنوح إلى السلم مدعاة إلى الطيرة والشؤم، فقد شبَّه أبو جندب الهذلي من قام يسعى في الصلح بينه

---

(1) الجبوري، يحيى، (2001) شعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ط 9، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص67.

(2) زيتون، الإنسان في الشعر الجاهلي، ص224-225.

وبين قتلة أخيه بأحمر عاد وكليب وائل اللذين يضرب بهما المثل في الشؤم وجلب الأذى[1]:

فَمَن كَانَ يَرْجُو الصُّلحَ فيه فإنَّه كَأَحْمرِ عَادٍ أو كُلَيبٍ لِوائلِ
أتيتَ بِمَا تُرجِي البَسُوسُ لأهلِها بِأَلفَيْ لِجَامٍ قَبلَ أَلفَيْ مُقاتِلِ

ومن ذلك أنه حين قتل أحد بني مازن عبد الله أخا عمرو بن معد يكرب، أتت بنو مازن إلى عمرو يرجونه أن يقبل الفدية، وكاد يستجيب لهم لولا أن انبرت أخته كبشة تعيره في شعرها، وتحضه على الانتقام والثأر ورفض الدية، فقالت تحرض قومها على عدم قبول الدية[2]:

وَأرسلَ عَبدُ اللهِ إذ حانَ يَومُهُ إلى قَومِهِ لا تَعْقِلُوا لَهمُ دَمي
وَلاَ تأخذُوا مِنهم إفالاً وأَبْكُراً وَأُتركَ فِي بَيتٍ بِـ صَعدةَ مُظْلِمِ
وَدَعْ عَنْكَ عَمْراً إنَّ عَمراً مُسالِمٌ وهل بَطْنُ عَمرو غيرُ شِبْرٍ لِمَطْ عَمِ

فما كان من شأن عمرو بن معد يكرب بعد أن أسمعته أخته ما أسمعته من تقريع وتأنيب، وغمز وتلميح، إذ عدل عن المصالحة، ورد الإبل التي أرسلت دية، واستعد لغزو أعدائه، وإدراك ثأره من قتلة أخيه، وقد عبر عن ذلك في قوله[3]:

خُذوا حُقَقاً مُخَطَّمَةً صفايا وكَيْدِي يا مُخَزَّمُ أَنْ أكِيدا
قَتَلتُمْ سَادَتِي وَتَركْتُمُونِي عَلَى أكْتَافِكُم عِبْئاً جَدِيداً
فَمنْ يَأبَى مِنْ الأَقوامِ نَصْراً ويتركُنا فَإنَّا لَنْ نُرِيدا

أمَّا المهلهل بن ربيعة فينفي قبوله الصلح، بل يغلق أي باب للأمل في الصلح مع أعدائه، ويقول إن الصلح يقبله بشرط أن يردوا كليباً إلى الحياة، وفي ذلك تعجيز لهم وتأكيد استحالة الصلح فيقول[4]:

ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوا كُلَيْباً أو تَحُلُّوا على الحَكومةِ حَلاَّ

---

(1) الهذليين، الديوان، 346/1؛ البسوس: أمرأة سميت الحرب بين بكر وتغلب باسمها، لأنها السبب فيها.

(2) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص177.

(3) ابن معد يكرب، الديوان، ص67.

(4) المهلهل، الديوان، ص63-64.

ذَهَــبَ الــصُّلْحُ أَوْ تَــرُدُّوا كُلَيْبــاً أو أُذيــقَ الغَــداةَ شَــيَبان ثُكــلاً
ذَهَــبَ الــصُّلْحُ أَوْ تَــرُدُّوا كُلَيْبــاً أو تَنَــالَ العُــداةُ هُوَنــاً وَذُلاً
ذَهَــبَ الــصُّلْحُ أَوْ تَــرُدُّوا كُلَيْبــاً أو تَــذُوقوا الوَبــالَ وِرْداً وَنَهْــلا
ذَهَــبَ الــصُّلْحُ أَوْ تَــرُدُّوا كُلَيْبــاً أو تَميلــوا عَــنِ الحَلائِــلِ عُــزْلا

ويؤكد المهلهل عدم قبول الصلح، فـ يدعو على كل من يقبل الصلح مع أعدائه، فالثأر لأخيه أمر لا تفاوض فيه ولا تنفع معه أي دية فيقول[1]:

لاَ أَصْــلحَ الله مَــنْ يُــصَالِحكُمَ مَا لاَحَتْ الشْمسُ فِي أَعلى مَجَارِيهَا

ويذكر حسين جمعة أنَّ العرب لا يبدلون اللبن بالدم، لأن الدماء ليست ممــا تكال على الحقيقة لهذا افتخر الجاهليون بأنهم تركوا أعداءهم طعاماً لعوافي الطيــر والوحش، ومهما يكن أمر العرب في ذلك فقد رفضت القبائل القوية قبول الدية وكذا الأفراد الذين آنسوا في أنفسهم العزة والقدرة، وإن جنح كثير مــنهم للــسلم وقبلــوا الصلح، وكان من أمر واترهم –مثلاً- أن يقدم بين يدي أهل الموتور ذوي الــسيادة والشرف، فإذا تمت الموافقة أقيمت مراسيم الصلح، وسوغ بعضهم موافقته بجملة من الأعذار، فكان يرسل سهماً في السماء فإن رجع ملطخاً بالدم نهي عن المــصالحة، وما رجع قط ملطخاً، وعرف هذا السهم بسهم الاعتذار أو التعقبة.

وطالما كانت الدية مثار خوف إن قبلها القوم لأن بعضهم كان ينكــر قبــول الدية ويدعي أن القتيل في قبره ينكر ما فعله الأحياء"[2].

ومن هنا كان حرص الأخ والأخت على عدم قبول الصلح والدية واضحاً في شعر رثاء الأخ، مُقترناً بالحض على الثأر للأخ، وكان للنساء الشاعرات دور كبير في ذلك.

---

(1) المهلهل، الديوان، ص93.

(2) جمعة، الرثاء في الجاهلية والإسلام، ص59.

الفصل الخامس

الدراسة الفنية

1.5 مطلع قصيدة الرثاء:

من أهم مميزات القصائد التي تحدثت عن صورة الأخ أنها جاءت خالية من تقليد (المقدمات) الذي جعله النقاد عنصراً مهماً في بناء القصيدة العربية، فقد جعلوا للقصيدة العربية نظاماً، لا يسمحون لأحد بتجاوزه من الشعراء وإلا عيب وانتقص من شعره.يقول ابن قتيبة :"...إن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها وصف الديار، والدمن والآثار، فبكى وشكا وخاطب الربع... ثم وصل ذلك بالنسيب"[1].

ونستطيع أن نقسم أقوال القدماء وآراءهم في الابتداءات إلى قسمين فهي إما ملاحظات وإما نصائح . أما الملاحظات فقد تحدثوا فيها عن أحسن الابتداءات الجاهلية و(لا مجال لذكرها)[2]، وكذلك ذكر حسين عطوان أن القدماء لم يدرسوا المقدمات الجاهلية دراسة وافية، بل اكتفوا بالإشارة الموجزة والملاحظات العابرة، ودائماً يدورون حول بيت واحد، هو المطلع، ولا يلتفتون للمقدمة كاملة[3].

فقد تحدث عن مطلع قصيدة الرثاء كثير من النقاد القدامى والمحدثين.

وقال ابن رشيق القيرواني : "أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"[4]. ولأهميته اشترطوا فيه شروطاً، لا بد أن تتحقق كي يضمن الشاعر فاعليته في النفوس ومن هذه الشروط التي و ضعها النقاد القدامى، أولاً ألا يطيل في النسيب بحيث يطغى على الموضوع الأساسي [5]. ونصيحة أخرى انفرد بها ابن

---

(1) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص28.

(2) عطوان، حسين، (د.ت)، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر: ص211.

(3) المرجع نفسه، ص212.

(4) القيرواني، العمدة: 218/2.

(5) عطوان، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، ص212.

رشيق هي أنه ينبغي للشاعر أن يتجنب : ألا وخليلي وقد " فلا يستكثر منها في ابتدائه، فإنها من علامات الضعف والثكلان"[1].

وأشار مخيمر صالح إلى المطلع بقوله : "أما المطلع فيتصل بأول الكلام، وقد أجمع النقاد على أهميته، وبينوا أثره في نفس المتلقي "[2].واتفقوا جميعاً على أنه يجب على الشاعر أن يحترز في أشعاره ويفتتح أقواله مما يتطير منه، أو يستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء ووصف إقفار الديار، وتشتت الآلاف، ونعي الشباب، وذم الزمان، لا سيما في القصائد التي تضمن المدائح أو التهاني، وتستعمل هذه المعاني في المراثي ووصف الخطوب الحادثة فإن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطير منه سامعه[3].

وطبيعي أن تكون ملاءمة المطلع للجو العاطفي الذي يعيشه الشاعر على رأس تلك الشروط، وقد جاءت مطالع قصائد رثاء الإخوة محققة لجميع هذه القيم التي ذكرها النقاد[4].

فالخنساء كثيراً ما تبدأ مطالع قصائدها بالحزن والبكاء والطلب من عينيها بالبكاء والأمثلة عن ذلك كثيرة، منها قولها[5]:

أعينيّ جُودا ولا تَجْمِدَا ألاَ تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النّدى

وقولها[6]:

أعَيْنَيّ هلاّ تَبكيانِ عَلى صَخْرٍ بِدَمْعٍ حثيثٍ لا بكّي ولا نَزر

---

(1) القيرواني، العمدة: 218/1.

(2) صالح، مخيمر، (1981)، رثاء الأبناء، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ص148.

(3) عطوان، مقدمة القصيدة العربية، ص213.

(4) يعقوب، أحمد موسى عيسى، (1996)، شعر رثاء الإخوة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص126.

(5) الخنساء، الديوان، ص143.

(6) المصدر نفسه، ص127؛ الحثيث: أي متدارك.

وقولها[1]:

يَا عَينُ مَالكِ لا تَبْكِيْنَ تِسْكَابَا إذ رَابَ دهرُ وكَانَ الدَّهْرُ ريّابا

ورثت الفارعة بنت شداد، أخاها مسعوداً فبدأت قصيدتها بالطلب من عينيها بالبكاء على أخيها فقالت[2]:

يا عينُ بكي لِمسعود بن شَدَّاد بُكَاءَ ذي عبراتٍ شَجْوُهُ بَادِي

وقد بدأ لبيد رثاءه لأخيه أربد ببكائه له، فيقول[3]:

أبكي أَبَا الخــرَّاز يَوْمَ مقامــةٍ لِمناخِ أَضْيَافٍ وَمَأْوىَ مُقْتِرْ

وكثير من الشعراء بـ دأوا قصائدهم بالبكاء والحنين والألــم والحــسرة لفقــد الإخوان، فجاءت مط الع قصائدهم معبرة أصدق تعبير عن حالة الشاعر النفسية قبل أن تعبر أيضاً عن جو القصيدة العام[4].

2.5 خاتمة القصيدة:

ومثلما أدرك النقاد أهمية المطلــع، أعلــوا كــذلك مــن شــأن الخاتمــة أو (الانتهاء)[5]. فالمهلهل التغلبي ينهي رثاءه لأخيه كليب بقوله[6]:

تَظَلُّ الخَيْلُ عَاكِفَةً عَليهــــــمْ كأنَّ الخَيلَ تُرْحضُ فـــــي غدير

وينهي دريد بن الصمة رثاءه لأخيه معبد، بالغضب لمقتله، فيقول[7]:

فإن تمكنُ الأيامُ والدّهرُ تَعلموُا بنـــــي قَارب أَنَا غُضابُ لِمعبد

---

(1) الخنساء، الديوان، ص148؛ راب الدهر: أي تغير عليك.

(2) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص291.

(3) بن ربيعة، الديوان، ص 75؛ أبو الخراز : كنية أربد. المقامة: المجلس الذي يقومون فيه بين يدي الملك.

(4) يعقوب، شعر رثاء الإخوة، ص128.

(5) صالح، رثاء الأبناء، ص150.

(6) المهلهل، الديوان، ص44.

(7) اليزيدي، محمد بن العباس (ت: 246هـ)، (1967)، المراثــي والتعــازي، مجمــع اللغــة العربية، دمشق، سوريا: ص83.

وتنهي الخنساء قصيدتها في رثاء أخيها صخر بمدحه، فتقول[1]:

سُمُّ العُداةِ وفَكاكَ العُنـــــــاةِ إِذَا لاَقى الوَغَىَ لَمْ يَكُنْ لِلموتِ هَيابَا

وتنهي جنوب أخت عمرو ذي الكلب قـصيدتها بمـدح أخيهـا بالـشجاعة، فتقول[2]:

وَيَنْزِلُ في غَمَـراتِ الحُرُوبِ إِذا كَـرِهَ المُحْجِمـُونَ النّزالاَ

ولقد أنهى بعض الشعراء قصائدهم في رثاء إخوانهم بحكمـة تتوافـق مـع الرثاء، فكل حي نهايته الموت، فشعر الحكمة هو المتنفس الوحيد للشاعر عن همومه وأحزانه[3]وقال مخيمر صالح : (إن شعر الحكمة، يصور إلى حد كبيـر همومـاً وآلاماً من نوع خاص، تعكسها الحكمة، ولو بصورة غير مباشرة)[4]. والأمثلة كثيرة عليها ومنها قول الخنساء[5]:

فَـكلُّ حَـيّ صـائرٌ لِلبِلـىَ وَكُلُّ حَبلٍ مـَرّة لانْدِثَار

وقول لبيد بن ربيعة العامري في رثاء أخيه أربد[6]:

هَلْ النَّفْسُ إلا مُتْعةُ مُستَعارَةُ تُعارُ فَتَأتِي رَبَّها فَرْطَ أَشْهُر

ومن صور الانتهاء ما يتصل بالفقيد، ومن الشعراء من اختتم قصيدته بالدعاء للميت أو بالسقيا للقبر، والأمثلة كثيرة على ذلك كما مر معنا.

3.5 الوحدة الموضوعية:

من خلال دراسة بعض القصائد التي تطرقت إ لى صورة الأخ في العـصر الجاهلي، تبين لنا أنها تمتاز بميزة فريدة، ألا وهي وحدة الموضوع، فأكثر الشعر في

---

(1) الخنساء، الديوان، ص158.

(2) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص236.

(3) يعقوب، شعر رثاء الإخوة، ص130.

(4) صالح، رثاء الأبناء، ص150.

(5) الخنساء، الديوان، ص303.

(6) ابن ربيعة، الديوان، ص258. فرط أشهر: بعد أشهر.

هذا الفن يدور حول موضوع واحد هو رثاء الأخ، وما يتصل به من بكاء وندب على الميت، والتأبين له.

والوحدة الموضوعية قد تحققت في قصائد رثاء الإخوة؛ لأنها تضم موضوعاً واحداً دارت حوله، ألا وهو الرثاء، فالموضوع قريب إلى ذات الشاعر وبعيد عن المؤثرات الخارجية "لأن الشعر الذاتي حصيلة تفكير الشاعر في فنه ولا شيء غير من حيث استيعابه همومه وأحزانه "[1]. فهؤلاء الشعراء الذين رثوا إخوانهم قد عبروا عن مشاعرهم وأحزانهم بعيداً ع ن التأثر بالموضوعات الخارجية من التأثر بالحاكم أو المجاملة والتكسب، فجاء شعرهم يحتوي على غرض واحد هو الرثاء، بعيداً عن المبالغة والمجاملة أو الغلو ومن هذه القصائد : قصيدة أعشى باهلة، وقصيدة دريد بن الصمة في رثاء أخيه عبدالله، والخنساء في رثاء أخويها معاوية وصخر، وقصيدة سعدى بنت الشمردل[2].

ويقول مخيمر صالح أنه قد ساعد على ظهور وحدة الموضوع في صورتها الواضحة في هذا الشعر، وورود ه على شكل خاطرة، في صورة مقطوعة شعرية، ومن طبيعة المقطوعة الشعرية أنها لا تستوعب أكثر من تلك الخاطرة التي زفر بها الشاعر في لحظات حزينة[3].

وعند استقراء الشعر الذي يتحدث عن رثاء الأخ، نجده يتحدث عن موضوع واحد مستقل ألا وهو الرثاء، لا يشترك معه غرض آخر، من أول القصيدة إلى نهايتها.

فالوحدة الموضوعية، أو الوحدة المعنوية كما يسميها طه حسين، تتحقق في الشعر الجاهلي في أجزاء من القصائد الطويلة في الموضوع الواحد، وتتحقق في الشعر الذي يسرد قصة أو يصور أحداثاً بعينها، وتتحقق في كثير من القصائد القصار، وقصائد الغزل وقصائد الرثاء[4].

---

(1) هلال، محمد غنيمي، (1973)، النقد الأدبي الحديث، ط1، القاهرة، مصر، ص208.

(2) يعقوب، شعر رثاء الإخوة، ص124.

(3) مخيمر، رثاء الأبناء، ص86.

(4) حسين، طه، (1937)، حديث الأربعاء، مطبعة الحلبي، القاهرة، مصر، ص30.

4.5 الوحدة العضوية:

عرف محمدغنيمي هلال الوحدة العضوية بقوله : "... ونقصد بالوحدة العضوية في القصيدة وحدة الموضوع، وو حدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور، والأفكار، ترتيباً تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً، حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفة فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر"[1].

فالشاعر الذي يرثي أخاه لا يخضع إلا لمشاعر الحزن والألم، وتكون أحاسيسه وجوارحه موجهة نحو المأساة التي يعيشها، وبما أنه صادق مع نفسه ومع موضوعه، لا بد أن قصيدته تثير لوناً واحداً من المشاعر المترابطة، يضمها خيط واحد، دون أن تثير أ شتاتاً من المشاعر، كما هو حال القصيدة ذات الموضوعات المتعددة، لأن كل موضوع فيها له مشاعر خاصة، وبواعث مختلفة، فما يثيره الغزل، يختلف عما يثيره المدح أو الفخر أو الهجاء، وهكذا ومن هنا أرى أن قصيدة الرثاء قد حققت الأبعاد الثلاثة الضرورية، لميلاد الوحدة العضوية[2]؛ وهو وحدة الأحاسيس، ووحدة التعبير، ووحدة الأثر"[3].

"وأما المقطوعات الشعرية، فلا حاجة للتدليل على توفر الوحدة العضوية فيها لأن من طبيعتها ألاَّ تستوعب وحدة واحدة من المشاعر"[4].

ورأينا في القصائد الطوال وحدة عضوية ممثلة في أكمل صورها، فالمشاعر مترابطة والحركة النفسية متداخلة في بعضها البعض، والتسلسل في الأفكار واضح فيها، وتتدرج مراحلها من مرحلة إلى مرحلة، دون خلل في نظامها، فهي تنتقل من مرحلة البكاء والحزن إلى مرحلة الافتخار أو الثأر أو المدح...إلخ.

---

(1) هلال، النقد الأدبي الحديث، ص65.

(2) يعقوب، شعر رثاء الإخوة، ص134.

(3) صالح، رثاء الأبناء، ص79.

(4) يعقوب، شعر رثاء الإخوة، ص134.

فالخنساء ترثي أخاها صخراً، إذ تبدأ قصيدتها بالطلب من عينيها بالجود بالدموع والبكاء بعد فقد أخيها فتقول[1]:

ياعَيْنِ جُودِي بالدُّمُوعِ الهُمُولْ وَابْكِ لِصَخْرٍ بالدُّمُوعِ الهُجُولْ
لا تَخْذُلِيني حِيْنَ جَدَّ البُكَا فَلَيْسَ ذا يا عَيْنِ حِيْنَ الخُذُولْ

ثم تستمر الخنساء بالبكاء وتنتقل إلى ذكر شمائل أخيها صخر وتمدحه بالكرم، وكيف أنه مأوى للأرامل والجيران، وذلك إذ تقول[2]:

نِعْمَ أخُو الشَّتوةِ حَلَتْ بِهِ أَرَامِلُ الحَيِّ غَدَاةَ البَلِيلْ
أَتَيْنَهُ مُعْتَصِمَاتٍ بِهِ يُعْلِنَّ بالدَّعْوَى نِدَاءَ الأَلِيلْ

ثم تصف أخاها بحسن الوجه دلالة على المعروف والكرم بقولها[3]:

دَلَّ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَجْهُهُ بُورِكَ هَذَا هَادِياً مِنْ دَلِيلْ
لاَ يَقْصُرُ الغَض عن نَفْسِهِ بَلْ عِنْدَهُ مَنْ نَابَهُ في فُضُولْ

وكذلك تصف أخاها صخراً بالحكمة والدهاء والذكاء في حل الخصومات بقولها[4]:

وَرَأيُهُ حُكْم وَفي قَولِهِ مَوَاعِظُ يُذْهِبْنَ دَاءَ الغَلِيلْ

ثم تذكر الخنساء ترك أخيها صخر لها وحالها بعده إذ تقول[5]:

تَرَكْتَني وَسْطَ بني عَلَّةٍ كَأَنَني بَعْدَكَ فِيهِم نَقِيلْ

ثم تنهي الخنساء قصيدتها بمدح أخاها بالشجاعة والفروسية في قولها[6]:

وَيْلُ أمّهِ مُسْعِرِ حَربٍ إذا أُلقي فيها فَارِساً ذا شَلِيل
تَشْقَى بِهِ الكُومُ لَدَى قدرِهِ والنَّابُ والمُصعِيَةُ الخَنْشَلِيلْ

---

(1) الخنساء، الديوان، ص306.

(2) المصدر نفسه، ص307؛ البليل: الريح الممطرة الباردة؛ الأليل: الثكل والأنين.

(3) المصدر نفسه، ص308.

(4) المصدر نفسه، ص309، الغليل: حرارة تكون في الجوف من العطش.

(5) المصدر نفسه، ص310.

(6) المصدر نفسه، ص312؛ الخنشليل: الغلالة التي تحت الدرع من ثوب أو غيره.

"يتصف النص بوحدة البيت المستقل بوصفه كينونة لغوية متكاملة يمكن أن يستشهد بها بفكرة تدل عليها من غير إخلال بالمضمون الأحادي الذي يتخلل البيت، ويمكن ترتيب النص ترتيباً مغايراً للديوان تقديماً وتأخيراً في الأبيات"[1].

ومن القصائد التي تحققت فيها الوحدة العضوية قصيدة المهلهل في أخيه كليب، ومتمم في أخيه مالك، ودريد بن الصمة في أخيه معبدوهناك كثير من القصائد التي تحدثت عن صورة الأخ في الرثاء وقد تحققت فيها وحدة الغرض المتمثلة في الرثاء، ووحدة المشاعر، ووحدة التعبير ووحدة الأثر، فالمشاعر مترابطة، والحركة الداخلية النفسية متداخلة، مما أوجد الوحدة العضوية في هذه القصائد.

5.5 الألفاظ والتراكيب:

يقول القرطاجني: "وأما الرثاء فيجب أن يكون شاجي الأقاويل، مبكي المعاني، مثيراً للتباريح، وأن يكون بألفاظ مألوفة، سهلة في وزن مناسب ملذوذ، وأن يستفتح فيه بالدلالة على المقصد"[2].

وأول ما يُلاحظ في القصائد التي تحدثت عن صورة الأخ أنها جاءت "بوحدة التصور العام المجسدة بوحدة الأسلوب جعلت الرثاة يتعاورون على جملة من الألفاظ والتراكيب كتعاورهم على جملة من المعاني تماماً، فالرثاة تقاسموا ألفاظ الألم والحسرة والبكاء والندب والتأبين وغير ذلك من الألفاظ والتراكيب تبعاً للموضوعات"[3].

---

(1) أحمد، شريف بشير، (2003)، الخنساء ونموذجية صخر، مجلة الجذور، العدد 15، النادي الأدبي، جدة، السعودية، 142.

(2) القرطاجني، أبو الحسن حازم (ت: 684هـ)، (د.ت)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد بن الحبيب بن فوجة، دار الكتب الشرقية، القاهرة، مصر، ص351.

(3) الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، ص239.

وهذا ما نجده في ألفاظ الرثاء التي تحدثت عن الأخ وفقده وما يولده في النفس من مشاعر الحزن والفراق، فتخرج لنا ألفاظ معبرة عن مشاعر الأخ تجاه أخيه.

هناك عدة ألفاظ اشترك فيها الشعراء عندما تحدثوا عن صورة الأخ حاولت جمع البعض منها وهي :ألفاظ الحزن والبكاء والحسرة : (ليبكك، الدمع، العين، بكي، أسي، لهف، حسرتي، أخضل، جودي، سربال، مهراق، شجا، الشجو).

وألفاظ دالة على الموت مثل : "أرملة، الموت، الرزايا، القتيل، أودى، الجزع، حنظل، أفجعتني، المنايا، قتلنا، بؤس، مَ هلكه، الحتف، عفت، اليتامى، النعي، العقيرة".

وألفاظ دالة على الدعاء والسقيا مثل: "لا تبعد، جاد، سقى، صوب الغمام...".

وألفاظ دالة على الكرم مثل : "ضخم الدسيعة، النّدى،الشرب، جميل المحيا، القرى السابئ الزق،غياث، متحلب الكفين...وغيرها".

وهناك ألفاظ وصفوا بها تدل على الإبل، منها: "الفنيق، الفحل، البازل، الغدير، وناقة سناء، عنتريس، الشول، الناجية، الصيعرية، هوجاء..." وهناك الكثير من الألفاظ الدالة على القيم الإنسانية والاجتماعية والخلقية يضيق المقام بذكرها .

وهي من الكثرة ما يجعلها ساكنة في كل بيت من أبيات قصيدة أو مقطعة؛ مثال ذلك قول أم الصريح في ذكر لفظ الموت[1]:

وَلو أَنهُم فَروا لَكَانَوا أَعزةً وَلكن رَأَوا صبْراً على(الموت)أَكْرَمَا

وذكر المهلهل لفظ القتيل عندما ذكر أخاه كليب بقوله[2]:

كُلُّ قَتيلٍ في كُلَيْبٍ حُلاّمْ حَتّى يَنالَ القَتْلُ آلَ هَمّامْ

وذكرت الخنساء في قصائدها كثيراً من ألفاظ الحزن والبكاء والتوجع لفقد الإخوان بقولها[3]:

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكِ مِغْزارِ وَابكي لصَخْر بِدَمْعٍ منك مِدْرارِ

---

(1) المبرد، التعازي والمراثي، ص26.

(2) المهلهل، الديوان، ص76.

(3) الخنساء، الديوان، ص290.

وكذلك قولها[1]:

ابكي أَخَاكِ إذا جَاوَرَتهم سَحَراً جُودِي عليه بِدَمْعٍ غير منزوفِ

وكذلك من الألفاظ المتوفرة في الشعر الذي يحكي عن صورة الأخ في الشعر الجاهلي الطلب بعدم البعد من ذلك قول الخنساء[2]:

فَلاَ يَبْعُدَنْ قَبرُ تَضمَّنَ شَخْصَهُ وَجَادَتْ عَليه كُلُّ واكِفةِ القَطرِ

وكذلك استخدم الشعراء ألفاظاً تدل على المبالغة مثل الخنساء وعند الفارعة بنت شداد مثل :حلاَّل، نقَّاض، طلاَّع، حمَّال ...فالألفاظ في هذه النماذ ج دليل على أن الشعراء لم يتكلفوا في التعبير عما يختلج في صدورهم من معاني التفجع والألم والتلهف والحسرة، فخرجت ألفاظهم لنا بشكل سلس وواضح، وجاءت لتعبر عن المعنى بالشكل المطلوب، فهذا دلالة على أنه يصدر عن طبع أصيل وفطرة سليمة لديهم.

6.5 التكرار:

التكرار من الأشياء المهمة في القصائد التي تحدثت عن صورة الأخ، وهي تلفت النظر لكثرة ورودها.

وأما مفهوم التكرار في الاصطلاح : فهو إعادة معنى أو لفظ بعينه، وترديده أكثر من مرة[3].

أما النقاد والأدباء فإنهم يرون أنَّ : "التكرار في حقيقته إلحاح على جهة هامة من العبارة، يُعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ... فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها..."[4].

---

(1) الخنساء، الديوان، ص170.

(2) المصدر نفسه، ص76.

(3) الهليل، عبد الرحمن بن عثمان، (1419هـ)التكرار في شعر ا لخنساء، ط1، دار المؤيد، الرياض، السعودية، ص17.

(4) الملائكة، نازك، (1978)قضايا الشعر المعاصر، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص276.

ولهذا قال ابن رشيق القيرواني عنه : "وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء، لمكان الفجيعة، وشدة القرحة، التي يجدها المتفجع، وهو كثير حيث التـ مس من الشعر وجد"[1].

والتكرار نوعان[2]:

1. تكرار أشطر شعرية كاملة، وتكرار عبارات، وتكرار ألفاظ وحروف.
2. تكرار معانٍ.

وتقول بشرى الخطيب : إن التكرار له أهمية كبيرة في شعر الرثاء، فيأتي به الشاعر ليؤكد ما في نفسه من حزن وأسى ولوعة، أو للتأكيد على طلب الثـــأر، أو ليؤكد الصفات الخلقية لدى أخيه المرثي، ويبين أهمية فقده بالنسبة له وللمجتمع الذي حوله[3]. ومن أجل ذلك "قل أن نقرأ رثاء لا تظهر فيه خصيصة التكرار"[4].

وقد يكون هذا التكرار أحد آثار الحزن الشديدة في الراثي، والتي تجعله يقول الشعر فلا يدري ما قال أو سيقول بسبب تأثير المصاب عليه[5].

1. التكرار اللفظي:

التكرار اللفظي قد يكون بتكرار اسم الأخ عدة مرات، أو تكرار ألفاظ مثـــل (البكاء، ولهف، والقبر، والبعد، والدهر.) وغيرها من الألفاظ.

مثال ذلك تكرار الخنساء اسم أخيها صخر محاولة تسليط الضوء على أكثـــر جوانب هذه الشخصية؛ فتظل تـ شاغلنا به أكثر من مرَّة، وفي كل مرَّة يقرع هذا اللفظ أسماعنا بإضافة جديدة فتقول[6]:

وإنَّ صَخْرَاً لَكافِينَا وسيِّدُنا وإنَّ صَخراً إذا نشتُو لَنحَّار
وإنَّ صَخراً لَمقدامُ إذَا رَكِبُوا وإنَّ صَخراً إذا جَاعُوا لَعَقَّار

---

(1) القيرواني، العمدة، ج2، ص78.
(2) يعقوب، شعر رثاء الإخوة، ص178.
(3) الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، ص237.
(4) الهليل، التكرار في شعر الخنساء، ص44.
(5) يعقوب، شعر رثاء الإخوة، ص44.
(6) الخنساء، الديوان، ص385.

ومن الألفاظ المكررة قول متمم بن نويرة يكرر اسم أخيه مالك مع شيء من الألم والحزن، فيقول[1]:

فَعَيْنيَّ هَلاَّ تَبْكِيَانِ لِمَالِكٍ إِذَا أَذْرَتِ الرِّيحُ الكَنيفَ المُرفَّعَا

وللشَّربِ فَابْكِي مَالِكاً ولبُهمةٍ شديدٍ نَوَاحِيه على مَنْ تَشَجَّعا

وقد وردت عدة من الألفاظ التي تحدثت عن الإخوة مكررة لا مجال لحصرها هنا، ولا تقتصر على ما ذكرنا.

2.تكرار حرف:

وهو نوع من أنواع التكرار الشائع في شعرنا العربي واختلف في قيمته الفنيّة، ومزيته الدلالية فهناك من يرى أنه : "أبسط أنواع التكرار، وأقلها أهمية في الدلالة، وقد يلجأ إليه الشاعر بدوافع شعورية لتعزيز الإيقاع، في محاولة منه لمحاكاة الحدث الذي يتناوله، وبما جاء للشاعر عفواً أو دون وعي منه"[2].

وهناك من يرى أن : "لتكرير الحرف في الكلمة مزية سمعيّة، وأخرى فكريّة الأولى ترجع إلى موسيقاها، والثانية إلى معناها"[3].

وفي رأيي أن الحكم على تكرار الحرف في قيمته ومزيته، لا بد أن يكون من خلال الدراسة والتطبيق.

فمن الحروف المكررة في شعر الخنساء : حرف المد (الألف) وقد تكرّر هذه الحروف كثيراً في قصائدها وذلك في مثل قولها[4]:

لَمَّا فَقَدنَ أَخَا النَّدَى وَالخير والشِّيم الصَّوالحْ

وَالجودِ، والأيدي الطِّوا لِ المُسْتقيماتِ السَّوَامِحِ

---

(1) الضبي، المفضليات، ص266.

(2) الهليل، التكرار في شعر الخنساء، ص70

(3) السّيد، عز الدين علي، (د.ت)لتكرير بين المثير والتأثير، ط 2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ص12.

(4) الخنساء، الديوان، ص338.

ونلحظ تكرار (ألا) في شعرها، وقد أكثرت من استخدامه (للدلالة على ما لا يمكن أن يعود)[1] ومثال ذلك[2]:

أَلا اختار مِرْدَاساً على الناسِ قاتلُه وَلو عاده كَنَّاتُهُ وَحَلائلُه

وقُلنَ: ألا هل من شفاءٍ يَنَالُهُ وَقَدْ مَنَعَ الشِّفاء مَنْ هُو قَاتِلُه

وكذلك تكرار صيغة الشرط (إن، وإذا) عدة مرات في قصيدة متمم في رثاء أخيه مالك[3]:

وإنْ تَلقَهُ في الشَّربِ لا تَلْقَ فَاحِشَاً على الكأْسِ ذا قَاذُورةٍ مُتَرَبِّعَا

وإنْ ضَرَّسَ الغَزْوُ الرجَالَ رأَيْتَهُ أَخَا الحَرْبِ صَدْقَاً في اللِّقاء سَمَيْدَعَا

ونجد تكرار الحروف نفسها (إن، وإذا) في قصيدة الأبيرد في رثـــاء أخيـــه أربد، ومن تكرار الحروف تكرار حروف النفي (لا، ليس، لم) كما ورد في مرثيـــة أعشى باهلة لأخيه المنتشر لإثبات الكرم من أخيه ، وإلى جانب هذه الحروف حروف أخرى تتكرر في شعر صورة الأخ وقد اقتصرت على ما تقدم، لأن المراد التمثيل لا الحصر.

3. تكرار تركيب:

1. تكرار جمل أو عبارات:

فمن العبارات المتكررة عند الخنساء في شعرها قولها "وإذ فينـــا" كمـــا فـــي قولها، ترثي أخاها معاوية[4]:

وَإذْ تَتَحَاكَمُ الرُّؤسَاءُ فِيْنَا لَدَى أبياتِنا، وذوو الحقوقِ

وَإذ فينا فوارسُ كُل هَيجا إذَا فَزِعُوا، وفتيان الخُرُوْقِ

وَإذْ فِينَا مُعَاوِيَةُ بنُ عَمْرٍو على أدْمَاءَ كالجَمل الفنيقِ

---

(1) الهليل، التكرار في شعر الخنساء، ص72.

(2) المرجع نفسه، ص247-248، جمع (الكنة) وهي امرأة الأخ، ويقال امرأة الابن.

(3) الضبي، المفضليات، ص266.

(4) الخنساء، الديوان، ص68-69.

ومن العبارات أو الجمل المكررة أيضاً " لهفي على صخر" كما في قولها[1]:

لَهْفِي عَلى صَخْرٍ فإني أَرَى لَهُ نَوَافِلَ من مَعْرُوفه قَدْ تَوَلتِ

لَهْفِي على صَخْرٍ لقد كان عِصْمَةً لمولاهُ إذْ نَعْلُ بِمَولاهُ زَلَّت

فكررتها الشاعرة لتدل على عمق الحزن والألم لفراق أخيها.

2. تكرار شطر بيت:

وهذا كثير في شعر الشعراء خاصة عند المهلهل والخنساء وليلى الأخيلية، ويقول مصطفى الشوري في ذلك التكرار (نلحظ ظاهرة التكرار التي تتردد دائماً بين الحين والحين، حتى لقد تقع في صدور الأبيات كميزة من ميزات الأسلوب الرثائي بجانب كونها ضرباً من الولولة والندب المثير، ويبدو أنها تتم على أساس أنها من موروث طُقوسيّ قديم، وبجانب ذلك كله ترتبط ارتباطاً وثيقاً بظروف الشاعر النفسية وطبيعة حياته البدوية، ولا شك أنه كان يلاحظ أن التكرار يثير الحماسة في صدور المحيطين به ويستفزهم للقتال، ومن ثم استعمله الشاعر[2].

ومن ذلك قول المهلهل بن ربيعة بعد مقتل أخيه كليب[3]:

ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كُلَيْبَاً أَوْ تَحلّوا عَلى الحُكومَة حَلا

ذَهَبَ الصُلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كُلَيْبَاً أَوْ أُذيقُ الغَدَاةَ شَيْبَان ثَكْلا

ذَهَبَ الصُلْحُ أوْ تَرُدُّوا كُلَيْبَاً أو تَنَالُ العداةُ هَوْنَاً وذُلا

ويقول أيضاً[4]:

أَتغْدوا يَا كُلَيْبُ مَعي إذا ما جَبَانُ القَومِ أَنْجاهُ الفِرَارُ

أَتَغْدُوا يا كُلَيْبُ مَعي إذا ما حُلوقُ القَوْمِ يَشْحَذُهَا الشِّفَارُ

وفي قصيدة للمهلهل يرثي فيها أخاه كليباً نجد التكرار يعبر عن الحالة النفسية التي يمر بها الشاعر بقوله[5]:

---

(1) الخنساء، الديوان، ص416.

(2) الشوري، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، ص151.

(3) المهلهل، الديوان، ص63.

(4) المصدر نفسه، ص31.

(5) المصدر نفسه، ص40-41.

عَلَى أنْ لَيْس عَدْلاً من كُلَيب إذا رَجَفَ العَضاة مِنَ الدَّبُورِ

عَلَى أنْ ليْسَ عَدْلاً من كُلَيْبٍ إذا طُرِدَ اليَتيمُ عَنِ الجُذورِ

مكررًا قوله (عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ) ثلاث عشرة مرة في القصيدة .

ومن ذلك التكرار الذي يبين حالة الشاعر النفسية قول ليلى الأخيلية ترثي أخاها[1]:

لَعَمْري لأَنْتَ المَرْءُ أَبْكى لِفَقْدِهِ وَيَكْثُرُ تَسْهيدي لَهُ لا أوائِلُ

لَعَمْري لأَنْتَ الَمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ إذا كَثرَتْ بِالملحَمين التَّلاتِلُ

وقد يلجأ الشاعر إلى التكرار من أجل أن يربط به بين بيتين فيزيد من وحدة أجزاء الصورة ويؤكد أيضاً حدة الشعور، وذلك نراه في قصيدة متمم بن نويرة يرثي فيها أخاه مالكاً فهو يقول[2]:

لَقَدْ لاَمني عِنْدَ القُبُورِ على البُكا رَفيقي لِتذرافِ الدُّموعِ السَّوافِكِ

فَقَال: أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرٍ ثَوى بَيْنَ اللِّوى والدَّكادِكِ

أَمنْ أجلِ قَبْرٍ في الملاَ أنت نَائِحُ على كُلِّ قَبْرٍ أو على كُلِّ هالِكِ

فَقُلْتُ لَهُ: إن الشَّجَى يَبْعَثُ الشَّجَى فَدَعْنِي، فَهَذا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

وكذلك نجد التكرار في بعض الأساليب عند الشعراء ومن هذه الأساليب (توجيه الخطاب للميت كأنه حي يسمع)، ومرجع ذلك إما لأن الشاعر لا يصدق أن فقيده مات، وإما لأنه لم يزل يشعر به مع خاطره وقد يظن أن هذه الظاهرة لا تقوم إلا في حالة قرب العهد بالميت [3]. ولكنا نسمع المهلهل يخاطب أخاه بعد أن بعُد العهد به وطال الفراق، فيقول[4]:

نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوْقِدَتْ وَاستَبَ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ

وتَكَلَّمُوا في أَمْرِ كُلِّ عَظِيْمَةٍ لو كُنْتَ شاهِدَهُم بها لم يَنْبِسُوا

(1) الشوري، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، ص153.

(2) المرجع نفسه، ص155.

(3) المرجع نفسه، ص156.

(4) المهلهل، الديوان، ص46.

وتخاطب الخنساء أخاها فتقول[1]:

ألا يا صَخْرُ إنْ أَبْكَيْتَ عَيْنِي لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَهْرَاً طَوِيْلاً

وكذلك خاطب الشعراء أعينهم ومثال ذلك نجده عند الخنساء ومتمم فقول الخنساء:

ألا يا عَيْنِ اسْعَدِيْنِي لِرَيْبِ الدَّهْرِ وَالزَّمَنِ الغَضَوضِ

ومن الأساليب المتكررة في الشعر الذي يتحدث عن صور الأخ أسلوب النداء ومثال ذلك قول فاطمة بنت الأحجم، تقول:

إِخْوَتِي لا تَبْعُدُوا وَبَلَى واللهِ قَدْ بَعَدُوا

فقولها " إخوتي" أي يا إخوتي.

وكذلك أسلوب النداء نجده عند الخنساء والمهلهل وغيرهم من الشعراء.

ومن الأساليب التي تكرر كثيراً، أسلوب الدعاء والطلب، وقد ذكرناها في الفصول الماضية.

ومن الأساليب التي تطرق لها الشعراء أسلوب الحوار، فهو يستدرج السامع؛ فيدخله في جو الحدث إدخالاً لطيفاً؛ لاعتماده على الحكاية التي فيها، قال، وقلت،وسأل وسألت، وهي ألفاظ قصصية يطرب السمع إليها، وتتشوق النفوس إلى معرفة ما وراءها من أنباء[2].

تقول عمرة أخت عمرو ذي الكلب[3]:

سَأَلْتُ بعمروٍ أخي صُحبتُهُ فأَفْظَعَنِي حين ردّوا السُّؤالاَ

فَقَالُوْا قَتَلْنَاهُ في غَارَةٍ بأية أَنْ قَدْ وَرِثْنَا النِّبَالا

ومن الأساليب التي وردت مكرورة عند الشعراء تكرار أسلوب الاستفهام، فالشعراء يطرحون أسئلة كثيرة، وغالبها أو كلها لا تحتاج إلى إجابة، لأنَّ الشعراء

---

(1) الخنساء، الديوان، ص227.

(2) الصباري، فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية، ص157.

(3) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص232.

يعرفون إجابتها من جهة، ومن جهة أخرى فهم يائسون من الجواب . ومثال ذلك نجده عند الخنساء في رثائها لأخيها صخر فتقول[1]:

فَمَنْ لِقِرَى الأضْيَافِ بَعْدَكَ إنْ هُمُ فِنَاءَكَ حَلُّوا ثُمَّ نَادَوْا، فَأَسْمَعُوا

وكذلك عندما رأت غزارة دموعها تساءلت مستفهمة عن سبب ذلك فقالت[2]:

مَا هَاجَ حزنكِ؟ أَمْ بالعينِ عُوَّارُ أَمْ ذَرَّفَتْ؟ أَمْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدارُ

وتقول أم عمرة في رثاء أخيها ربيعة بن مكدم[3]:

مَا بَالُ عَيْنك مِنها الدَّمع مِهْرَاقُ سَحاً فلا عَازِبُ عَنْهَا وَلا رَاقِي

فقد ذكرنا بعض أدوات التكرار وبعض الشواهد عليها على سبيل التمثيل لا الحصر.

7.5 الصورة:

شغل تحديد مفهوم الصورة وأركانها ووظيفتها، النقاد القدماء والمحدثين معاً، وما زال البحث مستمراً في ميدان دراسة الصورة، وسوف نتطرق إلى ما قاله القدماء عن الصورة، فالجاحظ يعد أول واضع لأساس البيان العربي، وأول من أشار إلى توضيح مفهوم الصورة وإبراز قيمتها الفنية في معرض حديثه عن اللفظ والمعنى، إذ يقول :"إنما الشعر صناعة، و ضرب من النسج، وجنس من التصوير"[4].

وتحدث القيرواني عن حسن الوصف الذي يؤدي إلى حسن الصورة، وقال : "أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيناً للسامع، فحسن الوصف عنده هو حسن للصورة التي تمثل اللفظ، والمعنى أي كالجسد والروح"[5].

---

(1) الخنساء، الديوان، ص415.

(2) المصدر نفسه، ص378.

(3) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص279.

(4) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هـ)، (1965)كتاب الحيوان، ط 2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر: 132/3.

(5) القيرواني، العمدة، 24/1.

ومما لا شك فيه أن عبدالقاهر الجرجاني هو أبرز النقاد القدماء الذين أعطوا الصورة مفهوماً واضحاً تجلى قياساً للمعلوم بالعقل المرئي بالبصر في كتابيه : (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) هو أول من رسخ مفهوم الدلالة الا صطلاحية للصورة، وهي عنده الفروق التي تميز معنى ومعنى، كتمييز خاتم عن خاتم، وجسم إنسان عن إنسان آخر، وسوار من سوار، ووضع في كتابيه كذلك الوسائل والأساليب التي تجعل الصورة حسنة مقبولة، حتى أنّه شبه صياغة الكلام بصياغة المعان النفسية[1]، يقول: "ومعلوم أنَّ سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار"[2].

وقال حازم القرطاجني عن التصوير أو الصورة :" إن الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ضمن مبحـ ث المعاني، فالشاعر يولد الصور من الألفاظ"[3].

ومن الواضح أن نقادنا القدماء، قد ألبسوا الصورة رؤية جديدة هي من خلق التراث النقدي الأصيل، غير أن النقد العربي الحديث ظل ينقصه تحديد المصطلح الجامع للصورة، وظلت نظراتهم قائمة على عنصرين رئيسين هما : (اللفظ والمعنى) على رغم مما قاله النقاد القدماء في مباحث البلاغة بعامة، وعلم البيان بخاصة[4].

الصورة من وجهة نظر المحدثين:

فاضت الدراسات النقدية الحديثة بتناول مصطلح الصورة وتحديد مفهومها ووظيفتها، فمن النقاد من درسها على أنها فن، ومنهم من درسها على أنها علم، وكل أديبناقد له وجهة نظر عن الصورة الشعرية فقال عنها إحسان عباس : "الصورة

---

(1) المسيعدين، فتحي، (2007)، شعر الطرماح بن حكيم الطائي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، ص85.

(2) الجرجاني، عبدالقاهر (ت: 471هـ)، (1998)دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق : محمد عبده الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص322.

(3) القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص18.

(4) المسيعدين، شعر الطرماح بن حكيم الطائي، ص86.

الشعرية ليست شيئاً جديداً فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصورة"[1].

واهتم الشعراء العرب في الصورة الشعرية، وعدوها ركناً أساسياً من أركان القصيدة، يقول جابر عصفور :" باعتبارها الجوهر الثابت والدائم في الشعر، وقد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياته، فتتغير بالتالي مفاهيم الصورة الفنية، ونظرياتها، ولكن الاهتمام بها يظل قائماً ما دام هناك شعراء مبدعون"[2].

أما إيليا حاوي فتناول الصورة على أنها : "الوجه الأوضح للوصف ومن خلالها يرسم الشاعر المعنى الذي في ذهنه بصورة رآها في بصره، لذا يرى أنَّ هذا الوصف هو وصف نقلي تظهر براعة الشاعر في اكتشافها، والصورة الشعرية تخطف في حدس الشاعر المبدع خلال لحظة فائقة تنير معالم نفسيته جميعها"[3].

ويقول أحمد يعقوب :" ويقصد بالصورة الشعرية كل الصور البيانية من تشبيهات واستعارات وكنايات، والتي يستعين بها الشاعر لتوصيل فكرته "[4]

والصورة الشعرية " هي الوعاء الذي يحاول بها الأديب، نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه وسامعيه"[5].

وسوف نتحدث عن الصورة الشعرية التي تتعلق بصورة الأخ الذي غيبته يد المنية والصور المتعلقة بها ويوضح حسين جمعة هذه الصور بقوله :" فحين يكون

---

(1) عباس، إحسان، (1959) فن الشعر، ط 2، دار الشروق للنشروالتوزيع، عمان، الأردن : ص193.

(2) عصفور، جابر، (1992) الصورة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط 3، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان: ص9.

(3) حاوي، إيليا، (1959)، فن الوصف وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص42.

(4) يعقوب، شعر رثاء الإخوة، ص139.

(5) الشايب، أحمد، (1973) أصول النقد الأدبي، ط 8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر: ص242.

الموضوع في العزاء والخلود تجنح الصور نحو التفاؤل والاستبشار، وإن يكن الموضوع في الندب والبكاء، فإن الصور تتسم بالقتامة والتهويل"[1].

أول الصور التي سوف نتحدث عنها صورة الموت أو المنية، فقد تحدث عنها الشعراء كثيراً وصوروها بعدة صور، ومن هذه الصور تشبيه الموت كأنه إنسان يأتي ويزور ويطرق الباب، من ذلك قول الخنساء[2]:

مَا لِلمنايا تُنَادِينَا وتَطْرُقُنَا كَأَنَّنَا أبداً نُحْتَرُّ بالفاسِ

وكذلك يصور أعشى باهلة الموت بسبيل يسلكه الناس، عندما يرثي أخاه بقوله[3]:

فإذْ سَلَكَتْ سبيلاً كُنْتَ تَسْلُكُهَا فَاذْهَبْ فلاَ يُبْعِدَنَّكَ اللهُ مُنْتَشِرُ

كذلك صورت الخنساء الموت بالسهام التي تصيب من حانت منيته، فتقول[4]:

لِكِنْ سِهَامُ المَنَايَا من نُصِبْنَ لَهُ لَمْ يُنْجِهِ طبّ ذي طبٍّ ولاَ رَاقِي

وصورة الموت والدهر قرينتان، فكل منهما يفرق بين الأحباب، فالخنساء تشبه الدهر بشيء يتحرك ذهاباً وإياباً فهو مريب، تقول[5]:

يَا عَيْنُ مَا لَكِ لا تَبْكِيْنَ تِسْكَابَا إذَا رَابَ دَهْرٌ وكَانَ الدَّهْرُ ريّابَا

صورة الأخ الفقيد:

يكون الأخ -غالباً- أكثر مُعايشةً لأخيه؛ لتقارب الأعمار، أو ثقافتهما إن كانا توأمين، أو أبناء ضرائر؛ من أجل هذا نجد الأخ إذا فقد أخاه يذكر أيام صباه معه، ومرحلة طفولته التي يكون فيها الصغير كالغصن نماء ونضارة؛ تقول صفية الباهلية[6]:

كُنّا كَغَصّيْنِ في جُرْثومةٍ سَمَوا حِيْنَاً بأَحسنَ ما تَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ

---

(1) جمعة، الرثاء في الجاهلية والإسلام، ص211.

(2) الخنساء، الديوان، ص223.

(3) القرشي، جمهرة أشعار العرب، 721/2.

(4) الخنساء، الديوان، ص305.

(5) المصدر نفسه، ص148.

(6) غريب، شاعرات العرب في الجاهلية، ص187.

حَتى إذَا قِيْلَ قد طَالَتْ فُرُوعُهُمَا وطَابَ قِنواهُمَا واسْتُنْظِرِ الثَّمَرُ

أخنى على واحدي ريْبُ الزَّمَانِ ولا يُبْقِي الزَّمَانُ على شيءٍ ولا يَذَرُ

تمثل الصورة الأخ وأخته معاً في مرحلة عمرية واحدة، تعبر عنها الأخت بـ"غصنين" نابتين من أصل واحد؛ أي من أسرة واحدة الأب والأم، ويستمر نموُّهما على أحسن حال، وأرغد عيش، حتى إذا أصبحا في مرحلة الشباب عطاءً وبذلاً، مال الزّمانُ بقوَّةٍ مدمرة على أحدهما فأهلكه.

ويُشبه الأخ بالأسد، كما شبهت رائطة بنت شيظم أخويها بالأسدين الذين يحميان الحمى، ويدافعان عن عرينيهما، فهي تقول[1]:

لهفي على الأخوين كـَ (الأسدين) مسعود وحاتم

والصورة نفسها لدى عمرة أخت عمرو ذي الكلب فهي تقول[2]:

فَأُقْسِمُ يا عَمْرُو لَوْ نَبَّهَاكَ إذنْ نَبَّهَا منْكَ دَاءً عُضَالاَ

إذن نَبَّهَا (لَيْثَ) عرِّيسَةٍ مُفِيْدَاً مُفِيتَاً نُفُوساً وَمَالا

ومن التشبيه ما جاء في قول جنوب أخت عمرو وذي الكلب تمدح أخاها[3]:

تَمْشِيْ النُّسُور إِلَيْه وَهِيَ لاهِيَة مَشْيَ العَذَارَى عَلَيْهِنَّ الجَلابِيْبُ

ونلحظ كذلك التشبيه التمثيلي عند متمم بن نويرة في وصف أخيه مالك بالكرم فيقول[4]:

تَرَاهُ كَصَدْرِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى إذَا لَمْ يَجِدْ عِنْدَ امرئ السُّوءِ مَطمعاً

وقد أفاض الشعراء في وصف الأخ بالكرم والشجاعة والنخوة، ومن ذلك قول العوراء بنت سبيع لأخيها عبدالله تصفه بالعفة والكرم وعدم البخل، فتبدو صورته أكثر جذباً وجمالاً؛ تقول[5]:

---

(1) ابن منقذ، المنازل والديار، ص448.

(2) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص233.

(3) المرجع نفسه.

(4) الضبي، المفضليات، ص265.

(5) غريب، شاعرات العرب، ص285.

أَبْكـــي لعبـــدالله إذْ حُشَّت قُبيل الصُّبحِ نارُهْ
طَيَّانَ طَاوي الكَشْحِ لا يُرْخَى لِمَظْلَمَةٍ إزَارُهْ
يَعْصي البخـــيلَ إذا أَرادَ المجْدَ مَخلوعاً عِذَارُهْ

فقد استعارت الإزار، للدلالة على عِفَّته، وأرادت بـــ " يعصي البخيل" مخالفته السَّجية، وتتسع هذه الصورة عند ميَّةُ بنت ضرار الضبية، لتجعل من صورة أخيها صورة رجل مَهيب لا يجرؤُ أحد على الكلام المعيب في مجلسه؛ فتقول[1]

لا تَعرِفُ الكَلِمُ العَوْرَاءُ مَجْلِسَهُ ولا يَذُوْقُ طَعَاماً وَهُوَ مَوتور

وكذلك نجد صورة الشجاعة والكرامة عند المهلهل عندما يصف أخاه كليبـــاً بالمهابة وخوف الناس منه إذ يقول[2]:

وتَكَلَّمُوا في أَمْرِ كُلِّ عَظيمَةٍ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ بها لم يَنْبِسُوا

وكذلك يصف أعشى باهلة أخاه المنتشر بالشجاعة والكرم فيقول[3]:

أخو شرُوُبٍ وَمِكساب إِذَا عَدَمُوا وَفِي المَخَافَةِ منهُ الجدّ والحذرُ

فيستخدم صيغ المبالغة (شروب ومكساب) في وصف كرم وشجاعة أخيه.

وتظل صورة الأخ في عين الأخت الشاعرة تستكمل أجمل العناصر، حتـــى تصل بها إلى البهاء الذي يتمثل في سطوع الشمس، وتمام البدر، ووجـــه الهـــلال؛ تقول عمرة أخت عمرو ذي الكلب[4]:

فَكُنْتَ النَّهَارَ بِهِ شَمْسُهُ وَكنتَ دُجى اللّيلِ فِيه هَلال

فقيمة صورته بالنهار، كقيمتها بالليل؛ فهو الشمس نهاراً وإشـــراقاً وبهجـــة، لليقظة، وهو الهلال في الليل، نوراً للسامرين، وهداية للمسافرين.

وصورة الأخ عندها أيضاً قبل أن ترفعه بها إلى صفحة السماء تمر بصورة قبليّة ممهدة للصورة السماوية الكُلية الجامعة، تقول[5]:

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص301.

(2) المهلهل، الديوان، ص46.

(3) القرشي، جمهرة أشعار العرب، 721/2.

(4) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص235.

(5) المصدر نفسه، ص240.

كُنْتَ المُجبِرَ عَليهِ تَقْهَرُهُ فإذَا سَطَوْتَ فَقَد سَطَا القَهْرُ
وَإذَا سَكَـتّ فإنها عـدَة وَإذَا نَطَقْتَ تَدَفقَ البَحْرُ
وإذَا نَظَرْتَ إلى أَخِي عَدَمٍ أَثْرَى وَزَالَ بلَحظِكَ الفَقْرُ
وإذَا رَقَدْتَ فَأَنْـتَ مُنْتَبِـهٌ وإذا بَدَوْتَ فَوَجْهُكَ البَدْرُ

فهو القهر، والبحر، والغنى، صور ستجعلها الشاعرة تلتقي بـ (البدر) فـي السماء الذي تختتم به أبياتها دلالة على شمولية الصورة العظمى لأخيها.

وكذلك قول عمرة أخت ذي الكلب في القصيدة نفسها تصور حـال الأرض قبل وبعد وفاة أخيها في صورة تتسم بالروعة والإبداع فهي تقول[1]:

ما زَالَ يَحْسُدُ بَطْنُ أَرْضِكَ ظَهْرَهَا إِذْ تَمَّ أَمْرُكَ واستَوَى القَدرُ
حَتَّى حَلَلْتَ بِبَطْنِهَا فَتَقَدَّسَتْ فاليَوْم يَحْسُدُ بَطْنَهَا الظَّهْرُ

وقد أبدعت الخنساء في مجال التصوير في ر ثائها لأخويها، فقد صورت مـا يختلج في نفسها، وكذلك الحالة النفسية التي وصلت إليها فقالت[2]:

لَقَدْ صوَّتَ النَّاعِيْ بِفَقْدِ أَخِيْ النَّدَى نِدَاء لَعَمْرِي- لا أَبَالَكَ- يُسْمَعُ
فَقُمْتُ وما كَادَتْ لِرَوْعَةِ هُلكِه وإِعْزَازِهِ نَفْسِي مِنَ الحُزْنِ تَتْبَعُ
إِلَيْهِ كَأَنِّيْ حِيْبَةٌ وتَخَشُّعاً أَخُو الخَمْرِ يَسْمُو تَارَة ثُمَّ يُصْرَعُ

لقد جاء الناعي وأعلن بصدق عال صدق مقتل أخيها صخر، وتناقل الخبـر جميع الناس، وقد كان وقع هذا الخبر قاسياً ومؤلماً، لشدته تضج له الآ ذان وتخفق له القلوب حزناً وألماً، وما كادت الخنساء تسمع النبأ الخطير والشر المـستطير حتـى أحست أن الحزن لموته قد سرى في جميع أجزاء جسمها، فكادت نفسها مـن شـدة الهول والفزع أن تفارق جسمها[3].

ونرى التشبيهات بأنواعها في وصف الخنساء لأخيها صخر:

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص240.

(2) الخنساء، الديوان، ص414.

(3) يعقوب، شعر رثاء الإخوة، ص143.

فهناك التشبيه الضمني مثل قولها[1]

يا عَينُ جُودِيْ بالدُّمُوعِ المُسـتهلاَّت السَّوَافِحْ
فَيْضاً كَما فَاضَ الغُروُ بُ المُتْرعَاتُ من النَّواضِحْ

وكذلك قولها[2]:

وَكَانَ ابتدارُهُمُ للِعُلَى أَثَارَ فَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَا

وقولها[3]:

سمح الخليقة لا نكس ولا غمر بل باسل مثل ليث الغابة العادي

تصوير حال الشاعر بعد فقد أخيه:

لا يقتصر خيال الأخ بعد فقد أخيه على تصوير أثر الفقدان، وإنما يهتم أيضاً بتصوير حاله بعد فقد أخيه، كتصوير مظاهر الحزن والدموع، والسهر والنحول، وغيرها. وتحدثنا عن بعض هذه الآثار في الفصل الثالث من أثر موت الأخ في نفس أخيه، ومن هذه الصور:

1. تصوير غزارة دموعه، وشدة انصبابها بمياه الدلو الممزق "[4] وهي أكثر الصور شيوعاً في المراثي الجاهلية، ومن هذه الأمثلة:

تقول أم عمرو ترثي أخاها ربيعة بن مكدم[5]:

ما بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ مُهْرَاقُ سَحَّاً ولاَ عازِب، لا، لا وَلا رَاقِ

وقول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك[6]:

إِذَا عَبْرَةً وَزَّعْتَها بَعْدَ عَبرة أَبَتْ واسْتَهَلَّتْ عَبْرَةٌ ودُمُوْعُ

---

(1) الخنساء، الديوان، ص328.

(2) المصدر نفسه، ص145.

(3) المصدر نفسه، ص393.

(4) الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي، ص217.

(5) ماردیني، شواعر الجاهلية، ص221.

(6) الضبي، المفضليات، ص271.

وقول الخنساء في أخيها صخر[1]:

يا عَين جُوْدِيْ بالدُّمُوْعِ المستهلاَّتِ السَّوَافِحِ

ومن الصور المكررة عند الشعراء تصوير حزنهم بحزن الناقة، وهذا ما نجده عند الخنساء وعند دريد في رثاء أخيه عبدالله إذ يقول[2]:

وَكُنْتُ كَذَاتِ البوّ رِيْعَتَ فَأَقْبَلَتْ إلَى قِطع من جلد سقْب مُجَلَّد

وكذلك تشبيه الشاعر حزنه بحزن الحمامة التي فقدت أليفها . فقالت الخنساء[3]:

كُوْنِيْ كَوَرْقَاء فِي أَفْنَانِ غَيْلَتِهَا أَوْ صَائِحٍ في فُروعِ النّخل هتّاف

8.5 الخاتمة:

يمكن القول أنَّ هذه الدراسة ، قد استطاعت أن تبني من صورة الأخ في الشعر الجاهلي موضوعاً فيه من الثراء ا لفني والثراء العاطفي ما يجعله مؤهلاً إلى أن يقف في مصاف موضوعات الشعر العربي الأخرى ، وهو موضوع إنساني وجداني عند البشر يمتاز بالعواطف الصادقة ، ويعبر عن المشاعر والانفعالات في أدق المواقف وأصعبها .

وأثبتت الدراسة أن عاطفة الأخوة تعبر عن الحاجة النفسية والواجب الاجتماعي التي يقوم عليها ترابط الإ خوة،للشعور بالأمن والأمان في مجتمع قائم على مبدأ الترابط والكثرة للتوليد القوة والمهابة في نفوس الأعداء .

والتخلي عن الأخ في الظروف الصعبة أو في أرض المعركة يعد عيباً ومدعاةً للذم والسخرية عند العرب، وذلك بعرض أمثلة شعرية تدل على ذلك .

---

(1) الخنساء، الديوان، ص328.

(2) اليزيدي، المراثي: 104؛ البو: أن يسلخ الحوار ثم يحشى جلده فتعطف عليه أمه لتدر اللبن؛ الشعب: الذكر من أولاد الإبل..

(3) الخنساء، الديوان، ص408؛ أي كوني كحمامة ورقاء وهي القمرية، والغيل: الشجر الملتف.

وبينت الدراسة صفات سيد القبيلة ودورة في تنظيم أمور معيشة أفراد قبيلتـــه ، والدفاع عنهم، وكذلك تبين الدراسة صفات الأخ السيد المدافع عن عرينـــه كالأســـد شجاعةً وضراوةً .

قد أظهرت الدراسة في شعر رثاء الأخ عاطفة الإخوان بصورة جـ لية ، تدل علـــى مدى فخر الأخ بأخيه ، وإعزازه له، ولذلك تجلت صـــورة الأخ مكـــسور الجنـــاح والساعد بعد فقد أخيه ، وبيان حالته النفسية المحطمة، ثم بعد ذلك يتـــصبر و يتجلـــد ويتأسى بمن حوله، وهو يعلم أنه في يوم من الأيام سوف يتبعه في دربهِ.

وكذلك بينت الدراسة الطقوس وا لأساطير المتعلقة بالرثاء ، مع الشواهد على كل ما ذكر من الشعر المتعلق بصورة الأخ في الشعر الجاهلي .

وقد جاء في الفصل الرابع عن الثأر للأخ ، أن الأخ إن ُقتِل فهي طامـــة كبـــرى بالنسبة لإخوته حيث يبدأ الصراع النفسي والقبلي ، فيصاب الأخ بتوتر عـــصبي لا يهدأ له بال حتى يضفر بقاتل أخيه ،حتى ن إكان القاتل من أقربائه وقومه ، لدرجة أن بعضهم ثأر لأخيه من خاله متناسيا بذلك الروابط والعلاقات جميعها ، محاولة منه غسل العار الذي لحق بأسرته بعد مقتل أخيه إلى جانب مبدأ الثأر الذي كان مطلبـــا ملحاًفي العصر الجاهلي ، والذي يتكئ في كثير من الأحيان على أســـس العـــصبية القبلية حتى غدا الثأر قدر ا لا بد من الوفاء به، دون أن ُيغفـــل دور الأخـــت فـــي التحريض على الثأر لأخيها بعاطفة صادقة تجاهه .

ومن أهم ثمرات هذه الدراسة الوصول إلى أن القصائد المتعلقة بـــصورة الأخ في الشعر الجاهلي ،امتازت بميزات فنية فريدة؛ من حيـــث الوحـــدة الموضـــوعية والعضوية، لتخلصها من نظام القصيدة القديم وهو نظام المقدمة ، ليعاد النظـــر فـــي كثير من الأحكام التي قيلت بشأن المقدمة من حيث دوافعها أو تفسيرها.

وكذلك عبر الشاعر عن عواطفه بصدق وإخلاص ، مستخدما مفردات وألفاظ وتراكيب سهله بعيدة عن الغموض والتعقيد .

وبينت الدراسة أهمية التكرار في شعر الرثاء كونه يعبر عـــن حالـــة الـــشاعر النفسية، ومدى الحزن واللوعة التي وصل إليها الأخ بعد فراق أخيه.

وأثبتت الدراسة أهمية الصور الشعرية عند العرب في التعبير عما فـــي نفـــس الشاعر،وما تمتاز به من البـ ساطة والسهولة،مستمدة من بيئـــة العربـــي ، وكـــذلك استعان الشاعر العربي بضرب الأمثال ليبين أالموت نهاية كل حي و ل كُـــلَّ أخ مفارقه أخوه.

المراجع

بن أبي خازم ، بشر، (1972)، **الديوان**، ط2، تحقيق عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت: 630هـ)، (1987)، **الكامل في التاريخ**، ط1، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن الخطيم، قيس (ت: 612م)، (1967)، **الديوان**، ط2، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، لبنان.

ابن تميم، علقمة بن عبده بن ناشرة بن زيد مناة، (1925)، **الديوان**، شرح: الأعلم الشنتمري، الجزائر.

ابن تولب، النمر، (د.ت)، **الديوان**، تحقيق نوري حموده القيسي، مطبعة المعارف،– بغداد، العراق.

ابن جندل، سلامة، (1407هـ)، **الديوان**، ط2، تحقيق: فخر الدين قباوه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن حبيب، محمد، (1972)، **أسماء المغتالين من الأشراف من نوادر المخطوطات**، ط2، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، مصر.

ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، (1988)، **المقدمة**، ط5، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن زهير، قيس (ت: 16هـ)، (1972)، **شعر قيس بن زهير**، تحقيق: عادل البياتي، مطبعة الأديب، بغداد، العراق.

ابن زهير، قيس، (1411هـ)**ديوان شعر بني عبس** ، ط1،جمع وتحقيق وشرح : عبد العزيز بن محمد الفيصل، القسم الثاني، دون ناشر.

ابن سفيان، ثابت بن جابر (ت: 530)، (1984)**ديوان تأبط شراً وأخباره** ، ط1، جمع وتحقيق: علي ذو الفقار شاكر، دار العرب الإسلامي، القاهرة، مصر.

ابن علس، زهير، (1994)**شعر المسيب بن علس** ، ط1، جمع وتحقيق: أنور أبو سويلم، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ)، (د.ت)، **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ)، (د.ت)، **عيون الأخبار** ، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن كلثوم، عمرو (ت: 600م)، (1991)، **الديوان**، ط1، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ابن معد يكرب، عمرو (ت: 21هـ)، (1974)، **الديوان**، تحقيق: مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا.

ابن منقذ، (1412هـ)، **المنازل والديار**، تحقيق: مصطفى حجازي، دار سعاد الصباح، القاهرة، مصر.

ابن هفان،الخرنق بنت بدر، (د.ت)، **الديوان**رواية أبي عمرو بن العلاء، تحقيق: يسرى عبدالغني عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو سويلم، أنور، (1403هـ)،**الإبل في الشعر الجاهلي** ، ط1، ج1، الرياض، السعودية.

أحمد، شريف بشير، (2003)، الخنساء ونموذجية صخر، **مجلة الجذور**، العدد 15، النادي الأدبي، جدة، السعودية، ص ص 132-164.

الأصفهاني، أبي الفرج (ت: 412هـ)، (د.ت)، **الأغاني**، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، الدار التونسية للنشر، تونس.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت: 216هـ)، (د.ت)، **الأصمعيات**، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

الألوسي محمود شكري ، (د.ت)**بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب** ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

امرؤ القيس، ابن حجر بن الحارق بن عمرو بن حجر (ت: 450)، **الديوان**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر.

الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت: 328هـ)، (1989)، **العقد الفريد**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

البحتريأبو عبادة الوليد بن عبيد (ت: 284هـ)، (1967)، **الحماسة**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

البصري، ابن هشام، (1985)**مختصر سيرة ابن هشام** ، تحقيق: محمد عفيف الزعبي، درة النفائس، بيروت، لبنان.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هـ)، (1965)، **كتاب الحيوان**، ط2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هـ)، (د.ت)،**البيان والتبيين** ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الجبوري، يحيى، (2001)**الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه** ، ط9، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

الجرجاني، عبدالقاهر (ت: 471هـ)، (1998)**دلائل الإعجاز في علم المعاني** ، تحقيق: محمد عبده الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الجشمي،دريد بن الصمة، (1981)، **الديوان**، تحقيق: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، سوريا.

جمعة، حسين، (1991)**الرثاء في الجاهلية والإسلام** ، ط1دار العلم، دمشق ، سوريا.

حاوي، إيليا، (1959)**فن الوصف وتطوره عند العرب** ، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

حسين، طه، (1937)، **حديث الأربعاء**، مطبعة الحلبي، القاهرة، مصر.

الحوفي، أحمد محمد، (د.ت)، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ط3، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، مصر.

للحوفي، أحمد محمد، (د.ت)،**المرأة في الشعر الجاهلي** ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر.

لخطيب، بشرى محمد علي، (1971)**الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام** ، جامعة بغداد، العراق.

الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الشديد (ت: 24هـ)، (1988)، **الديوان**، ط1، تحقيق أنور أبو سويلم، دار عمار، عمان، الأردن.

دراوشة، صلاح الدين أحمد، (2001)، **القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديواني المفضليات والأصمعيات**، ط1، مكتبة الفجر، عمان، الأردن.

الذبياني، الشماخ بن ضرار، (د.ت) **الديوان**، ط1، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، الإسكندرية، مصر.

زيتون، عبد الغني أحمد، (2001)،**الإنسان في الشعر الجاهلي** ، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، الإمارات.

السلمي،العباس بن مرداس، (1991)، **الديوان**، تحقيق: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

السّيد، عز الدين علي، (د.ت)،**التكرير بين المثير والتأثير** ، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

الشايب، أحمد، (1973)،**أصول النقد الأدبي** ، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.

الشمايلة، غدير، (1996)، **الثأر في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

لشوري، مصطفى عبد الشافي ، (1996)، **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لو نجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر.

الشوري، مصطفى عبدالشافي، (1996)**شعر الرثاء في العصر الجاهلي** ، بيروت، لبنان.

صالح، مخيمر، (1981)، **رثاء الأبناء**، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

الصباري، خميس بن ماجد بن خميس، (2006)، **فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

الضبي،المفضل بن محمد (ت: 168هـ)، (د.ت)، **المفضليات**، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، لبنان.

الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس، (1986)، **ديوان الحماسة**، ط2، شرحه ونشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط 2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر.

الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس، (ت: 231هـ)، (د.ت)،**كتاب الوحشيات**، ط3، علق عليه عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، القاهرة، مصر.

العامري،لبيد بن ربيعة (ت: 35هـ)، (1984)، **الديوان**، ط2،حققه وقدم له : إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

عباس، إحسان، (1959)، **فن الشعر**، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

العبسي،عروة بن الورد ، (د.ت)، **الديوان**، تحقيق: عبد المعين الملوحي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا.

العسقلاني، ابن حجر، (1989)، **فتح الباري**، تحقيق:عبد العزيز ابن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

عصفور، جابر، (1992)**الصورة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب** ، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.

عطوان، حسين، (د.ت)**مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي** ، دار المعارف، القاهرة، مصر.

علي، جواد، (د.ت)**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج5، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان.

العواجي، محمد بن جرمان، (1415هـ)**القيم الإنسانية في شعر الرثاء الجاهلي** ، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة، السعودية.

غريب، جورج، (1984)**شاعرات العرب في الجاهلية** ، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

فتح الباب، حسن ، (1425هـ)فن الرثاء في الشعر العربي القديم ، **مجلة جذور**، العدد 18، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ص311-362.

القرشيأبو زيد محمد بن أبي الخطاب، (د.ت)**جمهرة أشعار العرب** ، حققه : محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، سوريا.

القرطاجني، أبو الحسن حازم (ت: 684هـ)، (د.ت)،**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيقمحمد بن الحبيب بن فوجة، دار الكتب الشرقية ، القاهرة، مصر.

القيرواني الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت: 453هـ)، (د.ت)، **زهر الآداب وثمر الألباب** ، ط1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان.

ماردیني، رغداء، (2002)، **شواعر الجاهلية**، ط1، دراسة نقدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت: 286هـ)، (د.ت)، **الكامل في اللغة والأدب**، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

المبيضين، ماهر، (2003)،**الأسرة في الشعر الجاهلي** ، ط1، دار البشير، عمان، الأردن.

المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى، (د.ت)،**معجم الشعراء**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار الرسالة، بغداد، العراق.

المسيعدين، فتحي، (2007)**شعر الطرماح بن حكيم الطائي** ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

الملائكة، نازك، (1978)، **قضايا الشعر المعاصر**، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

المهلهل، عدي بن ربيعة (ت: 530هـ)، (1995)، **الديوان**، ط1، تحقيق: أنطوان محسن القوال، دار الجبل، بيروت، لبنان.

ميدان، أيمن محمد، (1995)**شعر تغلب في الجاهلية** ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مصر.

الميداني، أبو الفضل أحمد النيسابوري (ت: 518هـ)، (د.ت)،**مجمع الأمثال** ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت، لبنان.

النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية، (1984)، **الديوان**، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الهذليين، (1965)، **ديوان الهذليين**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

هلال، محمد غنيمي، (1973)، **النقد الأدبي الحديث**، ط1، القاهرة، مصر.

الهليل، عبد الرحمن بن عثمان، (1419هـ)**التكرار في شعر الخنساء**، ط1، دار المؤيد، الرياض، السعودية.

ول، ديوارنت، (1981)، **قصة الحضارة**، ط3، ترجمة: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر.

اليزيدي،أبو عبد الله محمد ابن العباس، (ت: 310هـ)، (د.ت) **الامالي**، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

اليزيدي، محمد بن العباس (ت: 246هـ)، (1967)، **المراثي والتعازي** ، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا.

يعقوب، أحمد موسى عيسى، (1996)، **شعر رثاء الإخوة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي**،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك ، إربد، الأردن.

السيرة الذاتية

الاسم: عادل حماد البلوي.

الكلية: الآداب.

التخصص: اللغة العربية.

السنة: 2008.

الهاتف النقال: 00966531691548.